بسم الله الرحمن الرحيم
قام الطالب عبدالله علي أحمد الغامدي، صاحب
هذه الرسالة بتصحيح ما طلب منه

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا الشرعية

لقمان الحكيم
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
عبدالله علي أحمد الغامدي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في فرع الكتاب والسنة
من قسم الدراسات العليا الشرعية

بإشراف
الأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم القيعي

١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه الى يوم الدين . وبعد :

فعملا بقوله تعالى فى كتابه العزيز " هل جزاء الاحسان الا الاحسان " (١) ، وعملا بالحديث الذى يرويه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه ، فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه " . (٢)

وبالحديث الذى يرويه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " . (٣)

عملا بهذه الأدلة ، أرى أنه من الواجب علىّ أن أتوجه أولا بالشكر والثناء الى الله عز وجل ، الذى منّ علىّ ووفقنى ، لاختيار موضوع يتعلق بالقرآن الكريم ، هو لقمان الحكيم فى ضوء الكتاب والسنة .

---

(١) سورة الرحمن / آية ٦١ .

(٢) انظر / مسند الامام احمد بن حنبل / جـ٢ / ٦٨ / المكتب الاسلامى / بيروت .

(٣) انظر / سنن الترمذى / جـ ٣ / ص ٢٢٨ / الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م - بيروت .

ووفقني بعد ذلك الى اتمام البحث في هذا الموضوع واخراجه بهذه الصورة .

بعد ذلك أقدم شكري الى العاملين المخلصين في جامعة أم القرى وعلى رأسهم سعادة الدكتور راشد الراجح ، وكيل الجامعة ، وسعادة الدكتور علي الحكمي عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، وسعادة الدكتور عويد المطرفي / وكيل الدراسات العليا والبحث العلمي بكلية الشريعة والعاملين في الدراسات العليا ، لما قدموه وبذلوه لطلبة العلم في هذه الجامعة من مساعدات وتسهيلات .
فجزاهم الله على ذلك خير الجزاء ، وسدد على درب الخير خطاهم ، وأخذ بأيديهم الى ما يحبه ويرضاه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل ، لأستاذي الوقور : سعادة الدكتور محمد عبد المنعم القيعي ، الذي قبل برحابة صدر ، الاشراف عليّ في اعداد هذا البحث المتواضع ، ومنحني من وقته الكثير - رغم كثرة مشاغله - وغمرني بارشاداته القيّمة ونصائحه الجليلة وتوجيهاته الجيدة .
فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأمدّ في عمره ، ونفع به طلبة العلم .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لجميع الزملاء الذين ساعدوني وأمدوني ببعض المراجع والكتب المتعلقة بهذا البحث وأخص منهم : الأخ : احمد عبد الله الزهراني . فجزاهم الله جميعا خير الجزاء .

وفي الختام اسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به ، وأن يسدد خطانا ويلهمنا الصواب ، ويثبتنا دائما على الحق . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

- المقدمة -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ، سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه الى يوم الدين .

وبعد :

فلما كان العمل يستمد قيمته من موضوعه ، وتعظم أهميته أو تقل ، تبعا لذلك . لذا توكلت على الله وعقدت النية على الكتابة فى أحد مواضيع القرآن الكريم وقد وقع اختيارى على موضوع : "لقمان" ، الوارد ذكره فى سورة لقمان ، احدى سور القرآن الكريم .

وقد كان اختيارى لهذا الموضوع لعدة أسباب :-

١ - حبى الشديد لعلم التفسير ، وشدة ميلى اليه ، وما ذلك الا لتعلقه بكتاب الله تعالى ، لأنه يكشف عن اسراره ونفائسه ، ويوضح معانيه العظيمة لمن شق عليه فهمها ، واستعصى عليه ادراكها .

وحيث أن الشيء يشرف بموضوعه أو بغرضه أو بالحاجة اليه . فان علمية التفسير قد احتوت على هذه الأمور الثلاثة .

فأما الموضوع :- فلأنه بيان لمعانى القرآن الكريم ، ينبوع الحكمة ، ومعدن الفضيلة ، وجماع الخير كله .

وأما الغرض :- فهو الاستمساك بالعروة الوثقى ، التى بها تتحقق السعادة الدائمة فى الدنيا والآخرة ، جعلنا الله جميعا من أهلها .

وأما الحاجة اليه :- فلأن كل كمال دنيوى أو أخروى ، مفتقر اليه ، ومحتاج اليه ،

٢ - ان الآيات الواردة فى سورة لقمان ، والمتعلقة به والمتحدثة عنه وعن ابنه ، تتضمن مقومات المجتمع الاسلامى ، كاخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والبعد عن الكفر والاشراك به ، والقيام بشكره تعالى ، والوصاة بالوالدين وطاعتهما فى غير معصية الله ، واقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصبر على الأذى فى ذات الله .

والتواضع والبعد عن الكبر والخيلاء والقصد فى جميع أمور الحياة .

واتباع سبيل من أناب الى الله من عباده الصالحين وهو سبيل الأنبياء والمرسلين .

الى غير ذلك من مقومات المجتمع الاسلامى .

لذلك أحببت أن أصوغ هذه المقومات المستفادة من الآيات الكريمات فى سورة لقمان ، فى هيئة بحث للاستفادة منها ، ومحاولة نشرها فى مجتمعنا الاسلامى .

ويا حبذا لو نشرت ومن ثم طبقت فى كل مجتمعاتنا الاسلامية ، لحزنا فضلا كبيرا وخيرا كثيرا ونفعا عميما .

واننى لأبتهل الى الله تبارك وتعالى ، أن يحقق ذلك فى مجتمعاتنا الاسلامية ، وأن يعيد اليها عزتها ومنعتها واستقامتها السابقة .

٣ - ان قصة لقمان الحكيم وابنه ، الواردة ضمن سورة لقمان ، احدى سور القرآن الكريم لم يكتب عنها أحد بشكل علمى ، على حد علمى القاصر ومعلوماتى القليلة ، ومطالعاتى الضئيلة .

لذا رغبت أن أسهم بالكتابة في هذه القصة ،للاستفادة مما فيهما من النصائح والعظات والعبر ،وما الى ذلك ،في الحياة بصفة عامة ، وفي مجال الدعوة الاسلامية بصفة خاصة .

وأنا مع هذا معترف بتقصيرى ،وقصور علمى ، فما كان من صواب فهو من الله وحده ،وما كان من خطأ فهو منى ومن الشيطان ،واسأل الله أن يغفر لى ويتجاوز عنى ويغشانى برحمته ، فانى أهل للنقص والخطأ ، ولا كمال الا لله سبحانه .

وكما قال الامام مالك رحمه الله : " كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه، الا صاحب هذا القبر . يعنى بصاحب القبر : المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .
وحسبى أن هذا جهدى ،وما استطعت التوصل اليه ،فان كان صوابا ،فبفضل الله ونعمته وحده ، وله الحمد والشكر والثناء على كل حال ، وان كان غير ذلك فأسأله سبحانه العفو والتجاوز والمغفرة ،فانه لا يغفر الذنوب الا هو.

كما أسأله سبحانه أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم وان ينفع به، فهو نعم المولى ونعم النصير .

منهجى فى هذا البحث :

أما منهجى فى هذا البحث فهو يتلخص فى النقاط التالية :-

١ - البحث عن التفسير بالمأثور ،وتصحيح ذلك أو بيان ما فيه .

٢ - الوقوف عند جو القصة بفقه وحذر .

٣ ـ الرجوع الى المفسرين بالرأى ، وقياس ما يقولون على مبادئ الدين واللغة .

٤ ـ اذا تعارضت الأقوال ، وكان من الممكن الجمع جمعت ، واذا لم يكن ذلك ممكنا ، رجحت .

وما أردت الا الخير ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

كان الأولى أن تذكر الخطة قبل المقدمة

خطــــة البحــــث

الموضــــوع : لقمان الحكيم فى ضوء الكتاب والسنة .

وفيه : مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

المقدمــــة : أتناول فيها سبب اختيارى الموضوع ، ومنهج البحث فيه .

الباب الاول : فى الكلام عن لقمان وتحته فصول :

الفصل الاول : فى تحقيق القول فى اسمه ونسبه والعصر الذى عاش فيه ، والكلام عن ولده .

الفصل الثانى : فى تحقيق القول عن شمائله وصفاته الخلقية .

الفصل الثالث : فى تحقيق القول فى نبوته أو ولايته .

الباب الثانى : فى تفسير الآيات الواردة فى لقمان وتحت ذلك فصول :-

الفصل الاول : فى تعريف الحكمة ومضمونها ومكانتها فى ميزان القــرآن والسنــــة ، واستقرائها فيهما .

الفصل الثانى : فى : أن من الحكمة ، شكر الله تعالى .

الفصل الثالث : بيان ما يتعلق بعقيدة التوحيد ، وبيان أن العقيــدة رأس الحكمة .

الفصل الرابع : وصايته بالوالدين ولا سيما الأم ، وعدم عقوقهما ، وبيــان ما يطاعان فيه ومالا يطاعان . وبيان أن بر الوالدين وعدم عقوقهما ، مما اتفقت عليه الشرائع ، وتطابقت على حسنــه العقول .

الفصل الخامس : فيما يتعلق برأس العبادات البدنية .

الفصل السادس: فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبيان أن ذلك من الأصول المطلوبة فى شرائع الأنبياء والمرسلين وبيان الصبر على البلاء والايذاء .

الفصل السابع : بيان فضيلة التواضع للناس ، وعدم التكبر عليهم ، وعدم البطر والأشر فى الارض .

الفصل الثامن : ما ينبغى أن يكون عليه الرجل العاقل المتدين فى دله وسمته فى المشى .

الفصل التاسع : فيماينبغى أن يكون عليه الرجل العاقل المتدين فى غض الصوت فى الكلام والحديث .

الباب الثالث :

فى استقراء الأحاديث الواردة فى كتب الحديث والتفسير ، المتعلقة بلقمان وشرحها وبيان درجتها من الصحة أوالحسن أو الضعف .

الخاتمة :

ذكر النتائج التى استخلصتها من هذا البحث .

الباب الأول

في الكلام عن لقمان

وتحته فصول

الفصل الأول : في تحقيق القول في :

١ - في اسمه ونسبه .

٢ - في العصر الذى عاش فيه .

٣ - في الكلام عن ولده .

الفصل الثاني : في تحقيق القول عن صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية .

الفصل الثالث : في تحقيق القول في نبوة لقمان أو ولايته .

الفصـــــــل الأول

---

١ - تحقيق القول في : اسم لقمان ونسبه :

قال ابن كثير : هو لقمان بن عنقاء بن سدون . (١)

وقال الخازن : " قيل : هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر . وقيل : كان ابن أخت أيوب ، وقيل : كان ابن خالته ". (٢)

وقال البغوي : " قال محمد بن اسحاق : هو لقمان بن ناعور بن ناحور بن ثارخ وهو آزر .

وقال وهب : انه كان ابن أخت أيوب . وقال مقاتل : ذكر أنه كان ابن خالة أيوب ". (٣)

وقال الشوكاني : " وهو : لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ ، وهو آزر أبو ابراهيم . وقيل : هو : لقمان بن عنقا بن مرون . وكان نوبيا من أهل آيلة ، ذكره السهيلي . [قال وهب : هو : ابن أخت أيوب . وقال مقاتل : هو ابن خالته " .] (٤)

وقال القرطبي : هو : لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح ، وهو آزر أبو ابراهيم . كذا نسبه محمد بن اسحاق .

---

(١) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ٣ / ص ٤٤٤ / طبعة الحلبي وشركاه .

(٢) انظر / تفسير الخازن / جـ ٤ / ص ٢١٣ / الطبعة الثانية / الحلبي وشركـــاه .

(٣) انظر / تفسير البغوي / بهامش الخازن / جـ ٤ / ٢١٣ / الطبعة الثانية - الحلبي وشركاه .

(٤) انظر / فتح القدير / للشوكاني / جـ ٤ / ص ٢٣٢ / الطبعة الثانيـــة الحلبي وأولاده بمصر .

وقيل : هو لقمان بن عنقاء بن سرون ، وكان نوبيا من أهل آيلة ، ذكره السهيلي .

[قال وهب : كان ابن أخت أيوب . وقال مقاتل : ذكر أنه ابن خالة ايوب"] (١) .

وقال الزمخشري : هو : لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيوب ، أو ابن خالته . وقيل : كان من أولاد آزر" (٢) .

قلت :

مما سبق يتضح وجود بعض الاختلاف القليل في اسم والد لقمان .

حيث ذكر بعضهم : أنه : لقمان بن عنقاء بن سدون .

وذكر البعض : انه : لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ ، وهو آزر أبو ابراهيم .

وقال البعض : أنه : لقمان بن ناعور .

والذي أراه في هذا الاختلاف ما يلي :

١ - اما أن يسمى الانسان بأكثر من اسم ، فكل ذكر ما اشتهر به عنده .

٢ - واما أن هذه الروايات غير دقيقة في تحديد الاسم .

والذي يعنينا هو "لقمان" كما جاء في القرآن الكريم .

---

(١) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ج ١٤ / ص ٢٥٩ / دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . وانظر / الشفا للقاضي عياض / ١ / ١٨٧

(٢) انظر / الكشاف / للزمخشري / ج ٣ / ٢٣١ .
وانظر / حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي / ٧ / ١٢٤

٢ - تحقيق القول في : العصر الذى عاش فيه لقمان :

ذكر القرطبى فى تفسيره ، أن لقمان " عاش ألف سنة ، وأدركه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . وأخذ عنه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام ، فلما بعث قطع الفتوى . فقيل له ؟ . فقال : الا أكتفى اذ كفيت " . (١)

وقد أضاف الألوسى الى ذلك : " وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل ونقل ذلك عن الواقدى ، الا أنه قال : وكان زمانه بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

وقال عكرمه والشعبى : كان نبيا ، والأكثرون على أنه كان فى زمن داود عليه السلام ، ولم يكن نبيا . (٢)

قلت :

والذى أراه - والله أعلم - أن لقمان عاش فى زمن داود عليه السلام ، وليس فى الزمن الواقع بين زمنى سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما أفضل الصلاة والسلام .

ويدل على ذلك ما ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول حيث قال :- " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لقمان كان عبدا كثير التفكر ، حسن الظن ، كثير الصمت ، أحب الله فأحبه الله ، فمنّ عليه بالحكمة ، نودى بالخلافة

---

(١) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص٩[illegible] / دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

(٢) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ص ٨٢ ، ٨٣ .

داود
قبل داوود عليه السلام ، فقيل له : يا لقمان : هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض ، تحكم بين الناس بالحق ؟ قال لقمان عليه السلام : ان جبرنى ربى قبلت ، فانى أعلم ان فعل ذلك بى أعاننى وعلمنى وعصمنى ، وان خيرنى ربى ، قبلت العافية ، ولم أسأل البلاء . فقالت الملائكة ، بصوت لا يراهم : يا لقمان لم قلت هكذا ؟ .

قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ، يغشاه الظلم من كل مكان ، فيخذل أو يعان . وان أصاب فبالحرى أن ينجو ، ولئن أخطأ ، أخطأ طريق الجنة . ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ضائعا . ومن يختار الدنيا على الآخرة ، فاتته الدنيا ، ولا يصير الى ملك الآخرة .

فعجبت الملائكة لحسن منطقه . فنام نومة ، فغط بالحكمة غطاً ، فانتبه فتكلم بها . ثم نودى داوود عليه السلام بعده بالخلافة فقبلها ، ولم يشترط شرط لقمان ، فأهوى فى الخطيئة ، فصفح الله عنه وتجاوز .

وكان لقمان يوءزره بعلمه وحكمته ، فقال داوود عليه السلام : طوبى لك يا لقمان ، أوتيت الحكمة ، وصرفت عنك البلية ، وأوتى داوود الخلافة ، وابتلى بالرزية والفتنة" (١) .

وأنا أكثر ميلا الى أن لقمان ، كان قبل داوود عليه السلام ، ثم تعاصرا . والذى يعنينا بعد دراستى لعصر داوود وما قبله ، أنها فترة مليئة بالمتناقضات فبنوا اسرائيل لا يرون التأهيل لأى فضل الا عن طريق المال ، وحكى الله عنهم

---

(١) انظر: نوادر الأصول / للحكيم الترمذى / ص ١١٢ / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

وانظر / الشفا / للقاضي عياض / ط٢ / ١٨٧

قولهم : " أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال "(١) الآية

فقيادة التوجيه عندهم ، بالنسب والمال . وكان لقمان فى أرجح الأقوال يختلف عن نسبهم ، فهو ذو نسب متواضع ، ورزقه كفاف ، ومع ذلك آتاه الله الحكمة وعلمه مايشاء .

وعلى هذا فلقمان الحكيم يوجه مجتمعا ماديا ، سيطرت عليه المادة ، وتغلغلت فى كل جوانبه ، وجاء لقمان ليبث التعاليم الروحية ، حتى لا ينقلب الناس وحوشا بما سيطرت عليهم المادة .

ولا ريب أن ظهور الداعية الروحى بين قوم ماديين ، يصور لنا مدى الحاجة الى ذلك الداعية ، ومدى الجهد الذى يبذله ، لاحياء الناس حياة روحية ، سليمة من المعاصى ، وبعيدة عن المنكرات .

واذا كنت لم أطمئن الى رواية تجعلنى أوقن بزمان لقمان ، فان الجو القرآنى يشير الى حاجة المجتمع ، لمصلح يصلح بقوله وعمله فى آن واحد ولا يكفى أحدهما عن الآخر .

وليس المصلح من فكر وكتب ، ووعظ وخطب ، ولكنه الحى العظيم الذى تلمسه الفكرة ، فتحيا فيه .

وقد أحيا لقمان بسلوكه ، مبادىء فكرته ، فشكر ربه وعرف قدره ، وأوصى ابنه ، كما حكاه القرآن الكريم .

---

(١) سورة البقرة - آية - ٢٤٧ - .

٣ - تحقيق القول فى : اسم ولد لقمان :-

كما اختلفت الأقوال فى اسم والد لقمان ، فقد اختلفت كذلك فى اسم ابنه .

فقد قال ابن كثير :-

" واسم ابنه ثاران فى قول حكاه السهيلى ". (١)

وقال الخازن :

" قيل اسمه أنعم ، وقيل : أشكم ". (٢)

وقال القرطبى :

" قال السهيلى : -اسم ابنه : ثاران فى قول الطبرى والقتبى ، وقال الكلبى : مشكم ، وقيل : أنعم ، حكاه النقاش ". (٣)

وذكر الألوسى :

" أن اسم ابنه : ثاران على ما قال الطبرى والقتيبى . وقيل : ماثان ، بالمثلثة -وقيل : أنعم . وقيل : أشكم . وهما : بوزن أفعل . وقيل : مشكم بالميم بدل الهمزه ". (٤)

---

(١) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ٣ / ص ٤٤٤ / طبعة الحلبى وشركاه .

(٢) انظر / تفسير الخازن / جـ ٤ / ص ٢١٣ / الطبعة الثانية / الحلبى وشركاه . وانظر / حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي / ٧ / ١٢٥

(٣) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٦٢ / دار الكاتب العربى .

(٤) انظر / روح المعانى للألوسى / جـ ٢١ / ص ٨٤ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

قلــــــت :

مما سبق يتضح وجود بعض التباين فى اسم ولد لقمان ، والذى اراه فى ذلك :

١ - اما أنه سمى بأكثر من اسم ، وكل كان يسميه بما اشتهر به عنده من تلك الأسماء وأهمل ما عدا ذلك .

٢ - واما أن هذه الروايات غير دقيقة فى تحديد الاسم .

ومهما يكن ، فان الذى يعنينا ويهمنا ، هو " ابن لقمان " الوارد فى القــرآن الكريم ، لا اسمه ، فانه لا يتعلق بذكره كبير فائدة ، ولو كان فى ذكره فائــدة تعود علينا لأوضحها القرآن الكريم .

كذلك يتضح لنا أن القرآن الكريم ، كان دقيقا ومرنا فى تعبيره ، فلما لم يكــن يعنينا اسم أبيه " أبى لقمان " ، لم يتعرض له ، ولما كان يعنينا احساس الاب نحو ابنه ، فى التوجيه والارشاد ، قال سبحانه " واذ قال لقمان لابنه " (١) ، أما اسمه فلا يعنينا اذ يستوى عندنا أى اسم ، سمى به هذا الابن .

ومن المعلوم أن الابهام فى القرآن ، من أسبابه : عدم تعيين فائدة من الذكر ، كقوله سبحانه " واسألهم عن القرية " (٢) .

وفى هذا التوجيه الكريم ، ما يدعونا الى نبذ الأمور السطحية ، والاهتمام بجوهــر الموضوع ، وكم ضاعت معانى قيمة من غير جدوى ، فى معارك لفظية ، لا فائدة منها . ومثل هذه الروايات فى الغالب منقولة عن أهل الكتاب الذين أمرنا ألا نصدقهــم ولا نكذبهم فيما لم يأت عندنا ذكره ، ونقول كما علمنا الله تعالى : " آمنا بالــذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون " (٣) .

---

(١) سورة : لقمان / آية : - ١٣ - .

(٢) سورة : الأعراف / آية : - ١٦٣ - .

(٣) سورة : العنكبوت / آية : - ٤٦ - .

الفصـــل الثانـــى

فى تحقيق القول : عن صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية :

اختلفت الروايات والأقوال ، حول صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية ، وكل ما استطعت التوصل اليه ، هو آثار أغلبها فى ثنايا كتب التفسير ، وهذه أهم تلك الأقوال :-

قال الطبـــرى :

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى وابن حميد ، قالا : ثنا حكام عن سعيد الزبيدى عن مجاهد قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بنى اسرائيل .

وقال : حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرحلى [الرملي] ، قال : ثنا يحى بن عيسى عن الأعمش عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين ، مشقق القدميـــن .

وقـــال :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عن الأشهب ، عن خالد الربعى ، قـال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب .

ثم مكث [مكث] ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب .

فقال له : مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرجتهمـا ،

وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرجتهما ، فقال له : لقمان : انـــه ليس من شيء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا .

وقال :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكيم ، قال : ثنا عمرو بن قيس قـــال : كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو فـــى مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ . قال : نعم . قال : فما بلغ منك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنينى . (١)

وقال ابن كثيـــر :

قال قتادة ، عن عبد الله بن الزبير ، قلت لجابر بن عبد الله : ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرا ، أفطس الأنف من النوبة .

وقال : يحى بن سعيد الانصارى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كـــان لقمان من سودان مصر ، ذا مشافر ، أعطاه الله الحكمة ، ومنعه النبوة .

وقال أيضـــــا :

وقال ابن أبى حاتم ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عمر بن واقد ، عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبى الدرداء ، أنه قال يوما ، وذكر لقمان الحكيم ، فقال : ما أوتى ما أوتى ، عن أهل ، ولا مال ، ولا حسب ، ولا خصال ، ولكنه كان

---

(١) انظر / تفسير الطبرى / جـ ١٨ / ص ٦٧ ، ٦٨ / الطبعة الثالثة - الحلبى وأولاده بمصر .

رجلا صمصاما[١] ، سكيتاً[٢] طويل التفكر ، عميق النظر ، لم ينم نهارا قط
ولم يره أحد ، يبزق ولا يتنخع ، ولا يبول ولا يتغوط ، ولا يغتسل ، ولا يعبث ،
ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقا نطقه ، الا أن يقول حكمة يستعيدها اياه
أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا ، فلم يبك عليهم ، وكان يغشى السلطان
ويأتى الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر . فبذلك أوتى ما أوتى .[٣]

وذكر البغوى :

ان لقمان كان خياطا ، وكان راعى غنم ، حيث قال :

" وقال سعيد بن المسيب : كان خياطا ، وقيل كان راعى غنم ، فروى أنه لقيه
رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال : ألست فلانا الراعى ؟ فبم بلغت ما بلغت ؟ .
قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنينى " .[٤]

كما أشار القرطبى الى أنه كان يحتطب الحطب لمولاه ، حيث قال :

وقيل : كان يحتطب لمولاه حزمة حطب ، وقال لرجل ينظر اليه : ان كنت ترانى
غليظ الشفتين ، فانه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وان كنت ترانى أسود ، فقلبى

---

(١) صمصام : الصمصام والصمصامة : السيف الصارم الذى لا ينثنى ، ورجل صمصام وصمصامة : قيل : هو الشديد الصلب . وقيل : هو المجتمع الخلق .
المرجع : لسان العرب / لابن منظور / مجلد ١٢ / ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ / بيروت / ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨) / بتصرف .

(٢) سكيتا : سكّيت وسكيت : أى كثير السكوت . ورجل سكيت وساكوت : اذا كان قليل الكلام من غير عى ، فاذا تكلم أحسن .
المرجع : لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٢ / ص ٤٣ / بيروت / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م / بتصرف .

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، طبعة الحلبى وشركاه .

(٤) تفسير الخازن جـ ٤ ص ٢١٥ الطبعة الثانية - الحلبى وشركاه .

أبيـــــــض .(١)

أما الألوسي فقال :

اختلف فيما كان يعانيه من الأشغال ، فقال خالد بن الربيع : كان نجـــارا بالراء ، وفي معاني الزجاج : كان نجادا بالدال ، وهي على وزن كتـــان ، من يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما .

وأخرج ابن أبي شيبة ،وأحمد في الزهد ،وابن المنذر عن ابن المسيب: أنه كان خياطا ،وهو أعم من النجاد .(٢)

قلـــت :-

بعد استعراض هذه الروايات يمكنني أن أستخلص منها ما يلي :

١ - أن أهم صفات لقمان الحكيم الخِلْقية هي :-

أنه كان عبدا أسود ،قصيرا ،أفطس الأنف ،غليظ الشفتين ،عظيمهمـا ، وكان مصفح القدمين ومشققهما .

٢ - أما أهم صفاته الخُلُقية فهي :-

أنه كان يتصف بصفات حميدة ، ويزاول مهنا متعددة ،ومن أهم ذلك :- أنه كان رجلا صمصاما سكّيتا ،طويل التفكر ،عميق النظر ،لم يره أحد قط يبزق ، أو يتبول ،أو يتخوط ،أو يعبث ،كما كان يغشى السلطان والمحاكم لينظر ويتفكر ويعتبر ، وكان صادق الحديث أمينا ،لا يتدخل فيما لا يعنيه. كما اشتهر بالحكمة في أقواله وأفعاله .

---

(١) انظر/ الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / جـ ١٤ / ص ٢١٥ ،الطبعـــة الثانية -الحلبي وشركاه.

(٢) انظر / روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١/ ص ٨٣ / دار احياء التراث العربي .

٣ - أما الأعمال والمهن التى كان يزاولها فهى :-

أنه كان نجارا ونجادا وخياطا وراعيا للغنم ،وكان يحتطب لمولاه .

ولا مانع من الجمع بين هذه المهن ،لامكان القيام بهافى أوقات مختلفة .

وبعد استقراء هذه الصفات وحصرها على الوجه المذكور ،يتبين أن لقمان رجل توافرت فيه كل عناصر الصلاح والقدوة الطيبة .

فكونه مملوكا ،لم يصرفه ذلك عن معرفة ربه ، وكلما تنوعت المشاغل ،ازداد الاقبال على الله ، مما يدل على أن حقوق الخلق ،لم تطغ على حقوق الله . وممن يؤتيهم الله أجرهم مضاعفا ، العبد المملوك ، الذى قام بحق سيده ، ولم يفرط فى حقوق ربه .

وكونه أسود البشرة ،لا يعكر ذلك من قيمته ، فالحياة لا تعرف البشرة الا غطاء على ما وراءها ،أسود أو أبيض ، أو كان من لون المرمر ،أو من هيئة الطين . فهو أسود البشرة ،ابيض القلب ،وهذا هوالمطلوب .

وتباهى البيض فى عصرنا الحاضر ، انما هو كتباهى ابليس ، بأنه خلق من نار ،وآدم خلق من طين ، والنار أفضل من الطين ،على قياسه المعكوس .

وليس للانسان دخل فى بياض بشرته ،أو فى سوادها ،وانما يتفاضل الناس بالأعمال التى لارادتهم دخل فيها .

ومن صفاته ،أنه غليظ الشفتين ،لكن منهما تنبع الحكمة ،وكأنما شفتاه مخزن تختزن فيه الحكمة . ومن عجائب قدرة الله تعالى ، أن يخرج الشىء من ضده ،فغلظ الشفتين ربما كان علامة على البلاهة ، ومع ذلك فقد أخرج الله منهما الحكمة النقية

العالية ، وكأنهما كتاب ترتفع أوراقه ، لكثرة ما فيها . وسبحان من أخرج من الشجر الأخضر نارا ، ومن غلظ الشفتين حكمة ، تضيء الدنيا ، " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . " (١)

وتأمل تعليله : " بم آتاه " : " بصدق الحديث وسكوته عما لا يعنيه " : انهما أمران يتناول بهما كل جوانب الحياة ، فاذا تكلم صدق ، واذا لم يكن الأمر يعنيه ، صمت . وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا حصائد ألسنتهم . ومن حسن اسلام المرء ، تركه ما لا يعنيه ، أما اشتغاله بما لا يعنيه ، فضرب مذموم وفضول ممقوت .

وكونه من الحبشة أو من السودان أو من غيرهما ، فان الذى يعنينا جنسيته الخلقية ، أما نسبه وماينتمى اليه من الأوطان ، فان النسب الصحيح الذى ينتمى اليه كل امرىء ، هو التقوى ، وفى الحديث : " عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله يوم القيامة : انى جعلت نسبا ، وجعلتم نسبا ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا : فلان اكرم من فلان وفلان أكرم من فلان ، وانى اليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم ، ألا ان أوليائى المتقون " . (٢)

فلقمان ينتسب الى شجرة التقوى بفروعها العديدة . كان قاضيا على ما يقال ، ولعمل القضاء من أهم المهن الشريفة ، التى يرفع الله بها صاحبها ، فان استقرار الحق فى مواطنه يحسن الله به الذكر ، ويعظم به الأجر ، وقاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، ولقمان يمثل جانب العدل والانصاف .

---

(١) سورة البقرة - آية : - ٢٦٩ - .

~~(٢) معجم الطبرانى / جـ / ص~~

ولقد اشتغل بأمور كثيرة حسب مقتضيات الأحوال ،عمل نجارا ،كما عمل نوح عليه السلام ، وعمل جزارا ،ليضرب للناس أروع الأمثلة ،من وراء عمل عادى ،فيبرهن لهم على أن القلب واللسان ،أطيب مضغتين ،وأخبث مضغتين ومدار ذلك على سيطرة النفس عليهما ، فان سيطرا على النفس ،كانا أخبث مضغتين ،وان سيطرت عليهما النفس ،كانا أطيب مضغتين .

ومعنى هذا أنه يلفت النظر اليهما ،فهما مجالا الاصلاح فى داخل الانسان وخارجه ، ففى القلب تستقر القيم ، وباللسان يعامل الآخرون .

ومن مهنته أنه كان يرعى الغنم ، وكأنما يريد الله له ،أن يقوم بدور تربوى عظيم الشأن ، فرعى الغنم ،مقدمة لرعى البشر ، وما من نبى الا رعى الغنم ، قبل أن يرعى البشر ،واشتغال لقمان بهذه المهنة ،يرشحه لدور عظيم الشأن -ان لم يكن نبيا -فهو مصلح اجتماعى ،يصلح بحكمته ورويته وتأملاته واستنتاجاته .

وفى بعض أوصافه : " أنه كان قصيرا أفطس الأنف " .

وقد قلت ،ان الصفات الخلقية ،لا دخل لصاحبها فيها ،وكم من أناس ،كانت أجسامهم موضع سخرية الآخرين منهم ،وآخرون استنارت بصائرهم ،فغضوا الطرف عما لا دخل للانسان فيه ،وأطلقوا عقولهم ، فيما هو مدار الجمال والقبح ، من صفات مكتسبة ،يحصلها الانسان لنفسه بكفاحه وارادته . قال تعالى عن المنافقين : " واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ،يحسبون كل صيحة عليهم " .(١)

---

(١) سورة المنافقون - آية : - ٤ - .

والحق أن مصلحة الرعية لا ترتبط براعيها من ناحية شكله وملامح وجهه ، وعظم جسمانه ، وانما مصلحتهم ، من حيث اتصالهم به ، ونسبته اليهم ، ولقمان الحكيم ، اتصل بكل عقل سليم ، عن طريق حكمته ، فاقترب الى الناس بحسن معرفته ، وجمال صياغته .

ما أوتى

وتأمل : " مارواه ابن أبى حاتم ، عن أبى الدرداء أنه قال يوما : ما أوتى / عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ، ولكنه كان رجلا صمصاما سكيتا ، طويل التفكر عميق النظر ، لم ينم نهارا قط ، ولم يره أحد يبزق ، ولا يتنخع ، ولا يبول ، ولا يتغوط ولا يغتسل ، ولا يعبث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقا نطقه ، الا أن يقول حكمة ، يستعيدها اياه أحد ، وكان قد تزوج ، وولد له أولاد ، فماتوا ، فلم يبك عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر ، فبذلك أوتى ما أوتى" .

وأيا ما كان هذا الخبر ، من حيث صحته أو الشك فيها ، فان القدر المتفق عليه بين البشر ، أن توافر تلك الصفات والأحوال ، يرشح لأعلى مناصب التوجيه والقيادة ، فهو لم ينل ما ناله عن صفات مادية ، بل عن صفات روحية ، فالمال والأهل والحسب والنسب ، وغير ذلك ، أمور مادية لا دخل لها فى ملكات النفوس والأذهان بل ربما كانت هذه الملكات تعويضا عن النقص المادى ، وملكات النفوس والأذهان مزية غير قابلة للمسخ ، بخلاف الماديات ، فانها معرضة للنقصان والزوال .

ولقمان : صمصام سكيت ، أى : حازم فى غير عنف ، رحيم فى غير ضعف ، كثير الصمت عن غير عى ، والرجولة الحقيقية ، افراغ النفس فى أسلوب قوى جزل من

الحياة ، متساوق فى نمط الاجتماع ، طلق بمعانى الدين ، مصقول بجمال الانسانية مسترسل ببلاغة وقوة وجمال الى غايته السامية ، من نشر الخير واعلاء كلمة الحق .

ولعل اشتغاله بالمهن العديدة ، مما نمى فيه القدرة على مواجهة الحياة ، على خياطة فعوده ذلك على ربط النفوس بعضها ببعض بخيوط حكمته . وكـــان يحتطب ، فعرف من هذه المهنة - ومن غيرها - كيف تتقّى الحكمة وتختار ، لتملأ النفوس اشراقا وتوقدا .

ولعلى بهذا قد استطعت ابراز جوانب الاشراق فى لقمان الحكيم ، مــن خلال ما نقل عنه من الأخبار .

الفصل الثالث

في تحقيق القول : في نبوة لقمان أو ولايته

اختلفت الأقوال في كون لقمان نبيا أو وليا من أولياء الله تعالى . وسأورد أهم تلك الأقوال ، ثم أقوم بعد ذلك بترجيح ما تميل اليه النفس وتطمئن اليه ان شاء الله تعالى :-

قال الامام الطبري رحمه الله :

حدثني محمد بن عمرو ، قال حدثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال ، ثنا ورقاء جميعا ، عن أبي نجيح عن مجاهد قوله : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " : قال : الفقه والعقل والاصابة في القول من غير نبوة .

وقال : حدثنا بشر قال ، ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد عن قتادة ، قوله :" ولقد آتينا لقمان الحكمة" : أي الفقه في الاسلام ، قال : قتادة ولم يكن نبيا ولم يوح اليه .

وقال : حدثنا ابن المثنى ، ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا .

ثم قال أيضا : حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد " ولقد آتينا لقمان الحكمة " :

قال : القرآن .

وقال : ثنا أبي عن سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد قال : الحكمة : الأمانة .

ثم قال بعد ذلك : وقال آخرون كان نبيا :-

ورواية ذلك :

حدثنا ابن وكيع قال : ثنى أبى عن اسرائيل ، عن جابر عن عكرمة قال : كــان لقمــان نبيــا ، [(١)]

أما ابن كثير فقد اشار فى بداية الكلام عن لقمان ، الى اختلاف أقــوال السلف فيه ، هل كان نبيا ؟ أو كان عبدا صالحا من غير نبوة ؟ . وأن الأكثرين منهم على القول الثانى .

ثم ذكر بعد ذلك مجموعة من الروايات منها ما يدل على أنه كان نبيا ومنها مـا يدل على أنه لم يكن نبيا ، وانما كان عبدا صالحا . ثم عقب بعد ذلك بقوله :- " فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفى كونه نبيا ، ومنها ما هو مشعر بذلــك لأن كونه عبدا قد مسه الرق ، ينافى كونه نبيا ، لأن الرسل كانت تبعث فــى احساب قومها . ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا . وانما ينقل كونه نبيا عن عكرمة أن صح السند اليه ، فانه رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديـث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال : كان لقمان نبيا . وجابر هذا هــو ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف والله أعلم " . [(٢)]

وقد أورد القرطبى رحمه الله عدة روايات ، منها ما ينفى النبوة عن لقمان صراحة ، ومنها ما هو مشعر بأنه نبى . ومن تلك الروايات مايلى :-

قال سعيد بن المسيب ، كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر [(٣)] ، أعطاه الله تعالى الحكمة ، ومنعه النبوة ، وعلى هذا جمهور أهل التأويل ، انه كان وليا ولم يكن نبيا .

---

(١) تفسير الطبرى / جـ ١٨ [جـ ٢١] ص ٦٧ ، ٦٨ / الطبعة الثالثة / الحلبى وأولاده بمصـــر .

(٢) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ٣ / ص ٤٤٣ / طبعة الحلبى وشركاه .

(٣) انظر / احكام القرآن لابن العربى / جـ ٢ / ص ١٤٩٥

وقال بنبوته : عكرمة والشعبى . وعلى هذا : تكون الحكمة : النبوة ،

والصواب : أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى -وهى الصواب فى المعتقدات والفقه والدين والعقل -قاضيا فى بنى اسرائيل ،أسود مشقق الرجلين ،ذا مشافر أى : عظيم الشفتين ، قاله ابن عباس وغيره .

وروى من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يكن لقمان نبيا ،ولكن كان عبدا كثير التفكر ،حسن اليقين ،أحب الله تعالى فأحبه ،فمنّ عليه بالحكمة ،وخيّره فى أن يجعله خليفة يحكم بالحق ؛ فقال : رب ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء ،وان عزمت علىّ فسمعا وطاعة، فانك ستعصمنى ،ذكره ابن عطية .

وزاد الثعلبى : فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لقمان ؟ قال : لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ، ان يعن فبالحرى ان ينجو ،وان أخطأ ،أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن فى الدنيا ذليلا (فذلك) خير من أن يكون فيها شريفا ، ومن يختر الدنيا على الآخرة ،تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة . فعجبت الملائكة من حسن منطقه ،فنام نومة ،فأعطى الحكمة ،فانتبه يتكلم بها .

ثم نودى داود بعده فقبلها -يعنى الخلافة -ولم يشترط ما اشترطه لقمان، فهوى فى الخطيئة غير مرة ،كل ذلك يعفو الله عنه ، وكان لقمان يؤازره بحكمته فقال له داود : طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة ،وابتلى بالبلاء والفتنة .

وقال قتادة : خير الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم ، فذرّ عليه الحكمة ، فأصبح ينطق بها ، فقيل له : كيف اخترت الحكمة على النبوة ، وقد خيرك ربك ؟ فقال : انه لو ارسل اليّ بالنبوة عزمة ، لرجوت فيها العون منه ، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب اليّ" . (١)

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / جـ ١٤ / ص ٥٩ ، ٦٠ / دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

وانظر / أحكام القرآن لابن العربي / جـ ٢ / ص ١٤٩٥

" الترجيـــــــــــح "

من الروايات السابقة ، يتضح أن القول بنبوة لقمان ، قول ضعيـــف ، لا يمكن الاعتماد عليه ، والاطمئنان اليه ، لامور هى :-

١ - ضعف رواياته . فجميع تلك الروايات التى ذكرت أنه كان نبيا ، كلهـــا ضعيفة .

٢ - أن الانبياء كانوا يبعثون فى احساب قومهم .

٣ - كون لقمان عليه السلام قد مسه الرق ، حيث صرحت بعض الروايـــات بعبوديته .

والذى تميل اليه النفس ، بل وتطمئن اليه ، هو القول بحكمة لقمان اى أنه كان حكيما بحكمة الله تعالى ، ووليا من أوليائه ، -والله أعلم - .

لا سيما وأن كثيرا من المفسرين ، يفسرون الحكمة بانها الصواب فـــى المعتقدات ، والفقه فى الدين ، والعقل ، والاصابة فى القول من غير نبوة ، واللـــه اعلـــم .

البـــــاب الثانـــــــى

" تفسير الآيات المتعلقـــة بلقمـــــان "
" الــــوارد ة فـــى ســـورة لقمـــان "
" وتحــــت ذلــك فصــــــول "

كنت أود أن يبدأ الباحث الباب الثاني من رسالته وهو التفسير الموضوعي
بعرض الوصايا والمواعظ [illegible] التي ذكرت ثم يفصل الكلام
ويستوعب البحث [illegible] واحدة منها [illegible] [illegible]
[illegible] للمسلم [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] القرآن الكريم وتوضيح [illegible] خلال وصايا لقمان

البـــاب الثانـــــى

ويشتمل على تسعة فصــول :

الفصــل الأول :

فى تفسير قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانمايشكر لنفسه ومن كفر فانّ الله غنىّ حميد " .

ويتم ذلك فى ضوء النقاط التالية :

١ - تفسير قوله سبحانه : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " .

٢ - الحديث عن الحكمة ، ويتضمن ذلك :-

تعريف الحكمة ، وبيان مضمونها ، واستقراؤها فى الكتاب والسنة .

٣ - تفسير قوله سبحانه : " ان اشكر لله ومن يشكر فانمايشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد " :-

وذلك فى ضوء النقاط التالية :-

أ - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر .

ب - بيان معنى الشكر وتوضيح ما يتضمنه الشكر ، وبم يتحقق .

جـ - بيان أن عقيدة التوحيد هى رأس الحكمة ، ويتضمن هذا :-

١) بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم : " الحكماء " .

٢) بيان الحكمة عند أهل الكتاب :-

أولا : عند اليهود .

ثانيا : عند النصارى .

٣) بيان الحكمة فى الا سلام .

الفصل الثاني :

في تفسير قوله تعالى : " واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم" .

ويتضمن ذلك بيان مايلي :-

١ - بيان معنى الوعظ .

٢ - بيان سبب نزول قوله سبحانه : " ان الشرك لظلم عظيم" .

٣ - بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم" :-

أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .

ب - أم هو خبر من الله ، منقطع عن كلام لقمان ، متصل به في تأكيد المعنى ؟ .

٤ - بيان معنى الشرك .

الفصل الثالث :

في تفسير قوله تعالى :-

" ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير . وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتّبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون" .

ويتم ذلك في ضوء النقاط التالية :-

١ - ايراد أهم الأقوال التي قيلت في الآيتين الكريمتين ، ثم توجيه تلك الأقوال .

٣ - بيان معنى الوصية في اللغة .

٣ - بيان معنى الوصية فى القرآن الكريم .

٤ - الانسان فى القرآن الكريم :-

ويتضمن ذلك مايلى :-

أ - المخلوق المسئول .

ب - الانسان الكائن المكلف .

جـ - الانسان روح وجسد .

٥ - تفسير الآيتين الكريمتين .

الفصـــل الرابـــع :

فى تفسير قوله تعالى :-

" يا بنىّ انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله انّ الله لطيف خبير " .

وذلك ببيان مايلى :-

١ - بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ،وأنه لا تخفى عليه خافية ، وذلك أخذا من الآية الكريمة ، حيث اشتملت على صفتين :-

أ - صفة القدرة .

ب - صفة شمول علمه سبحانه .

٢ - تفسير الآية الكريمة .

الفصـــل الخامـــس :

فى ما يتعلق برأس العبادات البدنية :-

وذلك أخذا من قوله تعالى : " يا بنى أقم الصلاة " .

ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التالية :-

١ - الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله تعالى ، ولأهميتها أمر لقمان بها ابنه .

٢ - منزلة الصلاة فى الاسلام .

٣ - فرضية الصلاة ، ومعناها لغة وشرعا .

٤ - معنى اقامة الصلاة .

٥ - الصلاة قوة خلقية ، تعوّد صاحبها الطاعة .

٦ - الصلاة طهرة للنفس من الآثام ، وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات .

٧ - الصلاة نظافة وتجمل .

٨ - فى الصلاة رياضة بدنية .

الفصـــل الســـادس :

فى تفسير قوله تعالى :-

" وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " .

ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التالية :-

١ - مدلول الأمر والنهى .

٢ - مدلول المعروف والمنكر .

٣ - الحد الفاصل بين المعروف والمنكر .

٤ - حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٥ - أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٦ - أيهما يقدم ؟ الأمر بالمعروف أم النهى عن المنكر . ؟

٧ - هل الأمر بالمعروف يعتبر نهيا عن المنكر ؟ وبالعكس ؟ أم أن كلا منهما مستقل ؟ .

٨ - مراتب كل منهما .

٩ - اثر القيام بهما والتقصير فى أدائهما .

١٠ - تفسير جزء الآية الكريمة .

الفصل السابع :

فى تفسير قوله تعالى :-

" واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور " .

سأبحث هذا الجزء من الآية الكريمة فى ضوء النقاط التالية :-

١ - معنى الصبر .

٢ - أنواع الصبر.

٣ - الصبر نصف الايمان .

٤ - ذكر بعض أسماء الصبر، بالاضافة الى متعلقه .

٥ - مراتب الصبر .

٦ - تفسير جزء الآية الكريمة .

الفصل الثامن :

فى تفسير قوله تعالى :-

" ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور" .

تدور هذه الآية حول عنصرين هامين هما :-

أ - ذم الكبر .

ب - مدح التواضع .

ويتم البحث فيها على النحو الآتى :-

١ - معنى التصعير .

٢ - معنى الخد .

٣ - معنى المرح .

٤ - ليس المراد حصر الكبر فى المشى ، بل له صور أخرى .

٥ - دخول النفى على صيغة العموم .

٦ - معنى الاختيال والفخور .

٧ - مقتضى النهى .

٨ - مفهوم النهى فى هذا الموضع وهو : " التواضع" .

٩ - حقيقة الكبر وذمه .

١٠ - علة ذلك وهو أن الكبر لله وحده .

١١ - مع المفسرين .

الفصـــــل التاســـــع :-

فى تفسير قوله تعالى :-

" واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير" .

ويتم البحث فى هذه الآية الكريمة على النحو الآتى :-

١ - معنى القصد .

٢ - معنى الغض .

٣ - معنى التعقيب بقوله : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" .

٤ - الحكمة فى القصد وغض الصوت .

٥ - تفسير الآية الكريمة .

الفصـــــل الأول

الحكمة

في تفسير قوله تعالى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد "

ويتم ذلك في ضوء النقاط التالية :-

١ - تفسير قوله سبحانه : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " .

٢ - الحديث عن الحكمة ويتضمن ذلك :-

تعريف الحكمة ، وبيان مضمونها واستقراؤها في الكتاب والسنة .

٣ - تفسير قوله سبحانه : " ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد " .

وذلك في ضوء النقاط التاليـــــة :-

ا - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر .

ب - بيان معنى الشكر ، وتوضيح ما يتضمنه الشكر ، وبم يتحقق .

جـ - بيان ان عقيدة التوحيد هي راس الحكمة : ويتضمن هذا :-

١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على انفسهم " الحكماء " .

٢ - بيان الحكمة عند أهل الكتاب :-

أولا : عند اليهود .

ثانيا : عند النصارى .

٣ - بيان الحكمة في الاسلام .

١ - تفسير قوله سبحانه : " ولقد آتينا لقمان الحكمة " :-

الواو : حرف قسم . والمقسم به محذوف لمعرفته . والتقدير : والله . ونحـــوه .

واللام : واقعة فى جواب القسم .

وقد : للتحقيق ، وتختص بالدخول على الافعال المتصرفة فلا تدخـــل على جامد نحو : عسى . ولا على فعل نفى ، نحو : ليس .

والايتاء : هو الاعطاء .

ولقمان : سبق الكلام عنه .

٢ - الحديث عن الحكمـــــــــــــــــة :-

واتحدث عنها فى ضوء النقاط الآتية :-

تعريفها ، وبيان مضمونها ، واستقراؤها فى الكتاب والسنة :-

اما تعريفهـــــا :

فربما زادت الاقوال فيها الى عشرين أو يزيد ، ولا أرى فى هذه الاقوال اختلافا كثيرا . بل هى متقاربة ، لان أصحابها نظروا الى بعض مضمون الحكمـــة .

ففى لسان العرب : الحكمة : عبارة عن : " معرفة أفضل الأشياء بأفضـــل العلوم " . (١) فقد نظر صاحب هذا القول : الى بعض وسائل المعرفـــة . فقوله : " معرفة افضل الأشياء " : يشير بذلك الى موضوعها ، فما لم يكن فاضلا ، لم يكن من الحكمة . فالمعارف الخسيسة ، كانساب الخيـــل ، والسحر ونحوهما ، ليسا من الحكمة لأن هذه الأشياء ليست من أفضـــل

---

(١) لسان العرب / لابن منظور / جـ ١٢ / ص ١٤٠ .

ما يطلب ، ولا من فاضله . فبعضها : العلم بها : علم لا ينفع ، وجهل لا يضر ، وبعضها : يعرّض العلم بها ، الى مقت الله ، كالسحر حين يستغل للضرر .

وقوله : "بافضل العلوم" : يشير الى أن الحكمة ، ما استخدمت فيها ، أفضل الوسائل . فالوسائل متفاوتة ، بعضها أفضل من بعض ، فالوصول بالحيلة او الكذب أو الغش ، وصول بغير الحكمة ، لأن هذه الأشياء ليست من افضل العلوم . وافضل العلوم والوسائل : هى الشرعية التى قررها الشارع الحكيم .

وقـــال الطبـــرى :

الحكمة : هى : الفقه فى الدين والعقل والاصابة فى القول .

وعزا ذلك الى مجاهد . وعن قتادة : الحكمة : الفقه فى الاسلام . (١)

وارى أن ما نقله الطبرى ، نظر من نقل عنهم ، الى شىء من مضمون الحكمـــة ، فالفقه فى الدين أو الاسلام ، او اصابة الحق ، لا ريب ان كل هذا مما يندرج تحت مضمون الحكمة .

وقـــال ابن كثيـــر :

الحكمة : هى الفهم والعلم والتعبير . (٢)

وارى ان هذا ، قد الم بكل جوانب الحكمة ، من فهم وعلم وتعبير ، لانه نظر الى قوة الشخص الذى أوتى الحكمة ، فلاحظ قدرته على اصابة الحق بفهمه الحســن وسعة أفقه بعلمه الواسع ، وقدرته على تصوير فهمه وعلمه بالتعبير الحسن .

---

(١) انظر / جامع البيان عن تاويل آى القرآن / للطبرى / جـ ٢١ / ص ٦٧ / الطبعة الثالثة ٨٨ هـ ، ٦٨ م .

(٢) انظر / تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / جـ ٣ / ص ٤٤٤ / طبعـة البابى الحلبى وشركاه .

وقال : عند قوله تعالى : " يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا" : قال على بن ابى طلحة عن ابن عباس ، يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه وأمثاله .

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا : الحكمة : القرآن ، يعنى : تفسيره . قال ابن عباس : فانه قد قرأه البر والفاجر " رواه ابن مردويه . وقال ابن أبى نجيح : يعنى بالحكمة : الاصابة فى القول . (١)

فأنت ترى اختلاف النظر الى مضمون الحكمة ، فمنهم من يخصها بتفسير القرآن . وهذا من الحكمة بلا شك . ومنهم من ينظر الى مطلق الاصابة فى القول . وهو ان طابق الواقع كان من الحكمة .

ومن نظر الى بعض محتويات القرآن : اختار أن الحكمة : معرفة المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمقدم والمؤخر .... الخ .

وهذا لا شك من الحكمة لأنه فيه فهما لمواقع كلمات القرآن .

واستطرد قائلا : قال أبو العالية : الحكمة : خشية الله . (٢)

ولا شك أن خشية الله من أعلى الحكمة ، لان الحكمة منفعة ومصلحة ، تعود على صاحبها ، ولا أنفع من خشية الله للعبد . ويؤيده ما روى عن ابن مسعود مرفوعا : " رأس الحكمة مخافة الله تعالى " . (٣)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / جـ ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابى الحلبى وشركاه .

(٢) انظر تفسير ابن كثير / جـ ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابى الحلبى وشركاه .

(٣) انظر / نوادر الاصول / للحكيم الترمذى / ص ٤٧١ / المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

وذكر أيضا عن ابى مالك . قوله : الحكمة : السنة .(١)

ولا شك أن الحكمة تأتى بمعنى السنة ، ويؤيد ذلك كثير من الآيات القرآنية .

من ذلك قوله تعالى : فى سورة البقرة : " يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم " . الآية ، رقم الآية "١٢٩" . فقد فسرت الحكمة هنا بمعنى السنة . وكذلك قوله تعالى : " واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة " الآية سورة البقرة / ٢٣١ . وكذلك قوله تعالى : " وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم" النساء / ١١٣ .
فقد فسرت الحكمة فى هذه الآيات بمعنى السنة .

كما اخرج ايضا عن مالك أن زيد بن أسلم قال : الحكمة : العقل .(٢)

وارى أن مثل هذا القول يمكن رده الى كون القائل قد نظر الى مصدر الحكمة او الى ما تدرك به الحكمة ، لأن الحكمة قد يدركها العقل السليم . ولا ريب أن العقل يعوّل عليه فى كل تصرف يقوم به صاحبه .

ويقرب من هذا المعنى . ما أخرجه ابن كثير عن مالك حيث يقول : " وانه ليقع فى قلبى أن الحكمة ، هو : الفقه فى دين الله ، وامر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله . ومما يبين ذلك . أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا اذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا فى امر دنياه ، عالما بأمر دينه ، بصيرا به ، يؤتيه الله اياه ويحرمه هذا ، فالحكمة : الفقه فى دين الله" .(٣)

---

(١) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ١ / ص ٣٢٢ / طبعة الحلبى وشركاه .
(٢) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ١ / ص ٣٢٢ / طبعة الحلبى وشركاه .
(٣) المرجع السابق / ص ٣٢٢ .

لأن الفقه فى دين الله من اعلى مايدركه القلب والعقل ، واذا كانت الحكمة تحمل معنى المنفعة ، فلا منفعة خير من الفقه فى دين الله .

" ومنهم من يرى ان الحكمة هى النبوة" . (١)

وهى كذلك من أعلى مراتب الحكمة التى يمنحها الله لمن يختار من عباده ، قال تعالى :- " الله أعلم حيث يجعل رسالته" سورة الانعام / آية : ١٢٤ .

وقد استطرد ابن كثير ، حيث قال : والصحيح أن الحكمة كماقاله الجمهور :

لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها ، واعلاها النبوة والرسالة اخص . ولكن لاتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع ، كما جاء فى بعض الأحاديث :- " من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه" (٢) رواه وكيع ابن الجراح فى تفسيره عن اسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر .

وفى حديث آخر عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا حسد الا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالافسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة - وفى بعض روايات الصحيح : الحكمة : بالتعريف - فهو يقضى بها ويعلمها" .

وهكذا رواه البخارى (٣) ومسلم (٤) والنسائى وابن ماجه من طرق متعددة عن

---

(١) المرجع السابق / ص ٣٢٢ .

(٢) سنن ابن ماجه .

(٣) انظر / صحيح البخارى / جـ ٩ ص ١٠٤ / باب تمنى القرآن والعلم / كتاب التمنى / دار مطابع الشعب .

(٤) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / جـ ٢ / ص ٢٠١ / باب فضل

اسماعيل بن ابى خالد" .(١)

والحقيقة أن راى الجمهور هنا ، هو الراجح فى نظرى ، لان الحكمة أعم من أن تقصر على شئ دون شئ ، أو على شخص دون شخص ، فلو قصرناها على الانبياء لكان فى هذا مجانبة للصواب وبعد عن السداد ، ولو قصرناها على غير الانبياء - باعتبار أن الانبياء يتلقون الوحى من الله تعالى ، ويعطون بمقتضاه فهم معصومون - لكان فى هذا بعد عن الحق والقول السديد .

وهذا يتناسب مع ما اشار اليه القرطبى ، بعد ذكر معظم الاقوال السابقة فى الحكمة ، حيث أشار الى أنها مصدر من مصادر الاحكام وهو الاتقان ، فى قول او فعل ، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التى هى الجنس ، فكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمه ، وكل ماذكر من التفضيل فهو حكمة ، واصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم ، وفى البخارى : " من يرد الله بن خيرا يفقّهه فى الدين".(٢)(٣)

أما الألوسى فقد تطرق لكثير من الاقوال السابقة فى الحكمة واضاف الى ذلك أقوالا أخرى ومما زاده مايلى :

= من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها / القاهرة / ١٣٨٣هـ .

(١) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ١ / ص ٣٢٢ / طبعة البابى الحلبى وشركاه .

(٢) انظر / صحيح البخارى / جـ ١ / ص ٢٧ ، ٢٨ / باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين / كتاب العلم .

(٣) انظر / الجامع لاحكام القرآن / للقرطبى / جـ ٣ / ص ٣٣٠ / الطبعة الثالثة / ٨٧ هـ ، ٦٧ م / دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

قال في رواية عن مجاهد ، أن الحكمة : العلم الذى تعظم منفعته وتجل فائدتـــــه" .(١)

ومما لا شك فيه ان العلم العظيم النفع ، الجليل الفائدة ، يعتبر من الحكمـــة ، ولكن يجب أن ينظر الى هذا بصفته شاملا لجميع أنواع العلوم التى ينطبق عليها التعريف الآنف الذكر ، والا كان هذا دالا على بعض مضمون الحكمة التى هــى الجنس ، كما سبق وان ذكرت ذلك .

ثم استطرد بعد ذلك قائلا : وقال أبوعثمان : هى نور يفرق به بيـــن الوسواس والالهام .

وذكر أيضا عن الراغب الاصفهانى قال : هى معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

وقال الامام(٢) : هى : عبارة عن توفيق العمل بالعلم ، ثم قال : وان أردنا تحديدا بما يدخل فيه حكمة الله تعالى . فنقول : حصول العلم على وفق المعلوم" .

وذكر عن ابى حيان قوله : الحكمة : هى المنطق الذى يتعظ به ويتنبه ويتناقله الناس لذلك " .(٣)

وصاحب هذا القول : كأنه يشير الى جانب من جوانب الحكمة ، وهو : المنطـــق المستقيم والعبارة الجذلة السهلة ، كما قال الجاحظ :

---

(١) انظر / روح المعانى / للآلوسى / جـ ٣ / ٤١ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

(٢) قوله : الامام : أى الفخر الرازى .

(٣) انظر : روح المعانى / للآلوسى / جـ ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

" واحسن الكلام ما يكون جذلا سهلا لا ينغلق معنا ولا ينبهم مغزاه" . (١)

وفى طباع الناس ، انهم لا يتناقلون من العبارات ، الا ما له صلة بحياتهم ، ولما كانت الحكمة فى هذا القول ، منطق يتمظ به ، تناقله لا محالة - أرباب القلوب الذين يتناقلون المواعظ الحكيمة .

ثم استطرد الالوسى بعد ذلك قائلا عن الحكمة : وقيل : هى اتقان الشىء علما وعملا" . (٢)

وهذا منظور فيه الى صاحب الحكمة ، وألى نفس الحكمة ، فلابد أن يكون صاحب الحكمة متقنا ، كما قيل عن على رضى الله عنه :- " قيمة الانسان بمايحسن" . (٣)

ونظر ايضا الى نفس الحكمة ، وهى أن تكون من اعلى درجات الاتقان فى العلم والعمل ، ليخرج : العلم المشوه ، والعمل الناقص ، فليسا من الحكمة .

وقال أيضا : وقيل : الحكمة : كمال حاصل باستكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة ، على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها" . (٤)

وصاحب هذا القول ، ينظر الى أثر الحكمة فى النفس الانسانية وهو كمالها ، فعمل الحكمة فى النفس اكمالها ، ليصير من يتصف بها ، كامل النفس ، رشيد التصرف .

---

(١) انظر : رسائل الرافعى / لأبى ريه / ص ٩٣ .

(٢) انظر : روح المعانى / للالوسى / جـ ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

(٣) انظر : تاريخ ابن خلدون / ص ٧١٨ / الطبعة الثانية / بيروت / ١٩٦١ .

(٤) انظر : روح المعانى / للالوسى / جـ ٢١ / ٨٣ / دار احياء التراث العربى لبنان .

وقد عبر العلماء عن مراتب العقل ومراحل تكوين النفس لتصير كاملة

فقالوا : - مراتب العقل اربعة :-

١ - الاستعداد المحض لادراك المعقولات . وهذا موجود فى الطفل المميز.

٢ - العقل بالملكة : وهو العلم بالضرورى ، واستعداد النفس لاكتساب النظر منه .

٣ - العقل المستفاد : وهو استنباط النظرى من الضرورى .

٤ - العقل بالفعل : وهو ان يحضر عنده النظريات التى ادركها بحيث لا تغيب . (١)

وصاحب هذا : هو : الرشيد والحكيم . وما لم يبلغ تلك الدرجة فلن يبلغ مرتبة الحكمة ."

" والعقل الذى يخاطبه الاسلام : هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ويميز بين الامور المتشابهة ويوازن بين الاضداد" . (٢)

وذكر الالوسى أخيرا :

أن الحكمة فسرها كثير من الحكماء ، بمعرفة حقائق الاشياء على ما هى عليه ، بقدر الطاقة البشرية " . (٣)

" وذلك لأن العالم مصبوغ ، بأخيلة النفس الوهمية ، التى نفضت عليه الوان

---

(١) انظر / المواقف / للايجى / جـ ٦ / ص ٤٣ :: ٤٠٦ بتصرف .

(٢) انظر / التفكير فريضة اسلامية / للعقاد / ص ٧ .

(٣) انظر / روح المعانى / للالوسى / جـ ٢١ / ص ٨٣ / دار احياء التراث العربى / لبنان .

الجنة ، فافسدته بهذا التمويه ، وتركت أهله يتكذبون فى اوصافه فيخطئون فى فهم حقائقه ، وقد جعلته كالقمر ، هو فى ذاته ، حجر مظلم ولكن ذهب الشمس يجعله كله فضة بيضاء" . (١)

والله عز وجل يقول : " وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور" ، (٢) والموفق من أراه الله الأشياء على حقيقتها ، حتى لا ينخدع بمظاهرها الجذابة ، التى تحمل فى ظاهرها الرحمة ، وتخفى فى باطنها العذاب .

وعليه فالحكمة رؤية الاشياء من غير تمويه ولا خداع .

اما الفخر الرازى : فقد ذكر ان المراد من الحكمة احد أمرين :

أولهما : العلم .

ثانيهما : فعل الصواب .

ثم أخذ فى بيان ذلك كمايلى :

يروى عن مقاتل أنه قال : تفسير الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : مواعظ القرآن ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به " الآية . البقرة / آية ٢٣١ / يعنى مواعظ القرآن .

وقوله تعالى فى سورة النساء / آية ١١٣ / " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة " الآية يعنى المواعظ .

---

(١) انظر : أوراق الورد للرافعى / ص ٥

(٢) سورة آل عمران - آية ١٨٥ .

وقوله تعالى فى سورة آل عمران / آية ٤٨ / " ويعلمه الكتاب والحكمة" الآية .

ثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم .

ومنه قوله تعالى فى سورة مريم / آية ١٢ / " وآتيناه الحكم صبيا" الآية .

وقوله تعالى فى سورة لقمان / آية ١٢ / " ولقد آتينا لقمان الحكمة" الآية يعنى الفهم والعلم .

وقوله تعالى فى سورة الأنعام / ٨٩ / " أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم " الآية .

ثالثها : الحكمة بمعنى النبوة . :

ويدل على ذلك قوله تعالى فى سورة النساء / آية ٥٤ / " فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة " الآية يعنى النبوة .

وقوله تعالى فى سورة " ص" / آية ٢٠ / " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" يعنى النبوة .

وقوله تعالى فى سورة البقرة / آية ٢٥١ / " وآتاه الله الملك والحكمة" الآية .

رابعها : القرآن بما فيه من عجائب الأسرار :-

يؤيد ذلك قوله تعالى فى سورة النحل / آية ١٢٥ / " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" الآية .

وقوله تعالى فى سورة البقرة / آية ٢٦٩ / " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا" الآية .[١]

---

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازى / جـ ٧ / ٦٧ / بتصرف يسير .

واذا أمعنا النظر فى هذه الوجوه الأربعة ، نجدها عند التحقيق ترجع الى شىء واحد هوالعلم ، لأن العلم ليس له نهاية معروفة ، ولا حدود معينة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : " وما أوتيتم من العلم الا قليلا " . سورة الاسراء / آية ٨٥ .

فمهما بلغ الانسان من العلم ومهما علم فانه لا يزال يجهل أشياء كثيرة وكثيرة جدا .

كما يؤيد ذلك من السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم : " وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه" (١) وقد قيل : " من ظن يوما أنه قد علم فقد جهل " ، والله سبحانه وتعالى سمى الدنيا بأسرها قليلا ، فقال جل ذكره : " قل متاع الدنيا قليل" سورة / النساء / آية ٣٧ - كما قال سبحانه : " وفوق كل ذى علم عليم " سورة / يوسف / آية ٧٦ . وقال عن الحكمة : " ومن يوءت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا" سورة البقرة / آية ٢٦٩ .

واذا تأملنا مقدار هذا القليل وضآلته ، عرفنا عظمة ذلك الكثير ، لا سيما وأن البرهان العقلى يطابق ذلك ، لأن الدنيا متناهية المقدار ، كما أنها متناهية المدة . أما العلوم التى هى الحكمة ، فلا نهاية لمراتبها وعددها ولا لمدة بقائها والسعادة الحاصلة منها . وهذا يبين لنا بوضوح فضيلة العلم ومكانته العالية " عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع" . (٢) هذا حديث حسن غريب .

---

(١) انظر / سنن الدارمى / المقدمة / ص ٣٠ .

(٢) انظر/ الجامع الصحيح للترمذى / ج ٤ ص ١٣٧ / باب فضل طلب العلم .

" أما الحكمة بمعنى فعل الصواب : فقيل فى حدها : انها التخلق باخلاق الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" (١) .

وتعريف الحكمة بهذا المعنى ، لا يكون تعريفا شاملا وانما هذا بعض مضمون الحكمة لأن الحكمة أعم وأشمل من أن تقتصر على فعل الصواب . وان كان هذا فى حد ذاته ، أمرا مهما .

وقد أشار الرازى بعد ذلك الى أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين السابق ذكرهما ، لأن كمال الانسان فى شيئين : هما :-

١ - أن يعرف الحق لذاته ، ومرجع هذا الى العلم والادراك المطابق .

٢ - معرفة ذلك لأجل العمل به . ومرد هذا الى فعل العدل والصواب .

والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم كما يلى :-

أ - ما حكى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى : " رب هب لى حكما " فهذا الجزء من الآية هو الحكمة النظرية .

وقوله تعالى : " وألحقنى بالصالحين " وهذا الجزء هو الحكمة العملية .

ب - عند مناداة الحق تعالى لموسى عليه السلام ، فقال جل ذكره : " اننى أنا الله لا اله الا أنا " فهذا الجزء هو الحكمة النظرية .

ثم قوله تعالى بعد ذلك : " فاعبدنى " وهو الحكمة العملية .

جـ - ما قاله الحق تبارك وتعالى فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :- " فاعلم أنه لا اله الا الله" وهو الحكمة النظرية .

---

(١) التفسير الكبير / للرازى / جـ ٧ / ص ٦٨ .

ثم قوله سبحانه بعد ذلك :" واستغفر لذنبك " . وهو الحكمة العملية .

د - قوله جل ذكره فى حق الأنبياء : " ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا" وهو الحكمة النظرية .

ثم قوله بعد ذلك : " فاتقون" وهذا هو الحكمة العملية ."(١)

٣ - تفسير قوله سبحانه : " أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد" . :

أ - تفسير جزء الآية الكريمة الآنف الذكر :-

أن :

~~فى رأيى~~ أنَّ " أنْ " هنا تحتمل ثلاثة أوجه :-

الوجه الاول : أن تكون مفسرة بمعنى : أى (١) . وعليه : فتكون الحكمة التى أوتيها لقمان : هى : شكر الله تعالى .

وأرى أن هذا تضييق فى معانى الحكمة التى أوتيها . فهى أعم من الشكر .

ولا شك . أن " أن" توافرت فيها الشروط الواجب توافرها فى " أن" المفسرة وهـــى :-

١) أن تكون مسبوقة بجملة .

٢) أن تكون بعدها جملة .

٣) ألا تكون الجملة السابقة مشتملة على القول ، بل هى فى معنى القول .(٢)

---

(١) المرجع السابق / جـ ٧ / ٦٨ .

(٢) انظر / الاتقان فى علوم القرآن / للسيوطى / جـ ١ / ص ١٥٦ / المكتبة التجارية الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب /لابن هشام / جـ ١ / ص ٢٧ فمابعدها / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

الوجـــه الثانـــى :

أن تكون مصدرية ، حذف منها حرف الجر (١) والتقدير : " بأن اشكــر لله " ، حيث تدخل " أن " المصدرية على الفعل المضارع والماضى والأمر . وعليه فتكون الآية : " ولقد آتينا لقمان الحكمة بأن اشكر لله " . والمعنى على هـذا : أنه أوجب عليه الشكر نظير ما أعطاه الله الحكمة .

الوجـــه الثالـــث :

أن تكون مخففة من الثقيلة ، على أن تضمن الحكمة ، معنى العلم اليقيـنى الذى يشترط توافره ، عند " أن " المخففة ، نحو : " علم أن سيكون منكم مرضـى " (٢) .

والمعنى : " ولقد آتينا لقمان الحكمة أنه اشكر لله " . فالحكمة على هذا : هى العلم اليقينى . والله أعلم .

قوله : " اشكر " : فعل أمر .

وقد ذكر الطبرى فى تفسيره : أن قوله تعالى : " أن اشكر " : ترجمة عن الحكمة لأن من الحكمة التى كان أوتيها " كان شكر الله على ما آتاه " (٣) .

والطبرى هنا فيما يبدو أخذ بالقول الذى يجعل " أن " مفسرة ، حيث ذكر

---

(١) انظر / الاتقان فى علوم القرآن / للسيوطى / ج ١ / ١٥٦ / المكتبة التجارية الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب لابن هشام / ج ١ ص ٢٧ فمابعدها / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) انظر / الاتقان فى علوم القرآن / للسيوطى / ج ١ / ص ١٥٦ / المكتبة التجارية الكبرى / بيروت / لبنان . و / انظر / مغنى اللبيب / لابن هشام ج ١ / ص ٢٧ فمابعدها / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٣) تفسير الطبرى / ج ٢١ / ٦٨ .

(١) انظر أيضاً : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب / ج ٢ / ١٨٢ تحقيق ياسين السواس ، دمشق

أن قوله تعالى : " أن اشكر " ترجمة عن الحكمة ، لكن آخر عبارته توحى بعدم حصر المعنى على ذلك ، بل يجعل من الحكمة ، شكر الله . وأنا أميل الى هذا ، لأن الحكمة أعم من أن تحصر فى الشكر ، وان كان شكر الله من أهم الأشياء .

أما الرازى :-

فيرى أن : " أن " فى مثل هذا تسمى بالمفسرة ، وذكر أن الله فسر ايتاء الحكمة بقوله : " أن اشكر لله " ، ثم دلل لذلك : بأن العمل الموافق للعلم من الحكمة ، أما غير ذلك ، فليس من الحكمة فى شىء " . (١)

وأرى أن فى هذا تضييقا لمعنى ايتاء الحكمة ، والأفضل عندى أن يكون : من ايتاء الحكمة ، شكر الله ، لكى تشمل الحكمة شكر الله وغيره ، والله أعلم .

قال تعالى : " ومن يشكر فانما يشكر لنفسه " :

يشير المولى تبارك وتعالى فى هذا الجزء من الآية الكريمة ، الى ان العبد عندما يشكر الله ، فانما يستفيد هو وحده من شكره ، ويعود عليه وحده نفع ذلك الشكر ، لأنه سبحانه فى غنى عن شكر الخلق وانما تعبدهم بذلك - وهو حقيق به سبحانه .

وكذلك الحال بالنسبة للكفر ، فان المتضرر منه هو صاحبه فقط ، وعليه وحده يعود وبال كفره ، يقول تبارك وتعالى : " ومن كفر فان الله غنى حميد " فالكفر لا يرجع ضرره الا على صاحبه . والله سبحانه وتعالى ، غنى عن الخلق أجمعين ، لا تنفعه طاعة المطيع ، كما لا تضره معصية العاصى .

---

(١) التفسير الكبير / للفخر الرازى / جـ ٢٥ / ١٤٥ . بتصرف يسير .

يشير الى ذلك ما رواه أبوذر عن النبى صلى الله عليه وسلم - فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم ، ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم ، ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لوأن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم ، قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر . ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه" . (١)

فالله سبحانه وتعالى ، ليس بحاجة الى شكر أحد من خلقه ، كما أنه لا يتضرر بكفر أحد هم حتى ولو كان جميع الخلق على أفجر قلب واحد منهم .

وهو سبحانه فى نفسه محمود ، وحقيق بالحمد والشكر والثناء على الدوام ، سواء شكره الناس ، أو لم يشكروه .

---

(١) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / جـ ٨ / ص ١٧ / باب تحريم الظلم / كتاب البر والصلة والآداب / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت .

وقد ذكر الرازى بعد ذلك بعض المسائل واللطائف فى الآية كمايلى :-

أولا : فسر الله ايتاء الحكمة ، بالأمر بالشكر ، لكن الكافر والجاهل مأمـوران بالشكر فينبغى أن يكون قد أوتى الحكمة .

والجواب : أن قوله تعالى : " أن اشكر" : أمر تكوين ، معناه : آتينـا الحكمة ، بأن جعلنا من الشاكرين ، وفى الكافر الأمر بالشكر ، أمر تكليف .

ثانيا : قال فى الشكر : " ومن يشكر " : بصيغة المستقبل ،

وفى الكفران : " ومن كفر فان الله غنى حميد " : بصيغة الماضى . وان كان الشرط يجعل الماضى والمستقبل فى معنى واحد ، كقول القائل : مـن دخل دارى فهو حر ، ومن يدخل دارى فهو حر .

فنقول : فيه اشارة الى معنى ، وارشاد الى أمر ، وذلك :

أن الشكر ، ينبغى أن يتكرر فى كل وقت ، لتكرر النعمة ، فمن شكر ينبغى أن يكرر ، والكفر ينبغى أن ينقطع . فمن كفر ينبغى أن يترك الكفـران ، ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله ، بل أبدا يكون منه شىء فى العدم يريد الشاكر ادخاله فى الوجود ، كماقال تعالى : " رب أوزعنى أن أشكر نعمتك "(١) وكما قال تعالى : " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها "(٢).

فأشار اليها بصيغة المستقبل ، تنبيها على أن الشكر بكماله لم يوجـد ، واما الكفران فكل جزء يقع منه تاما ، فقاله بصيغة الماضى .(٣)

---

(١) سورة الاحقاف - آية : ١٥ .

(٢) سورة ابراهيم - آية : ٣٤ .

(٣) التفسير الكبير / للفخر الرازى / جـ ٢٥ / ص ١٤٥ .

"وقد أشار الالوسي عند هذا المعنى بقوله : " ان صيغة المضي في الكفر اشارة الى قبح الكفران ، وأنه لا ينبغي الا أن يعد في خبر كان ، وقيل : اشارة الى أنه كثير متحقق بخلاف الشكر" .(١)

ثالثا : قال تعالى هنا : " ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر . . . " الآية .
فهنا ورد تقديم الشكر على الكفران .
وقال سبحانه في سورة الروم : " من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون " . وهنا ورد تقديم الكفران على الشكر .

فنقول :

كان الذكر في سورة الروم للترهيب ، لقوله تعالى من قبل : " فأقم وجهك للدين القيّم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصّدّعون" .

أما الذكر هنا في آية لقمان ، فهو للترغيب ، لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد .
وقوله سبحانه : " ومن عمل صالحا" يحقق ما ذكرنا أولا ، لأن المذكور في سورة الروم ، لما كان بعد اليوم الذي لا مرد له ، تكون الأعمال قد سبقت ، فقال بلفظ الماضي " ومن عمل" .

وههنا لما كان المذكور في الابتداء قال سبحانه" ومن يشكر " بلفظ المستقبل .
وقوله : " ومن كفر فان الله غني " عن حمد الحامدين ، حميد في ذاته من غير حمد هم وانما الحامد ترتفع مرتبته بكونه حامدا لله تعالى" .(٢)

---

(١) روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١ / ٨٤ . بتصرف يسير .
(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازي / جـ ٢٥ / ١٤٦ .

ب : بيان معنى الشكر وما يتضمنه وبم يتحقق :-

اعلم أن الشكر يتضمن ثلاثة أمور ، لا يتحقق بدونها ، هى :-

الأمر الاول : العلم .

" الثانى: الحال المستمدة من أصل المعرفة .

" الثالث: العمل .

وتوضيح ذلك ، ما يلى :-

أولا : العلـــــم :

فمن لم يعلم ، لم يشكر ، ولا يتصور منه الشكر ، والعلم هنا ، يتضمن ثلاثة أشيـــــاء :-

١) عين النعمة .

٢) وجه كونها نعمة فى حقه .

٣) ذات المنعم ووجود صفاته التى بها يتم الانعام ، ويصدر الانعام منه عليه .

أما انه لا بد من العلم بالنعمة ، فلأن الشكر فى مقابلتها ، ومن لم يعلم النعمة لم يشكر .

وأما أنه لا بد من العلم بوجه النعمة فى حقه ، فلأن من لم يعلم بذلك ، فقد جهل النعمة ، ومن جهلها لم يشكر عليها .

وأما أنه لا بد من العلم بالمنعم وصفاته التى تم بها الانعام ، فلأنه من لم يعلـــم بذلك لم يشكر ، لأن الشكر يتضمن شاكرا ومشكورا وشكرا . فمن لم يعلم بمن يشكره فكيف يشكر ؟ !

ومن هنا تضمن الشكر ، التوحيد ، فشكر الله يقتضى توحيده . لأنه لا بد فيه

من العلم بالمنعم وصفاته ، وذلك العلم هو التوحيد ومعرفة ذلك ، عين الشكر.[(١)]

ثانيا : الحال المستمدة من أصل المعرفة:

وهذا الحال ، هو الفرح بالمنعم عند النعمة ، مع هيئة الخضوع والتواضع لكن هذا لا يكون شكرا الا بشرط ، وهذا الشرط هو أن يكون الفرح بالمنعم ، لا بالنعمة ولا بالانعام .

وتفصيل ذلك : أن هذا الفرح يحتوى على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى :

أن ينصب فرح المنعم عليه ، على النعمة فقط ، ويقصر نظره عليها لموافقتها رغبته ، وغرضه ولذته ، فهذه الدرجة لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا ، بل هو بعيد عنها .

الدرجة الثانية :

أن ينصب الفرح على المنعم ، لا من حيث ذاته ، ولكن من حيث عنايته بالمنعم عليه وشفقته به ، وهذه الحال داخلة فى معنى الشكر بلا شك . وهذا هو حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه ، خوفا من عقابه ، ورجاء لثوابه .

أما الدرجة الثالثة :

فهى الدرجة العليا والمنزلة الرفيعة ، لانصباب الفرح فيها الى ذات المنعم وحده ، واغفال ما سوى ذلك ، لأن المنعم عليه ، يحصر فرحه فى كون النعمة

---

(١) احياء علوم الدين / للغزالى / جـ ٤ / ٨١ : ٨٣ . اقتباس بتصرف .

طريقا الى الله ، وحافزا على مرضاته ، وحاجزا له عن معصيته وغضبه .

وهذا حال من ينظر الى الدنيا نظرة واحدة ، وهى كونها مزرعة للآخرة فقط . لذلك تجده يغمه الحزن عندما يقع فى نعمة تلهيه عن الله وعن طاعته ورضوانه .

وهذه المنزلة لا يدركها من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات ، وخلا عن لذة القلب . لأن القلب المعلق بالآخرة ، لا يلتذ الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه ، أما اذا مرض بسوء العادات - والعياذ بالله - فانه لا يجد لذلك طعما ، بل ربما استبشع ذلك واستقبحه ، كاستبشاع المريض للأشياء الحلوة ، واستحلائه للأشياء المرة . كقول الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا (١)

<u>ثالثا</u> : <u>العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم :</u>

وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح :-

أما بالقلب : فقصد الخير واضماره لكافة الخلق .

وأما باللسان : فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه .

وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى ان شكر العينين ، أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، وشكر الأذنين ، أن تستر كل عيب تسمعه فيه ، فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، وكذلك الشكر باللسان . لاظهار الرضا عن الله

---

(١) المرجع السابق / ص ٨٣ ، ٨٤ ، بتصرف .

تعالى ، وهو مأمور به ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل : كيف أصبحت ؟ قال : بخير . فأعاد صلى الله عليه وسلم ، السؤال عليه ، حتى قال في الثالثة : بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الذى أردت منك " . (١)

وكان السلف يتساءلون ، ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ، ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا ، وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق .

وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ،

فالشكر طاعة ، والشكوى : معصية قبيحة من أهل الدين . وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك ، لا يقدر على شيء . فالأحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء ، وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى ، فهو المبتلى وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل .

واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ، ذل قبيح ، قال تعالى :- ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه واشكروا له " سورة العنكبوت - آية ١٧ .

وقال تعالى :- " ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " سورة الأعراف آية ١٩٤ .

فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وفدا قدم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر : الكبر الكبر . ! فقال الشاب : يا أمير المؤمنين ، لو كان الأمر بالسن

~~(١) انظر / الموطأ / للامام مالك / جـ / ص~~ .

لكان في المسلمين من هو أسن منك ،فقال عمر : تكلم . فقال : لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة . أماالرغبة : فقد أوصلها الينا فضلك ،وأما الرهبة : فقد آمننا منها عدلك ،وانما نحن ،وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف . (١)

---

(١) احياء علوم الدين / للغزالي / جـ ٤ / ص ٨٤ .

جـ - بيان أن عقيدة التوحيد هى رأس الحكمة . ويتضمن هذا :

١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم " الحكماء" .

٢ - بيان الحكمة عند أهل الكتاب كما يزعمون :-

أولا : عند اليهود .

ثانيا : عند النصارى .

٣ - بيان الحكمة فى الاسلام .

١ - بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم " الحكماء" :-

عقيدة التوحيد التى جاء بها الاسلام ، هى رأس الحكمة . واذا كانت الأشياء تتميز بأضدادها ، كان مما يتعين علىّ أن أتناول باجمال ، بعض العقائد السابقة . ومدى موافقتها للحكمة .

ففى الفلسفة : نرى السوفسطائيين ، يخرجون على كل شيء . فلا يعترفون بحدود لأى شيء ، حتى اختلط المعلوم بالمجهول ، وأصبحوا يرددون كلمتهم المشهورة : " لا أدرى " . واذا تأملنا فى هذا المسلك وجدناه لا نظام فيه ، ولا يعترف بأى نظام ، مما يجعلنا نجزم بأن مسلكهم من أبعد الأشياء عن الحكمة .

وجاء من بعدهم سقراط " فكان يرى أن لكل شيء طبيعة أو ماهية هى حقيقته يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة ، ويعبر عنها بالحد وأن غاية العلم ، ادراك الماهيات ، أى تكوين معان تامة الحد ، فكان يستعين بالاستقراء ، ويتدرج من الجزئيات الى الماهية المشتركة بينها ويرد كل جدل الى الحد والماهية فيسأل : ما الخير وما الشر ؟ وما العدل وما الظلم ؟ ما الحكمة وما الجنون ؟ ،

ما الشجاعة وما الجبن ؟ ما التقوى وما الالحاد ؟ وهكذا . فكان يجتهد فى حد الألفاظ والمعانى ، حدا جامعا مانعا . ويصنف الأشياء فى أجناس وأنـــواع ، ليمتنع الخلط بينها".

"ولقد كان لاكتشافه الحد والماهية ، أكبر الأثر فى مصير الفلسفة. فقـد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس" .

" وانحصرت عنده الفلسفة فى دائرة الأخلاق ، باعتبارها أهم مايهم الانسان" .

وقال سقراط : الانسان روح وعقل ، يسيطر على الحس ويدبره ، والقوانيـن العادلة ، صادرة عن العقل ، ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهى صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة فى قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة ، يحترم العقل والنظام الالهى ....". (١) الخ .

ويهذا أرى أن سقراط ، لفت النظر الى العقل الذى تنبع منه الحكمـة ، وان كانت عقيدته كما يبدو فى كلامه ، تشير الى تعدد الآلهة ، فلم يصل الى العقيدة المرضية التى يستسيغها العقل ويؤمن بها .

وقال أفلاطون : " ولما كان " الموجود الوحيد الكفء للحصول على العقـل هو النفس كانت العلل العاقلة نفوسا تتحرك حركة ذاتيه ، وكانت المادة شرطـا لفعلها أوعلة ثانوية خلوا من العقل ، تتحرك حركة قسرية وتعمل اتفاقا ، الا أن تستخدمها العلل العاقلة ، وسيلة وموضوعا ، وتوجهها الى أغراضها .

والنفس غير منظورة ، بينما العناصر والأجسام جميعا منظورة ، فيبلغ أفلاطون من هذا الطريق الى علم معقول بصفته بأنه الهى لاشتراكه فى الروحية والعقـل ، ولكنه يعين فيه مراتب ، ويضع فى قمته الله" .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية / يوسف كرم / ص ٥٢ ، ٥٣ / .

وبرهن أفلاطون على وجود الله من وجهة الحركة ووجهة النظام ، فقال عن الأولى : " ان الحركات سبع : حركة دائرية ، وحركة من يمين الى يسار ، ومن يسار الى يمين ، ومن أمام الى خلف ، ومن خلف الى أمام ومن أعلا الى أسفل ، ومن أسفل الى أعلا ، وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم بذاته ، فهى معلولة لعلة عاقلة ، وهذه العلة هى الله ، أعطى العالم حركة دائرية على نفسه ، وحرمه الحركات الست الأخرى (وهى طبيعية) فمنعه من أن يجرى بها على غير هدى .

أما برهانه على وجود الله من الوجهة الثانية وهى وجهة النظام فيقول : " ان العالم آية فنية غاية فى الجمال ، ولا يمكن أن يكون النظام البادى فيما بين الأشياء بالاجمال ، وفيما بين أجزاء كل منها بالتفصيل ، نتيجة علل اتفاقية ، ولكنه صنع عقل كامل توخى الخير ، ورتب كل شئ عن قصد " ... الخ (١)

ثم انتهى بعد ذلك الى قوله :

" فالله روح عاقل محرك جميل خير عادل كامل ، وهو بسيط لا تنوع فيه ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ، ولا يتشكل أشكالا مختلفة ، كما صوره هوميروس ومن حذا حذوه من الشعراء ، وهو كله فى حاضر مستمر فان أقسام الانسان لا تلائم الا المحسوس " ... الخ (٢)

أما الحكمة فى رأى أرسطو : فهى : مبنية على التجريد أى : التجرد من المحسوسات الى المعقولات ، حتى تنتهى الى الجوهر البسيط الثابت الذى يحرك ولا يتحرك وهو الاله فى نظره ، والله يفعل ضرورة لا اختيارا .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

وعنده ، أن الله ليس بجسم ، والعالم يتحرك بحركة الشوق اليه وهو لا يعقل الا ذاته ، لأن علمه بالعالم ينقص من قيمته ، (١)

فأنت ترى أن الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم ، اسم : الحكماء :

اما تشويه وخلط ، كما هو عند السوفسطائيين .

واما : اشتغال بالالفاظ وتحديد معانيها كما هو عند سقراط .

واما : خيال كما هو عند افلاطون .

واما : تناقض كما هو عند أرسطو .

٢ - عقيدة أهل الكتاب كما يزعمون :

أولا : عند اليهود :

كان الدين اليهودي في أصله ، دين توحيد ، تتصف فيه الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والصفاء من جميع مظاهر النقص ، والمخالفة للحوادث في كل شيء .

لكن الظاهر من استقراء تاريخ اليهود ، وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم ، وما ورد في أسفارهم نفسها ، أن فهمهم للذات العلية ، لم يكن مطابقا تمام المطابقة لهذا الوضع في أي عصر من عصورهم .

أما فكرة الألوهية فقد مرت بثلاث مراحل هي :-

المرحلة الاولى :

أنهم لم يستطيعوا فهم الذات العلية ، الفهم الصحيح ، فظنوا امكان

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ : ١٨٢ بتصرف .

رؤيتها ، حتى بلغ بهم الأمر الى أن علقوا ايمانهم بموسى عليه السلام ورسالته على رؤيتهم للمولى تبارك وتعالى ، ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظـــرون"(١) الآيات .

كما أنهم لم يطمئنوا الى عبادة اله لا يستطيعون رؤيته ، بل طلبوا الى موسى عليه السلام - حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم - أن يجعل لهم الاهـا يحسونه ، كما يحس هؤلاء آلهتهم ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضّلكم على العالمين"(٢) .

كذلك يخبرنا القرآن الكريم أنهم فى أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة الله أكثر من مرة ، فعبدوا العجل تارة ، وعبدوا الأصنام تارة أخرى ، وعن ذلك يخبرنا تعالى بقوله سبحانه : " واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين "(٣) .

أما اذا تأمل القارئ فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج . فانه يرى أن فكرة الالوهية ظلت مضطربة فى عقولهم الى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين - أى بعد موسى بنحو خمسة قرون - فتصوروا الله تبارك وتعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل . وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفريـــن .

---

(١) سورة البقرة / آية ٥٥ . (٢) سورة الاعراف من آية ١٣٨ : آية ١٤٠ .

(٣) سورة الاعراف - آية ١٤٨ .

فمن ذلك : " ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء واخراجهما من الجنة ، حيث يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة وخوفهما مضللا ومخفيا عليهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما أن الأكل منها يفضى الى الموت ، مع أن الأكل منها يفضى الى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل ، وانبثاق نور المعرفة ، ولكن الاله يريد بقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين ، وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة ، ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبآ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما ، أنه لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الانسان قد أصبح بذلك " أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح " وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الانسان من الجنة حتى لا تمتد يده الى شجرة أخرى هى " شجرة الخلد " فيكفل لنفسه أرقى صفات الاله وهو البقاء" (١) .

واذا رجعنا الى القرآن الكريم نجده قد عرض لعدة مواقف من قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة ، دون أن يبدو فى أى واحد من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله تعالى وقدرته ، وخلوه عن النقص ، ومخالفته للحوادث .

---

(١) الاصحاح الثالث من سفر التكوين .

ومن ذلك أيضا ما يذكره سفر التكوين ، من أن لله تعالى أولادا من الذكور ، وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائى كان عددهن قد كثر فى الأرض. فاتخذوهن خليلات . وولد لهم منهن نسل ، امتاز ببسطة كبيرة فى الجسم ، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان" .(١)

ومن ذلك أيضا : ما يقرره سفر التكوين : " من أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، استراح فى اليوم السابع وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك ، فحرم فيه العمل(٢) أى أنه كالبشر فى حاجة الى الراحة بعد بذل المجهود فى عمل ما " .

وعلى هذا الزعم الباطل يرد القرآن الكريم فى قوله تعالى : " ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة ايام وما مسّنا من لغوب" .(٣)

وغير ذلك كثير .

المرحلة الثانية :

أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئا فشيئا ، ويتخلص نوعا ما من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك فى أحدث أسفار توراتهم المزعومة . كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

غير أنه قد بقى لديهم الاعتقاد بأن لهم الها خاصا بهم ، وهو اله اسرائيل ، وأنهم هم أولاده وأحباوءه ، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى ، وأن

---

(١) الاصحاح السادس من سفر التكوين ، فقرات : ١ ، ٢
(٢) الاصحاح الثانى من سفر التكوين / الفقرات الاولى
(٣) سورة ق / آية ٣٨ .

الههم فى صراع مع هذه الآلهة ،لكنه لم يتخلص نهائيا من صفات الحوادث ،بل ظل عالقا به فى نظرهم بعض هذه الصفات ،فمن ذلك ما يذكره سفر اللاويين فى أكثر من موضع : " أن الضحايا المحرقة -وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت اشراف أحد اللاويين -يرتاح لها الاله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ،وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه ، أو اذا قدمت اليه فى صورة ،غير الصورة المقررة فى شريعتهم ،وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين ،أو غير المراعين لمراسم التقديم ،فيرسل عليهم نارا تحرقهم ،كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية ،ومن ثم كانت طريق حرق الأضحية وتصاعد دخانها هى الطريقة المقررة لديهم فى معظم انواع الأضحية والقرابين ،حتى فى قرابين النبات وما يصنع منه كالفطائر وما اليها" .(١)

ويرد عليهم المولى تبارك وتعالى على هذه المزاعم الباطلة فى قوله سبحانه " لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم وبشّر المحسنين " .(٢)

<u>المرحلة الثالثة</u> :

الذى يبدو أنه بعد أن قاربت عقيدتهم من التوحيد وتنزيه الاله من النقص ، ارتكست مرة اخرى ،ارتكاسا كبيرا فى العهد الذى ألف فيه التلمود " القرون الستة الأولى بعد الميلاد " .

---

(١) انظر سفر اللاويين وبخاصة الاصحاحات : الأول والثانى والسادس والسابع والعاشر .

(٢) سورة الحج / آية ٣٧ .

فأسفار التلمود تظهر اله اسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث ، وصفات النقص ، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الاله ، وضخامة أعضائه ومايرويه عن نشاطه وأعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل ، وتشريد بنى اسرائيل ، وما يقرره بصدد تخصيص أيام من كل عام ، لعبادة اله صغير ، وبصدد حرص الاله على أن تقدم له أضحية من الآدميين .

فقد ذكر العلامة ابن حزم فى : " الفصل فى الملل والأهواء والنحـــل " " ان سفرا من أسفار اليهود يسمى : " سفر توما " ، قد وصف جبهة خالقهم وعظـــم مساحتها فقال : " انها من أعلاها الى أنفه خمسة آلاف ذراع " ، وأنه قد جاء فى سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له : " سادر ناشيم " : " أن فى رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب ، وفى اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج ، اسمه : " صندلفون " . (١)

وورد فى بعض أسفار التلمود ، أن الله يقضى الساعات الثلاث الاولى من النهار فى مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية فى شئون الحكم ، بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة فى تدبير المعيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيـــرة فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ....." الخ .

ثم يستطرد المؤلف قائلا : " وأما ساعات الليل فيقضيها الاله فى مذاكـــرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذى يصعد الى السماء كل ليلة ، ثم يهبـــط منها الى الأرض بعد هذه الندوة العلمية ..." الخ .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل / لابن حزم / جـ ١ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

ويقرر تلمودهم أن الله قد تستولى عليه نزوة غضب ، فيقسم ليأتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب الى رشده ، فيتحلل من يمينه ، كما حدث يوم أن غضب على بنى اسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيدهم ، ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه .

ويستدل منه كذلك : أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها ربا آخر ، غير الههم ويطلقون عليه اسم : " الرب الصغير" وهو : " صندلفون" الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم .

هذا وقد بلغ بهم الارتكاس ، الى اعتقاد بعضهم ، أن لله تبارك وتعالى ابنا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى " وقالت اليهود عزير ابن الله " . (١)

ويضاف الى ذلك أن عقائدهم فى هذه المرحلة ازدادت انحرافا ووحشية فيما يتعلق بشئون الأضحية والقرابين ، فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالههم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية ، وبخاصة عيد الفصح وعيد أستير ، ومراسم ختان الأطفال ، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودى الى ربه ، وما تقربه عين الاههم" . (٢)

---

(١) سورة ~~البقرة~~ التوبة - آية ٣٠ .

(٢) الأسفار المقدسة / د . على عبد الواحد وافى . من ص ٢٣ : ٣٠ . بتصرف .

ثانيا : النصرانية :

عقيدة النصرانية ، كما هي عند النصارى وفي كتبهم :

يذكر الامام أبوزهرة ، ناقلا عن كتاب : سوسنة سليمان / لنوفل بن نعمة الله جرجس النصراني ، أن : " عقيدة النصارى ، التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس - وهي أصل الدستور الذي بينه المجتمع النقاوي - هي الايمان باله واحد ، أب واحد ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد ، المولود من الآب قبل الدهور ، من نور الله ، اله حق . من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، والذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس ، وصلب عنا على عهد بيلاطس وتألم وقبر ، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب ، وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتي بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه والايمان بالروح القدس ، الرب المحيي ، المنبثق من الآب ، الذي هو مع الابن يسجد له ، ويمجد ، الناطق بالأنبياء " .

هذا هو جوهر العقيدة ولبها ، ويمكن حصرها في ثلاثة عناصر استنباطا من النص السابق :-

العنصر الأول : التثليث والايمان بثلاثة أقانيم .

العنصر الثاني : صلب المسيح فداء عن الخطيقة وقيامه من قبره ورفعه .

العنصر الثالث : أنه يدين الأحياء والأموات . (١)

وسأكتفي بكتابة نبذة كافية عن العنصر الاول فقط لتعلقه بعلم التوحيد .

---

(١) انظر / محاضرات في النصرانية / محمد ابوزهره / ص ١١٨ ، الطبعة الخامسة .

عقيـــدة التثليـــث :

هذه العقيدة ، هى كما أفصح عنها الدكتور بوست فى : تاريخ الكتاب المقدس بقولـه :-

" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية . الله الآب ، والله الابـن ، والله الروح القدس . فالى الآب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير " . (١)

والذى يفهم من هذا ، أن هذه الأقانيم الثلاثة ، عناصر متلازمة لـذات الخالق ، لا ينفك أحدها عن الآخر .

يرى أصحاب هذه العقيدة أن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الاقانيم وأن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين فى الكمالات الالهية هى : الآب ، والكلمة ، والروح القـدس .

فالأول : الآب : وهو مصدر كل الأشياء ومرجعها ، ونسبته للكلمـة ، ليست صورية ، بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته الفائقة وحكمته الرائعـة .

أما الثانى : فهو الكلمة : لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وهو وسيـط المخابرة بين الله وبين الناس . كما يدعى أيضا " الابن " لأنه يمثل العقل ونسبـة المحبة والوحدة بينه وبين أبيه ، وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتمييزبين نسبته هو الـى أبيه ، ونسبة كل الأشياء اليه .

---

(١) انظر / محاضرات فى النصرانية / محمد أبوزهرة / ص ١١٨ / الطبعة الخامسة .

أما الأقنوم الثالث : فهو الروح القدس : وهو يوضح الدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله فى تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته" (١) .

مما سبق يمكننا استنتاج أن البُنوة هنا لا تعنى " ولادة بشرية" ولكنها تصف سرية فائقة ، بين أقنوم وآخر ، فى اللاهوت الواحد ، كما أنها علاقة المحبة والاتحاد فى الجوهر .

ويؤيد ذلك ما قاله القس / ابراهيم سعيد / فى تفسير معنى كلمة "ابن العلى" حيث يقول :

" ابن العلى . أو ابن الله . لم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، والا لقيل ، ولد الله ، ولم يقصد بها ، ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا ، أنهم أبناء الله لأن نسبة المسيح لله هى غير نسبة المؤمنين عامة لله ، ولم يقصد بها تفرقة فى المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا الزمنية ، ولا فى الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله ، وهى محبة متبادلة ، وما المحبة التى بين الآب والابن الطبيعيين ، سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل ، من بهاء أنوارها ، ويراد بها اظهار المسيح لنا ، أنه الشخص الوحيد ، الذى حاز رضا الله ، وأطاع وصاياه ، فقبل الموت ، موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : " هذا ابنى الحبيب ، الذى سررت به ، له اسمعوا" . وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات ، مدة خدمة المسيح على الأرض ، لأنه تمم ارادة الله فى الفداء ، ويراد بها ، اظهار التشابه والتماثل فى الذات وفى الصفات وفى الجوهر ، كما يكون بين الأب والابن الطبيعيين ، فقيل عن المسيح ، انه بها مجد الله ، ورسمه وجوهره وقال هو عن نفسه : " من رآنى

---

(١) بتصرف / محاضرات فى النصرانية / محمد ابوزهرة / ص ١١٨ ، ١١٩ الطبعة الخامسة .

فقد رأى الآب ، أنا والآب واحد . ويراد بها دوام شخصية المسيح ، باعتباره الوارث لكل شئ ، الذى منه وبه ، له كل الأشياء . وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة ، يقصر دون ادراكها العقل" . (١)

ان المتأمل فى النص السابق ، يرى بوضوح كامل ، وجلاء لا تشوبه شائبة أن شخصية الابن غير شخصية الآب ، وكذلك روح القدس .

لكن الأمر يختلف اذا انتقلنا الى النص التالى ، المأخوذ عن كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ، حيث يقول :-

" كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت ايمانها من كيرلس ود يسقوروس ومعها الكنائس : الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكية ، تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثانى ، أى أقنوم الابن ، تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فصيرا هذا الجسد معه ، واحدا ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج ، والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد ، صار الابن المتجسد ، طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة" .

" وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية ، بأن للأقنوم الثانى ، طبيعتين ومشيئتين" . (٢)

من النصين السابقين يمكننا أن نستخلص ما يلى :-

١ - أن الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا موضع اتفاق بينها .

٢ - أن هناك موضع خلاف بينها ، وهو / العنصر الالهى فى المسيح :-

---

(١) انظر المرجع السابق / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) بتصرف المرجع السابق / ص ١٢١ .

أهو الجسد الذى تكون من روح القدس ومن مريم العذراء ، المختلط بالعنصر الالهى ، فصار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ؟ .
أم أن له طبيعتين ومشيئتين ؟ ."(١)

من جميع ما سبق ، يمكننا القول ، أن المسيحيين على اختلافهم ، يعتقدون أن فى اللاهوت ، ثلاثة يعبدون ، واذا تتبعنا عباراتهم وجدناها تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون وان اتحدوا فى الجوهر والقدم والصفات والتشابه الكامل بينهم ، لكن كتابهم يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، وهذا هو المستحيل الذى لا يمكن تصوره ، فضلا عن التصديق به ". (٢)

---

(١) بتصرف / المرجع السابق / ص ١٢١ .
(٢) المرجع السابق / ص ١٢٢ / بتصرف .

قلت : هكذا كانت الحكمة التى أسداها المفكرون ،لدينين سماويين ، شوههما الفكر الانسانى ،بتصوره الخاطىء ،وقصور ادراكه ،فضلّ وأضلّ .

وخلاصة ما سبق :-

أن الاله فى نظر اليهود ،أشبه بالبشر ،وفى نظر النصارى أشبه بالخيال الجموح الذى لا يجد اللفظ المسفرعن المعنى ،ولا العبارة التى تبين ،انما هى شطحات من وراء الفكر ،لم تستقم فى الذهن ،ولم تستقر فى الشعور،وعليه فلم نجد تصورا صحيحا للعقيدة ، الا فى الحكمة العالية الجميلة ،التى جاء بها الاسلام ، قال تعالى : " يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذّكر الا أولوا الألباب" . (١)

وقال سبحانه عن الدنيا : " قل متاع الدنيا قليل" (٢) الآية .فتأمل : الدنيا بما فيها متاع قليل . والحكمة وما تنطوى عليه ، خيركثير .

وعقيدة الاسلام ،تصورها الآيات الكريمات ، خالية من التشويه والتشويش

" قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد" . (٣)

" شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم" . (٤)

" الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيّه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم" . (٥)

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٩ . (٢) سورة النساء - آية : ٧٧ .

(٣) سورة الاخلاص - كلها . (٤) سورة آل عمران - آية : ١٨ .

(٥) سورة البقرة - آية : ٢٥٥ .

" هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبّح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " . (١)

الى غير ذلك من الآيات .

فأى حكمة أروع من هذه الحكمة ، وقد رأينا الفلاسفة يتخبطون بين السطحية والخيال . وأتباع الأديان يضلّون فينقصون قدر الله ، وما قدروه حق قدره ، أو يضيفون اليه ما لم يأذن به ، " ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وانّ الظالمين لهم عذاب أليم " . (٢)

ومفكروا المسلمين الذين ادعوا لأنفسهم ، استقلال العقول ، وأعطوا العقل أكثر مما يستحق ، يوفقون بمقدار قربهم من النصوص الشرعية ، ويبتعدون عن الصواب بمقدار بعدهم عنها .

واذا لم يعنك الله فيما تريده	فليس لمخلوق اليه سبيل
فان هو لم يرشدك فى كل مسلك	ضللت ولو أن السماك دليل

---

(١) سورة الحشر / آية : ٢٢ : ٢٤ .

(٢) سورة الشورى - آية : ٢١ .

الفصـــل الثانـــــى

فى تفسير قولــه تعالــــــى

" وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله
انّ الشرك لظلم عظيم " .

ويتضمـــن ذلـك ما يلــــى :

١ - بيان معنى الوعظ .

٢ - بيان سبب نزول قوله سبحانه " ان الشرك لظلـــم عظيـــم ."

٣ - بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم" :

أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .

ب - ام هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان ، متصل به فى تأكيد المعنى ؟ .

٤ - بيان معنى الشرك .

وهذا هو التفصيـــــل :

بيـــان تفسير قولـــه تعالـــى :-

" واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشـــرك لظلـــم عظيـــم" .

قوله : " واذ قال لقمان لابنه" :-

اسم لقمان : سبق الحديث عنه فى أول البحث . (١)

وكذلك الحال بالنسبة لاسم ابنه . (٢)

أما : " اذ " : فهو معمول لا ذكر المحذوف ، وهو فى موضع نصب .

وقيل : يحتمل أن يكون ظرفا لآتينا ، والتقدير : " وآتيناه الحكمة اذ قال " واختصر لدلالة المقدم عليه ،

اما قوله : " وهو يعظه " :- فهو جملة حالية . (٣)

١ - بيان معنى الوعظ :-

قال الراغب :- الوعظ : زجر مقترن بتخويف . (٤)

وقال الخليل : هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب" . (٥)

وفى لسان العرب :-

" الوعظ والعِظة والعَظة والموعِظَة : النصح والتذكير بالعواقب .

وقال ابن سيده : هو تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب" . (٦)

---

(١) انظر ص/ ١ من الباب الاول .

(٢) انظر ص/ ٥ من الباب الاول .

(٣) روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١/ ٨٤/ دار احياء التراث العربى /لبنان .

(٤)، (٥) انظر / المفردات فى غريب القرآن / للراغب الاصبهانى / ص ٨٢٧ / كتاب الواو / الواو مع العين . (٦) انظر لسان العرب/ لابن منظور/ جـ ٧ ص ٤٦٦ / باب حرف الظاء / فصل الواو/ بيروت / ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

قلـــــت :

القولان الاولان ، وهما : قول الراغب الاصبهانى ، وقول الخليل :- أرى أنهما متلازمين ولا زمين للوعظ ، فان الوعظ قائم على الترغيب والترهيب ، حسب ما يقتضيه المقام . فالترغيب فى موضع يجب فيه الترهيب يكون عبثا ، وكذا الترهيب فى موضع الترغيب . فالقائم على المعصية يرهّب ، والخائف المفرط فى خوفه يرغّب .

أما ما ذكره صاحب لسان العرب ، من أن الوعظ و . . . الخ : هو النصح والتذكير بالعواقب . فهو يشتمل على الترغيب والترهيب ، لأن النصح يوءدى الى الترغيب والحث على عمل الخير ، بينما يدل التذكير بالعواقب على الترهيب والتحذير من العواقب التى لا تحمد .

وكذلك ما قاله ابن سيده : من أن الوعظ هو : " تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب" .

فهو واضح على اشتماله للترغيب والترهيب .

وهذان القولان ، هما أشمل وأوضح من قول الراغب وقول الخليل فى حالة ذكر كل واحد منهما منفردا عن الآخر .

وقوله : " يا بنى " : كلمة " بنى " هنا ليست على حقيقة التصغير ، وان كانت على لفظه ، انما المراد ، تصغير محبة واشفاق وترقيق .

ومنه قولهم : ولكن اذا ما حب شىء تولعت ∴ به أحرف التصغير من شدة الوجد

وقول آخر : ماقلت حبيبى من التحقيـــــر ∴ بل يعذب اسم الشىء بالتصغير (١)

---

(١) روح المعانى / للآلوسى / جـ ٢١/ ص ٨٤ / بتصرف .

والابن فى نظر أبيه ، دائما أصغر منه شأنا ، وأقل منه تجاريا ، وهو فــى حاجة الى نصائح سابقيه من أهل الحجى والعلم والمعرفة .

٢ : بيان سبب نزول قوله : " لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم " :-

ان سبب نزول هذه الآية ، هو كما ذكر الامام البخارى فى صحيحه : " عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم " قــال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينا لم يظلم ؟ . فأنزل الله : " ان الشرك لظلم عظيم " . (١)

فهذه الرواية ، نص واضح فى سبب النزول لقوله رضى الله عنه : " فأنزل الله : ثم عقب بالآية : " ان الشرك لظلم عظيم " .

وهى لا تحتاج الى تعليق . والله أعلم .

٣ : بيان قوله : " ان الشرك لظلم عظيم " :-

أ - هل هو من كلام لقمان ؟ .

ب - أم هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان ، متصل به فى توكيد المعنى ؟ .

اختلف فى ذلك كما يلى :-

أ - قيل : هو من كلام لقمان .

ب - وقيل : هو خبر من الله تعالى ، منقطع عن كلام لقمان ، متصل به فى تأكيـد

---

(١) انظر : صحيح البخارى / جـ ١ / ص ١٥ / باب ظلم دون ظلم / كتاب الايمان / دار مطابع الشعب . وكذلك : انظر جـ ٤ / ص ١٧٢ / باب قول الله تعالى " واتخذ الله ابراهيم خليلا / كتاب

المعنى . ويؤيد هذا الحديث المأثور ، وفيه : أنه لما أنزلت :
" الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم" ، أشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا أينا لم يظلم ؟ فأنزل الله تعالى : " ان الشرك لظلم عظيم" فسكن اشفاقهم . وانما يسكن اشفاقهم بأن يكون خبرا من الله تعالى .

وقد يسكن الاشفاق ، بأن يذكر الله ذلك . عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد" . (١)

وأنا أميل الى القول الثاني ، لتأييده بالحديث ، ومتى وجد ذلك . فهو أقوى وأجود . والله أعلم .

وقد ذكر الالوسي أنه : " قيل : عن ابن لقمان وامرأته ، انهما كانا كافرين ، فلم يزل يعظهما حتى أسلما .
كما ذكر عن ابن أبي الدنيا ، أنه أخرج عن الرقاشي ، قال : ما زال لقمان ، يعظ ابنه حتى مات . وأخرج عن حفص بن عمر الكندى ، قال : وضع لقمان جرابا من خردل ، وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة ، فنفد الخردل ، فقال : يابني : لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر ، فتفطر ابنه .
وقيل : كان مسلما - أي ابن لقمان - والنهي عن الشرك ، تحذير له عن صدوره منه في المستقبل " . (٢)

وقد ذكر الرازي : أن قوله سبحانه : " واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم" : عطف على معنى ما سبقه وتقديره :

= بدء الخلق / وكذلك جـ ٦ /ص٧١ /سورة الانعام - كتاب التفسير - دار مطابع الشعب .
(١) انظر / تفسير القرطبي / جـ ١٤ / ٦٢ .
(٢) روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١ / ٨٥ / بتصرف .

آتيناه الحكمة حين جعلناه شاكرا فى نفسه ، وحين جعلناه واعظا لغيره ، وهـذا لأن علو مرتبة الانسان ، بأن يكون كاملا فى نفسه ، ومكملا لغيره .

فقوله : " أن اشكر" اشارة الى الكمال .

وقوله : " واذ قال لقمان لابنه وهويعظه" اشارة الى التكميل .

وفى هذا لطيفة وهى :-

أن الله تعالى ذكر لقمان وشكر سعيه ، حيث أرشد ابنه ، ليعلم منه فضيلة النبى عليه السلام ، الذى أرشد الأجانب والأقارب ، فان ارشاد الولد أمر معتـاد ، أما تحمل المشقة فى تعليم الأباعد فلا .

أما اذا انتقلنا الى الوعظ ، فانا نجده قد بدأ بالأهم ، وهو المنع من الاشراك ، حيث قال : " ان الشرك لظلم عظيم" .

وقد كان الشرك ظلما : اما لأنه وضع للنفس الشريف المكرم بقوله سبحانه :- " ولقد كرمنا بنى آدم" فى عبادة الخسيس .

أو : لأنه وضع العبادة فى غير موضعها ، وهى غير وجه الله وسبيله .

وأما كونه عظيما : فلأنه وضع فى موضع ، ليس موضعه ، ولا يجوز أن يكون موضعه . كماأن فى ذلك تسوية بين من لا نعمة منه أصلا ، وبين من لا نعمة الا منه سبحانه .

وأماالاشراك : فهو وضع العبادة فى غير الله تعالى ، ولا يجوز أن يكون غيره معبودا أصلا" . (١)

وللشرك صور عديدة ، كلها ازدراء للعقل ، وتشويه للحياة ، والاسلام نزل عدوا لدودا للشرك ، فى مختلف صوره وأوضاعه ، والضابط له ، كما قال الشيخ محمد عبده :-

---

(١) التفسير الكبير/ للرازى / جـ ٢٥ / ١٤٦ . بشىء من التصرف .

" هو اعتقاد أن لغير الله أثرا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، وأن لشيء من الأشياء سلطانا على ما خرج عن قدرة المخلوقين . وهو اعتقاد . من يعظم سوى الله ، مستعينا به فيما لا يقدر العبد عليه ، كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش ، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله اليها ، والاستعانة على السعادة الأخروية ، أوالدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا " . (١)

فالتعامل مع الخلق على أساس ماأعطاهم الله من قوى وقدر وأسباب ، كل ذلك ليس من الشرك ، وانما يكون الشرك ، عندما تطلب من أحدهم ، ما ليس له ، وما لا قدرة له عليه ، لا شرعا ولا قدرا .

---

(١) انظر / رسالة التوحيد / للامام محمد عبده / ص ٧٥ / الطبعة الاولى / ٩٦ هـ / ٧٦م .

الفصل الثالث

في بيان تفسير قوله تعالى :

" ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير .

وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون " .

ويتم ذلك في ضوء النقاط التالية :-

١ - ايراد أهم الأقوال التي قيلت في الآيتين الكريمتين ، ثم توجيه تلك الأقوال .

٢ - بيان معنى الوصية في اللغة .

٣ - بيان معنى الوصية في القرآن الكريم .

٤ - الانسان في القرآن الكريم :-

ويتضمن ذلك ما يلي :-

أ - المخلوق المسئول .

ب - الانسان الكائن المكلف .

ج - الانسان روح وجسد .

٥ - تفسير الآيتين الكريمتين .

وهذا هو التفصيل :-

١ - الأقوال التي قيلت في الآيتين الكريمتين :-

قيل في هاتين الآيتين أقوال كثيرة ،أجملها فيما يلي :-

أ - قيل : أنهما معترضتان في أثناء وصايا لقمان .

ب - وقيل : ان هذا مما أوصى به لقمان ابنه ،وأخبر الله به عنه ،لأن الله تعالى أوجب طاعة الوالدين في غير معصيته سبحانه .

جـ - وقيل : أي : واذ قال لقمان لابنه : فقلنا للقمان فيما آتيناه من الحكمة : " ووصينا الانسان بوالديه ،أي : قلنا له : اشكر لله ،وقلنا له : ووصينا الانسان" .(١)

وقيل غير ذلك .

د - ذكر الطبري أن هاتين الآيتين ،نزلتا في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، لما أسلم ،حيث أن أمه حلفت آنذاك ،ألا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، حتى تموت ،أو يرجع رضي الله عنه عن اسلامه ،فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشي عليها ،فسقاها بنوها فلما أفاقت ،دعت الله عليه فنزل قوله تعالى : " ووصينا الانسان بوالديه " ... الى قوله " في الدنيا معروفا".(٢)

هـ - ذكر ابن كثير أن قوله تعالى : " وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما " الآية نزلت في سعد بن مالك .(٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / جـ ١٤ / ٦٣ / بتصرف .

(٢) تفسير الطبري / جـ ٢١/ ٧٠ / بتصرف .

(٣) تفسير ابن كثير / جـ ٣ /٤٤٥ بتصرف .

و - ذكر الواحدى فى أسباب النزول : أن الآيتين نزلتا فى سعد كما ذكر الطبرى وابن كثير .(١)

قلت : ونحن اذا دققنا النظر فى هذه الأقوال نجدها جميعا متقاربة وليست متفاوتة ، ويمكن توجيهها كالتالى :-

أما بالنسبة للقول الأول ، القائل بأن الآيتين معترضتان فى أثناء وصايا لقمان ، فيجاب عنه ، بأن هذا الكلام " اعترض به على سبيل الاستطراد ، تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك" .(٢)

كما أنه لا يمتنع أن يكون مما أوصى به لقمان ابنه ، الوصية بالوالدين والاحسان اليهما وشكرهما وطاعتهما فى غير معصية الله ، وأخبرنا عن ذلك رب العزة فى القرآن الكريم . وكان ذلك أيضا من الحكمة التى أوتيها لقمان كما جاء فى القولين الثانى و الثالث .

أما عن القول الرابع الذى يقول : بأن الآيتين نزلتا فى سعد بن أبى وقاص والقول الخامس ، بأنها نزلت فى سعد بن مالك ، فتوجيههما كمايلى :-
ان سعد بن أبى وقاص ، هو سعد بن مالك ، ذكر ذلك ابن حجر فى تهذيب التهذيب (٣) ، وفى الاصابة (٤) ، كما ذكر ذلك أيضا ابن الأثير فى : أسد

---

(١) أسباب النزول / للواحدى / ص ٢٢٩ / ٢٣٠ ، ٢٣٣ / طبعة : ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
(٢) انظر الكشاف / للزمخشرى / جـ ٣ / ٢٣٢ .
(٣) تهذيب التهذيب / لابن حجر / جـ ٣ / ٤٨٣ / الطبعة الاولى .
(٤) الاصابة فى تمييز الصحابة / لابن حجر / جـ ٢ / ٣٣ ، ٣٩ / الطبعة الاولى .

الغابـــة [١] ، والذهبى ، فى الكاشف . [٢]

٢ - بيان معنى الوصية فى اللغة :-

الوصيـــة فى اللغـــة :

الوصية والتوصية والايصاء فى اللغة هى : أن يطلب الانسان من غيـــره ، القيام بعمل فى غيبته ، أو بعد موته .

تقول : أوصاه بكذا ، ووصاه به ايصاء وتوصية .

والوصية فى الأصل ، مأخوذة من : وصيت الشىء بالشىء اذا وصلته به ، وذلك لأن الموصى ، يصل ما بعد موته بما قبله ، فى نفاذ التصرف . فكما نفذت تصرفاته ، فـى ماله فى حياته ، تنفذ تصرفاته فيه بعد موته .

أو : لأنه يصل خير دنياه ، بخير آخرته ، فكما جازله فعل الخير بما له فى حياتـه ، جازله ذلك بعد موته" . [٣]

وقد ورد فى لسان العرب :

فلاة واصية ، أى : متصلة بفلاة أخرى . قال ذو الرمة :

بين الرجا والرجا من جنب واصية ∴ يهماء خابطها بالخوف معكـــوم

وأرض واصية : متصلة النبات ، اذا اتصل نبتها . [٤]

ولكن هل الوصية مأخوذة من : " وصى " الثلاثى ، أو من الرباعى المضعّـف

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة / لابن الأثير / مجلد ٢/٣٦٦ .

(٢) الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة / للذهبى / جـ ١ / ٣٥٤ / الطبعة الاولى .

(٣) انظر / أحكام الوصية / د . حسين حامد حسان / ص ٥ / الطبعة الاولى / ١٩٧٣م .

(٤) انظر / لسان العرب / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور/ جـ ١٥/٣٩٥/ دار بيروت للطباعة / ٩٦ هـ / ٧٦ م .

" وصّى " أو المزيد : " أوصى " ؟ .

اذا رجعنا الى كتب اللغة : كالصحاح والقاموس وتاج العروس ، نجـــد أنها تجعل الثلاثي : " وصى : يصى " بمعنى الوصل لا غير ، ومنه تؤخذ الوصية . أما الرباعي فيجعلونه بمعنى : العهد لا غير .

وقد جاء في لسان العرب :

أوصى الرجل ، ووصاه : عهد اليه . قال رؤبة :

وصّاني العجاج فيما وصّني . (١)

" ويقال : وصّى في ماله ، أو : ولده بشيء ، أي : عهد في ذلك ، بما يرى ، على أن ينفذ بعد موته ، كأن يعهد أن يعطى فلان كذا من ماله اذا توفى ، أو : أن يقوم على ولده بعد وفاته فلان" . (٢)

٣ - الوصية في القرآن الكريم :-

اذا رجعنا الى كلمة الوصية الواردة في القرآن الكريم ، نجدها وردت فـي أماكن متعددة ، منها :-

١ - قوله تعالى : "ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون" . سورة الأنعام - آية : ١٥١ .

٢ - وقوله تعالى : " ذلكم وصاكم به لعلكم تذّكرون" . سورة الانعام - آية : ١٥٢ .

٣ - وقوله تعالى : " ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" . سورة الانعام - آية : ١٥٣ .

٤ - وقوله تعالى : " ووصّينا الانسان بوالديه حسنا" . سورة العنكبوت / آية : ٨ .

٥ - وقوله تعالى : " وما وصينا به ابراهيم وموسى" . سورة الشورى / آية : ١٣ .

---

(١) الوصية وأحكامها في الفقه الاسلامي / محمد جعفر شمس الدين / ص ٢٢ ، ٢٣ بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السابق / ص ٢٤ .

٦ - وقوله تعالى : " من بعد وصية يوصى بها أو دين " . سورة النساء/آية ١٢ .

٧ - وقوله تعالى : " من بعد وصية توصون بها أو دين " . سورة النساء/ آية ١٢ .

٨ - وقوله تعالى : " أتواصوا به بل هم قوم طاغون " . سورة الذاريات /آية ٥٣ .

اذا تتبعنا هذه الآيات الكريمات ، مع سياقها مع الآيات المتقدمة عليها ، والمتأخرة عنها ، نجد أن الوصية فيها يصعب فهمها على معنى " الوصل " ولكن المعنى المفهوم منها ، هو : أن الوصية فيها بمعنى " العهد " .

وقد جاء فى تفسير البحر المحيط : " يوصيكم الله فى أولادكم " : أى : يعهد اليكم . كقوله تعالى : " ما وصّى به نوحا " . (١)

٤ : الانسان فى القرآن الكريم :-

وتتضمن هذه النقطة الفقرات التالية :-

أ - المخلوق المسئول .

ب - الانسان الكائن المكلف .

جـ - الانسان روح وجسد .

وهذا هو التفصيل :-

أ - المخلوق المسئول :-

عندما خلق الله الانسان ، وأوجده فى هذا الكون ، لم يخلقه عبثا ولم يتركه هملا ، بل فضله على جميع الكائنات الحية ، وميزه عنها بصفات حميدة ، متى استعملها كما جعلت له ، ارتقى الى منازل عليّة ، لا يدركها سواه الا من عمل مثل عمله أو أكثر

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٤ ، ٢٥ / بتصرف .

ولهذا فقد حظى هذا الانسان ، بصفته المخلوق المسئول بصفوة جميع الصفات الوارد ذكرها فى القرآن الكريم ، سواء كانت تكليفا ، أو عامة فى معارض الحمد والذم ، من طباعه وأفعاله .

ولذلك نجد كثيرا من الآيات القرآنية ، تذكر هذا الانسان ، بغاية الحمد أحيانا ، وآيات أخرى ، تذكره بغاية الذم . وهذا دليل واضح أنه أهل للمسئولية ، وأهل للكمال والنقص ، فهو أهل للخير ، متى سار على نهج الله ، وهو أهل للشر متى حاد عن الصراط السوى .

وقد جعل الله الانسان ، مسئولا عن كل مايؤديه ، ومجازى عن كل ما اقترفته يداه ، يشير الى ذلك المولى تبارك وتعالى فى قوله : " كل نفس بما كسبت رهينة "، (١) وفى قوله : " كل امرىء بما كسب رهين " ، (٢) وفى قوله : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون " . (٣)

أما مناط المسئولية فى القرآن الكريم ، فهو قائم على أركانها المجملة فيه بنصوصه ، وهى : تبليغ ، وعلم ، وعقل . فلا تحق التبعة على أحد ، لم تبلغه الدعوة ، فى مسائل الغيب ، ومسائل الايمان ، يؤيد ذلك ، قوله سبحانه : " ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون " . (٤) وقوله سبحانه : " وان من أمة الا خلا فيها نذير " ، (٥) وقوله جل ذكره : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " . (٦)

---

(١) سورة المدثر / آية : ٣٨ .
(٢) " الطور / " : ٢١ .
(٣) " البقرة / " : ١٤١ .
(٤) " يونس / " : ٤٧ .
(٥) " فاطر / " : ٢٤ .
(٦) " الاسراء / " : ١٥ .

أما العلم : فان أول نزول الوحى على المصطفى صلى الله عليه وسلم ،كان أمرا بالقراءة وتنويها بعلم الله ،وعلم الانسان . قال سبحانه : " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم" . (١)

كذلك نجد أن أول فاتحة فى خلق الانسان ،كانت فاتحة العلم الذى تعلمه آدم وامتاز به ،على سائر المخلوقات ،يدل على ذلك قوله تعالى : " وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علّمتنا انك أنت العليم الحكيم" . (٢)

أما العمل : -فهو مشروط فى القرآن الكريم ،بالتكليف الذى تسعه طاقة المكلف ، وبالسعى الذى يسعاه لربه ولنفسه،قال تعالى : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها "، (٣) وقال سبحانه : " وأن ليس للانسان الا ما سعى "، (٤) وقال سبحانه : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" . (٥)

ورسل البلاغ ،هم أول المكلفين بالعلم والعمل والتبليغ ،وأممهم أمة واحدة هى الأمة الانسانية ،والههم -جميعا -اله واحد ، هو رب العالمين قال سبحانه وتعالى :" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم .وانّ هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون" . (٦)

---

(١) سورة العلق / آية ١ : ٥ .

(٢) سورة البقرة / آية ٣١ .

(٣) سورة البقرة / آية ٢٨٦ .

(٤) سورة النجم /آية ٣٩.

(٥) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

(٦) سورة المؤمنون / آية ٥١ : ٥٢ .

واذا استعرضنا آيات القرآن الكريم ، التى تصف الانسان ، وتأملناها كما يجب ، نجدها تصفه فى الذروة من الكمال المستطاع له ، بما استعد له من التكليف كما تصفه فى الجانب الآخر ، فى الدرك الأسفل من الحطة ، المنحدر اليها بهذا الاستعداد ، ولهذا كان من أكرم الخلائق ، بهذا الاستعداد ، المتفرد بين خلائق السماء والأرض ، من ذى حياة ، أوغير ذى حياة ، يشير الى ذلك قوله سبحانه وتعالى : " ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ".(١) وقوله : " لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم "،(٢) وقوله : " سخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ".(٣)

لكنه حين يتخلى عن هذه المسئولية ، وينحط بنفسه عن هذا التكريم والتفضيل نجده يوصف دون غيره من الخلائق ، بالكفر والطغيان ، والخسران والفجور ، والكنود ، لأنه أهل للايمان والعدل والرجحان والعفاف ، فتخلى عن ذلك يشير الى ذلك المولى تبارك وتعالى فى قوله : " انّ الانسان لظلوم كفّار "،(٤) وفى قوله : " كلا انّ الانسان ليطغى . أن رآه استغنى "،(٥) وفى قوله : " انّ الانسان لفى خسر "،(٦) وفى قوله جل جلاله : " انّ الانسان لربه لكنود ".(٧)

---

(١) سورة الاسراء / آية ٧٠ .

(٢) سورة التين / آية ٤ .

(٣) سورة لقمان / آية ٢٠ .

(٤) سورة ابراهيم / آية ٣٤ .

(٥) سورة العلق / آية ٥ ، ٦ .

(٦) سورة العصر / آية ٢ .

(٧) سورة العاديات / آية ٦ .

أما اذا انتقلنا الى الآيات التى تتحدث عن خلق جسد الانسان فانّنا نجدها لا تخلو من الايحاء الى هذا المخلوق المسئول، بأن أطوار خلقه السوىّ اعداد لما هو أشرف من حياته الحيوانية، وبرهان من براهين التبليغ برسالة الغيب، لعله ينظر فى الخلق، فيرى فيه آثار الخالق الذى لا تدركه الأبصار والأسماع، قال تعالى : "ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (١) .

وقال تعالى : "ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه" (٢) الآية .

وقال تعالى : "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون" (٣)، وقال تعالى : "سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون" (٤) .

وهو مع هذا، لا يكلف ما لا يطيق، ولا يسأل عما يجهل، لكنه بالمقابل يسأل عما علمه، وعما وسعه أن يعلمه" (٥) .

---

(١) سورة المؤمنون / آية ١٢ : ١٤ .

(٢) سورة السجدة / آية ٦ : ٩ .

(٣) سورة الروم / آية ٢٠ .

(٤) سورة يس / آية ٣٦ .

(٥) الانسان فى القرآن / للعقاد / ص ١٥ : ٢١ بتصرف .

ب - الانسان الكائن المكلف :-

ان مكان الانسان فى القرآن الكريم ، هو أشرف مكان له ، فى ميزان العقيدة ، وفى ميزان الفكر ، وفى ميزان الخليقة الذى توزن به طبائع الكائن ، بين عامة الكائنات ، لأنه الكائن المكلف ، المؤهل لحمل أمانة التكليف .

والكتاب الذى ميز الانسان بهذه الخاصية العظيمة ، نجده يخاطب العقل ، ويجعله القمة فى هذا الانسان ، لأن العقل ، يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ، ويحمله على الفهم والتفكر فى وجوه الأشياء وبواطن الأمور .

والعقل مع هذا ، روية وتدبير ، وبصيرة تنفذ وراء الأبصار ، كما أنه ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة ، مما كان ، لما يكون .

والعقل بهذه المعانى ، موصول بكل حجة من حجج التكليف ، وكل أمر بمعروف وكل نهى عن منكر ومحظور ، يشير الى ذلك ما ورد فى أواخر كثير من الآيات : أفلا يعقلون ، أفلا يتفكرون ، أفلا يبصرون ، أفلا يسمعون .... الخ .

ان العقل بهذه المعانى ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر السماء والأرض ، ومن أمر أنفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق السماء والأرض . قال تعالى : "... ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار" . (١)

وقال تعالى : " أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى" . (٢)

---

(١) سورة آل عمران / آية : ١٩١ .

(٢) سورة الروم / آية : ٨ .

والشواهد القرآنية على هذا التوافق الموصول ، بين تمييز الانسان بالتكليف في القرآن ، وبين خطابه للعقل والفكر ، وتذكيره بالرشد والبصر ، شواهد كثيرة جدا ، تفوق الحصر والعد ، وهي رغم ذلك ، حاضرة في ذهن كل قارئ لكتاب الله الكريم ، وكل قادر على المقابلة بينه وبين غيره من كتب الأديان .

والنبوة المحمدية عندما قامت على اقناع العقل المسئول ، عن طريق التأمل والتفكر في آيات الكون ، كانت بذلك ، خاتمة لسلطان القادة ، كما كانت خاتمة لسلطان النبوات بالمعجزات الخالدة ، وخوارق العادة ، فلا يعذر الاسلام انسانا يعطل عقله ، ليطيع السادة المتكبرين ، أو الأحبار المتسلطين ، بسلطان المال والدين ، قال سبحانه وتعالى : " قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " الآية . (١)

وقال سبحانه : " قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين " . (٢)

وقال سبحانه : " يا ايها الذين آمنوا انّ كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله" . (٣)

وقال سبحانه وتعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" (٤) الآية .

والتكليف لا يسقط عن العاقل ، بطاعته للمتحكمين ، سواء كان بطغيان الحكم ، أو بطغيان الكهانة ، وبالتالي لا يمنعه التكليف ، أن يسأل من يعلم ، ان كان لا يعلم ، لأن طلب العلم يحقق واجب التكليف ، ولا يعطله أو يلغيه ، بل يوجب على

---

(١) سورة النساء / آية : ٩٧ .

(٢) سورة سبأ / آية : ٣٢ .

(٣) (٤) سورة التوبة / آية : ٣٤ . وآية : ٣١ .

المتعلم أن يتبين الذى يسأله ، وعليه تبعة هذا العمل ،[١] قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" .[٢]

جـ : الانسان روح وجسـد :

ان عقيدة الروح ، من العقائد التى يجب على المسلم ، الايمان بها ، لأن العقائد الغيبية من الأسس العميقة للتدين ، والقرآن الكريم ، لا يعطل عقل المؤمن به ، بل يحث على البحث والتفكر فى كل أجزاء هذا الكون العظيم ، وما عقيدة الـروح الا احدى هذه العقائد ، ومع هذا فقد وجب على الانسان ، الايمان بعلمه القليل فيها ، وتسليمه تسليمهم الايمان بأنها من أمر الله .

والروح والجسد فى القرآن الكريم ، مكملان لبعضهما ، فلا ينكر أحدهما فى سبيل الآخر ، ولا يبخس حق أحدهما ، نظير ايفاء حقوق صاحبه .

وقد جاء القرآن الكريم ، بالنهى عن تحريم الحلال ، كما جاء بالنهى عـن اباحة الحرام ، يشير الى ذلك قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تحرّمـوا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم اللـه حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون" .[٣]

كذلك يأمر القرآن الكريم ، المؤمن به ، بأن يكون كسبه من الطيب من الـرزق ،

---

(١) الانسان فى القرآن / للعقاد / من ص ٢٢ : ٢٩ بتصرف .
(٢) سورة النحل - آية : ٤٣ .
(٣) سورة المائدة ، آية : ٨٧ ، ٨٨ .

وأن يكون انفاقه متزنا ، لا مسرفا ولا مقترا ، وأن ينعم بالطيبات من ثمرات الأرض ، وأن يؤدى شكر ذلك كله، (١) قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض " (٢) وقال سبحانه : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون " (٣) .

ان القرآن الكريم بهذا الالهام الصادق ، ينقذ العقل من نقائض التفكير ، فضلا عن انقاذه من نقائض الحيرة فى حقائق الدين . وقد علم العقل اليوم " أن ذرات التراب ، وذرات الضياء من معدن واحد ، وان الحجر اليابس يتفتت ، فاذا هو شعاع ، وان الشعاع المطلق ينعقد ويتقابل ، فاذا هو حجر ، وان الفيصل بين ضياء الفلك وضياء العقل ، قائم لا شك فيه ، ولكن لا شك كذلك ، فى خفاء هذا الأمر على العلم ، كخفائه على الايمان .

فماذا يقول العالمون بالذرة ، من المؤمنين بالمادة دون الروح ؟ . ماذا يقولون عن " عقل الدماغ " ، كيف يرى ما لا تراه العين بشعاع الضياء ؟ سيقولون علما ، ما قال به قارئ الكتاب ايمانا ، حين قيل له عن الروح فسمع وصدق . وقلبه مطمئن بالايمان : " قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا " (٤) .

أما اذا نظرنا الى الدراسة الحديثة للنفس ، التى قام بها علماء النفس المتخصصون فانا نجد القرآن الكريم قد سبقهم فى ذلك المضمار ، ويمكن القول أن

---

(١) الانسان فى القرآن / للعقاد / ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٢

(٤) انظر / الانسان فى القرآن / للعقاد / ٣٣ ، ٣٤ .

دراساتهم تلك ، مقتبسة فى جلها من هذا الينبوع الصافى ، الذى لا ينضب معينه ولا تنتهى عجائبه ، فان القرآن الكريم قد ذكر النفس فى مواضع شتى ، ووصفها بصفات جلية ، كاملة الوضوح ، فمن ذلك :

ان قوة الدوافع الغريزية تساوى النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى : " وما أبرىء نفسى انّ النفس لأمّارة بالسوء الا ما رحم ربى " .(١)

وقوة النفس الواعية ، تساوى النفس الملهمة قال تعالى : " ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها " .(٢)

وقوة الضمير ، تساوى النفس اللوامة . وهى التى يقع منها الحساب ، كما يقع عليها ، قال تعالى : " لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوّامة " .(٣)

وقوة الايمان والثقة بالغيب ، تساوى النفس المطمئنة . قال تعالى : يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضيّة " .(٤)

وفى كل موضع من هذه المواضع ، تذكر النفس الانسانية بعامة هذه القوى . . فتجمعها خاصة واحدة ، هى خاصة الانسان فى القرآن وهى كما تقدم ، خاصة الكائن المكلف المسئول . قال تعالى : "كل نفس بما كسبت رهينة"(٥) وقال تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا "(٦) ، وقال تعالى : " يوم تجد

---

(١) سورة يوسف / آية / ٥٣ .

(٢) سورة الشمس / آية : ٧ : ١٠ .

(٣) سورة القيامة / آية : ٢ .

(٤) سورة الفجر / آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سورة المدثر / آية : ٣٨ .

(٦) سورة الأنبياء / آية : ٤٧ .

كل نفس ما عملت من خير محضرا "(١) وقال تعالى : " علمت نفس ما قدمت وأخّرت .
يا أيها الانسان ما غرّك بربّك الكريم . الذى خلقك فسوّاك فعدلك . فى أى صورة
ما شاء ركّبك " . (٢) ، (٣)

والذات الانسانية ، أعم من النفس ومن الروح ومن العقل ، حين تذكر كل منها
على حده ، لأن الانسان يحاسب نفسه فينهاها عن الهوى ، أما الروح فهى من امر
الخالق تبارك وتعالى ، الذى لا يعلم الانسان منه ، الا ماعلمه الله سبحانه ، لكن
العقل يتوسط بين القوتين ، فهو وازع الغريزة ومستلهم لهداية الروح . (٤)

ولهذا نجد الانسان يعلو بعقله على نفسه ، ويعلو على عقله بروحه ، فيتصل
من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ، ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب
الروح ، بعالم البقاء ، وسر الوجود الدائم وعلمه ، عند الله ، أما العقل ، فحقه
أن يدرك ما وسعه من جانبه المحدود ، ولكنه ، لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها
المطلق ، الا بايمان والهام . (٥) قال سبحانه وتعالى : " وما أوتيم من العلم
الا قليلا " ، (٦) وقال سبحانه وتعالى : " وفوق كل ذى علم عليم " . (٧)

٥ : تفسير الآيتين الكريمتين :-

قال تعالى : ووصينا الانسان بوالديه " : -

---

(١) سورة آل عمران / آية : ٣٠ .

(٢) سورة الانفطار / آية : ٦ : ٨ .

(٣) الانسان فى القرآن / للعقاد / ٣٨ ، ٣٩ بتصرف .

(٤) المرجع السابق / ص ٤٠ / بتصرف يسير .

(٥) انظر المرجع السابق / ص ٤٠ .

(٦) سورة الاسراء / آية : ٨٥ . (٧) سورة يوسف / آية : ٧٦ .

يأمر الله تبارك وتعالى ، فى هذه الآية الكريمة ، الانسان بصفة عامة ، أن يحسن الى والديه ، وأن يعطف عليهما ، وأن يبر بهما ، وأن يطيعهما فى غير معصية الله تعالى ، وأن يصلهما حتى ولو كانا كافرين .

وقوله : " حملته أمه وهنا على وهن " :

أى : حملته فى بطنها ، وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف منذ حملها به .

وقيل : المرأة ضعيفة الخلقة ، فاذا حملت أضعفها الحمل أكثر وأكثر .(١)

وقيل : بل المراد : أن الأم تضعف ضعفا متزايدا ، بازدياد ثقل الحمل ، الى مدة الطلق ، ثم ضعف النفاس .

وقيل : المعنى :-

" وهنا " : أى : الولد ، " على وهن " : أى : الوالدة وضعفها .

والمراد : أنها حملته ، حال كونه ضعيفا ، على ضعيف مثله ، وليس المراد : أنها حملته ، حال كونه متزايد الضعف ، ليقال ان ضعفه لا يتزايد بل ينقص .(٢)

قلت :-

وفى الحقيقة ، اذا أمعنا النظر فى هذه الأقوال ، فانا نجدها جميعا متلازمة ومترابطة ، فان المرأة فى حقيقتها ضعيفة الخلقة ، والحمل فى بدايته يكون ضعيفا ، ولكن تزايد ثقل الحمل على المرأة يزيدها ضعفا ومشقة الى ضعفها الحقيقى والنفسى ، فاذا جاءها الطلق ، ازداد الحال مشقة ، ثم تبلغ المشقة قمتها أوان الوضع وأيام النفاس الأولى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / ج ١٤ / ٦٤ . بتصرف .

(٢) روح المعانى / للألوسى / ج ٢١ / ٨٥ . بتصرف يسير .

وانظر احكام القرآن للجصاص / ج٥ / ٢١٨

ومن خلال هذه المراحل المفعمة بالتعب والأرق والمشقة والخوف ، يتبين لنا بوضوح ، مدى ما تعانيه الأم من شتى أنواع الآلام من أول أيام حملها الى أيام وضعها . ثم ما يعقب ذلك من الرضاع والرعاية والتربية .

ولهذا فان الولد مهما قدم لأمه من أنواع الجزاء والطاعة ، فانه لا يزال مقصرا . وقد جاء الحديث الشريف يبين ذلك ويحث عليه ، " عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك " . (١)

فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ، ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب ، لذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، الأم ثلاث مرات ، وذكر الأب فى الرابعة فقط ، واذا توصل الى هذا المعنى ، شهد له العيان .

وذلك : أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع ، تنفرد بها الأم ، دون الأب ، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب .
وروى عن مالك ، أن رجلا قال له : ان أبى فى بلد السودان ، وقد كتب الىّ أن أقدم عليه ، وأمى تمنعنى من ذلك . فقال له : أطع أباك ولا تعص أمك .
فدل قول مالك هذا : أن برّهما متساو عنده .

وقد سئل الليث عن هذه المسألة : فأمره بطاعة الأم ، وزعم أن لها ثلثى البر .

---

(١) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / جـ ٨ / ص ٢ / باب بر الوالدين - كتاب البر والصلة والآداب / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع .

وحديث أبى هريرة يدل على أن لها ثلاثة أرباع البر وهو الحجة على من خالف .

وقد زعم المحاسبى فى كتاب " الرعاية " : أنه لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر ، وللأب الربع ،على مقتضى حديث أبى هريرة " (١) .

وأرى أن الزعم هنا ، الاعتقاد وليس الادعاء .

وقوله : " وفصاله فى عامين " :

المقصود بالفصال هنا : الفطام . والمعنى : أن فصاله وفطامه ، يكون فى انقضاء عامين " (٢) .

وقرأ بعضهم : " وفصله " ، وهما لغتان .

وقد أشار الألوسى الى أن الفصل أعم من الفصال ، والفصال ههنا أوقع من الفصل ، لأنه موقع يختص بالرضاع ، وان رجعا الى أصل واحد على ما قال الطيبى .

ثم استطرد قائلا ، وظاهر الآية : أن مدة الرضاع عامان . والى ذلك : ذهب الشافعى والامام أحمد وأبويوسف ومحمد ، وهو مختار الطحاوى ، وروى عن مالك .

وذهب الامام أبوحنيفة الى أن مدة الرضاع الذى يتعلق به التحريم ثلاثون شهرا ، لقوله تعالى : " وحمله وفصاله ثلاثون شهرا " . ووجه الاستدلال : أنه سبحانه وتعالى ، ذكر شيئين ، وضرب لهما مدة . فكانت لكل واحد منهما بكمالها ، كالأجل المضروب للدينين على شخصين ، بأن قال : أجلت الدين الذى لى على فلان ، والدين الذى لى على فلان ، سنة . فانه يفهم : أن السنة بكمالها لكل .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٠ / ٢٣٩ .

(٢) انظر / أحكام القرآن / للجصاص / جـ ٥ / ٢٠٨

أو : على شخص : بأن قال : لفلان عليّ ألف درهم وعشرة أقفزه الى سنة . فصدّقه المقرله في الأجل . فاذا مضت السنة ، يتم أجلهما جميعا ، الا أنه قام النقص في أحدهما ، أعني مدة الحمل ، لقول عائشة الذى لا يقال مثله الا سماعا . الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين ولو بقدر فلكة مغزل ، فتبقى مدة الفصال على ظاهرها ، وما ذكر هنا أقل مدته" .(١)

وعن أبي حنيفة في قول آخر : ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا ، وان أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ، ثم أرضعته فهو رضاع محرم" .(٢)

وقوله سبحانه : " أن اشكر لي ولوالديك " :

أن : هنا ، تحتمل عدة وجوه :-

الوجه الاول : أن تكون مفسرة ، ويكون المعنى على هذا : " ووصينا الانسان بوالديه أى أشكر لي ولوالديك . لا سيما وأن شروط " أن" المفسرة متوفرة هنا وهى :

١ - أن تكون مسبوقة بجملة .

٢ - أن يكون بعدها جملة .

٣ - ألا تكون الجملة السابقة مشتملة على القول ، بل في معنى القول .

الوجه الثاني : أن تكون مصدرية ، بتقدير لام التعليل قبلها ، وهو متعلق بوصينا .

الوجه الثالث : أن تكون مصدرية ، بلا تقدير ، على أن يكون المصدر بدلا من والديه - بدل اشتمال . وعليه كأنه قيل : أوصينا الانسان بوالديه بشكرهما .

---

(١) انظر / روح المعاني / للألوسى / ج ٢١ / ٨٦ .

(٢) انظر / الكشاف / للزمخشرى / ج ٣ / ٢٣٣ .

وذكر شكر الله تعالى ،لأن صحة شكرهما ،تتوقف على شكره عز وجل ،كما قيل في عكسه : من لا يشكر الناس لا يشكر الله" .(١) ولذا قرن بينهما في الوصية ."(٢)

وقد اختلف في معنى الشكر هنا :-

فقيل : ان الشكر لله تعالى يكون بطاعته سبحانه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وفعل ما يرضيه كالصيام والصلاة والصدقة و . . . الخ .

أما الشكر بالنسبة للوالدين : فيكون ببرهما وصلتهما وعدم اغضابهما والدعاء لهمـــا .

وقيل : عن سفيان بن عيينه : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ،ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما" .(٣)

وقوله تعالى : " الىّ المصيـــر " :-

المعنى : أن نعمة الله سبحانه وتعالى ،عامة في الدنيا والآخرة ،أما نعمة الوالدين فهي خاصة في الدنيا ،ولذلك فان المصير والرجوع بعد الحياة الدنيا اليه سبحانه فيجازى كلا على ما قدمه وما عمله في دنياه" .(٤)

وأشار الألوسي الى أن قوله سبحانه وتعالى " الىّ المصير" : تعليل لوجوب امتثال الأمر . فان الرجوع اليه سبحانه ،لا الى غيره ،فيجازى الانسان على مـــا صدر منه ،وخالف به أمر الله" .(٥)

---

(١) انظر / الجامع الصحيح / للترمذى / جـ ٣ / ص ٢٢٨ /الطبعة الثانية / ٩٤ هـ - ٧٤ م / باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك .

(٢) ،(٣) روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١ / ٨٦ ، ٨٧ بتصرف .

(٤) تفسير الرازى / جـ ٢٥ / ١٤٧ . بتصرف .

(٥) روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١ / ٨٧ . بتصرف .

بر الوالدين مما اتفقت عليه الشرائع وتطابقت على حسنه العقول :

ان بر الوالدين والاحسان اليهما وطاعتهما فى غير معصية الله تعالى ، من الأمور التى اتفقت الشرائع عليه ، وتطابقت على حسنه العقول .

والحاكم فى ذلك كله هو الاسلام ، فما وافقه قبلناه ، وما عارضه رددناه ، وما لم يوافق ولم يعارض ، قلنا ما علّمنا الاسلام أن نقوله : "آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون" (١) .

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه :

" كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية ، لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم ...." (٢) الآية .

أما تطابق العقول على ذلك ، فان هذا من الأمور المسلم بها عقلا وعرفا . فانه لا يوجد عاقل يرى أن بر الوالدين والاحسان اليهما خلق ذميم ، أو أن عقوقهما من الأخلاق الحسنة .

وكذلك الحال بالنسبة للعرف . لأن من صنع اليك معروفا فانه يجب عليك

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٦ .

(٢) انظر / صحيح البخارى / جـ ٩ / ص١٣٦ / باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة دار مطابع الشعب .

أن تكافئه على صنيعه تجاهك ، حتى لو لم تجد ما تكافئه به ، فيجب عليك أن تدعو له حتى ترى أنك قد كافأته .

وهذا بالنسبة لمن صنع اليك معروفا ، وقد يكون هذا المعروف قليلا فى تكاليفه وفى زمنه . فكيف بمن حملك فى بطنه تسعة أشهر ثم سقاك لبنه وأفاض عليك حنانه ، ورعاك الرعاية الشاقة له المريحة لك حتى ترعرعت وكبرت وبذل لك ما يملك فكنت تنام وهو بجانبك ساهر ، وكنت تتمتع بالراحة والاطمئنان ، وهو يتحمل ألوان المشاق وأصناف المتاعب من أجلك حتى أنه ربما يتمنى أن يموت لتعيش أنت .

فماذا يكون جزاؤه بعد هذا ؟ ان الجزاء عظيم ، وانه لعظيم جدا ، ولن يستطيع أحد أن يقوم به كاملا الا من وفقه الله لذلك .

واننى لأبتهل الى الله عز وجل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يوفقنا لطاعة والدينا وبرهما والاحسان اليهما فى حياتهما وبعد موتهما .

قلت :

أولا : ومن هذه الآية الكريمة تتضح لنا ، المبادىء الرفيعة ، والمثل العليا التى تملأ المرء ايمانا وثقة بربه . فهو سبحانه أرحم بعباده ، فأوصى الانسان خيرا بألصق الناس به قرابة ، ومن المعلوم أن الموصى ، أكثر اهتماما ورحمة من الموصى اليه ، فالله يوصينا بآبائنا وأمهاتنا ،

ثانيا : قد ينسى الانسان بعض النعم ، التى أسبغت عليه ، أو يتناسى ، فذكره القرآن بأمور لا يمكن له أن يجحدها مهما اشتط فى طغيانه ، أو توغل فى نسيانه ، فقد حملته أمه ووضعته وأرضعته وهى ضعيفة ، وهو كذلك ضعيف مما يؤكد أن ضعف الأم ، ومشقة الحمل ، لم يمنعها من التضحية ، فهى جديرة بالاحترام والتقدير .

ثم يلمح القرآن الكريم الى ضعف هذا الانسان ، الذى قد ينسى ، فى خضم الحياة ، ضعفه الماضى ، ويطغيه غروره ، فلا يذكر ضعفا سابقا ، فذكّره القرآن الكريم بأن الضعف كان سابقا على قوته ، وسيطرأ لا محالة ، بعد قوته ، فماينبغى نسيان تلك الحقيقة ، ثم ان نسيان تلك الوصية ، سيكون أيضا حين يتحول الى والد ضعيف فيوصى الله به أولاده .

وقد أرشد سبحانه الى مدة الحمل والرضاع ، وهى مدة ليست يسيرة فثلاثون شهرا من المكابدة والاعياء ، ليست بالأمر السهل ، فاذا أوجب عليه الشكر ، فهو عين العدل ، وأحق من يشكر ، هو المنعم الحقيقى سبحانه ، فقد ذلل الصعاب ومهد الطريق ، وجعل المرّ حلوا فى أعين الوالدين ، فكل ما يتعبهما فى سبيل أولادهما هى لذة الحياة فى نظرهما ، فسبحان من أوجد اللذة من الألم .

ولذا فقد ختمت الآية ، وفيها انذار بالعكس ، فقد يوءلم من خلال اللذة ، كما ألذ من خلال الألم ، فالمصير اليه وحده ، والجزاء منه وحده ، وما كان لوجهه جازى عليه بالاحسان ، وما كان لغيره ، تلقاه بالرد والنكران .

هـ / اعراب
لا تفسير

قال تعالى :"وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما".

الواو : للاستئناف .

ان : ترد " ان" المكسورة على أربعة أوجه . (١)

والذى يهمنا هنا ، هو ما يتعلق بالآية الكريمة الآنفة الذكر ، وهو :

ان : شرطية .

وفعل شرطها : جاهداك ، وجوابه : تطعهما .

على : لعلى : تسعة معان :- (٢)

والذى يتعلق بالآية الكريمة ، من هذه المعانى التسعة فى اعتقادى كما يلى :-

تحتمل " على " فى الآية الكريمة عدة وجوه هى :-

الوجه الاول :

أن تكون للتعليل ، والمعنى على هذا : وان جاهداك للاشراك بى فلا تطعهما ..

الوجه الثانى :

أن تكون موافقة للباء ، والمعنى على هذا : وان جاهداك بأن تشرك بى فلا تطعهما ..

الوجه الثالث :

أن تكون للمجاوزة ، والمعنى على هذا : وان جاهداك مجاوزين الحد فى الظلم ، حاملينك على الشرك فلا تطعهما .

---

(١) انظر / مغنى اللبيب / لابن هشام / جـ ١ / ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق / جـ ١ / ص ٢٧ وما بعدها .

أن : هنا فى الآيةالكريمة ، مصدرية ناصبة للفعل المضارع .

قوله : " بى " :- الباء هنا بمعنى : فى . والمعنى : أن تشرك فى" .

ما : قال السيوطى :-

اذا وقعت " ما " قبل ليس ، أو قبل " لم " ، أو قبل " لا " ، أو بعد " الا " :

فهى موصولة ، مثل :-

١ - ما ليس لى بحق .

٢ - ما لم يعلم .

٣ - ما لا يعلمون .

٤ - الا ما علمتنا . (١)

وعلى هذا فكلمة " ما " الموجودة معنا فى الآية الكريمة : " موصولة " .

والمعنى على هذا : أن تشرك بى الذى ليس لك به علم .

ليس : فعل لا يتصرف . وقيل انه حرف ، والصواب : الأول .

وتلازم ليس ، رفع الاسم ونصب الخبر . وقيل : قد تخرج عن ذلك . (٢)

وقال ابن مالك : ترد للنفى العام المستغرق ، المراد به الجنس . (٣)

و " ليس" الواردة فى الآية الكريمة ، تعتبر من أخوات كان الناسخة ، التى ترفع

المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ، ويسمى خبرها .

لك : هذه اللام هى الجارة ، وهى تفيد اثنين وعشرين معنى . (٤)

والذى يهمنا هو ما يتعلق بقوله سبحانه " لك" فى الآية الكريمة ، وهو فيها

بمعنى " عند" . والمعنى على هذا : " ما ليس عندك به علم" .

---

(١) الاتقان / للسيوطى / جـ ١ / ص ١٧٧ / بتصرف .
(٢) مغنى اللبيب / لابن هشام / جـ ١ / ص ٢٩٣ / بتصرف .
(٣) انظر / الاتقان / للسيوطى / جـ ١ / ص ١٧٧ .
(٤) انظر / مغنى اللبيب / لابن هشام / جـ ١ / ٢٠٨ .

فلا : تأتى " لا " على ثلاثة أوجه :-

١ - أن تكون نافيه .

٢ - أن تكون موضوعة لطلب الترك .

٣ - أن تكون زائدة لتقوية الكلام وتوكيده . (١)

والذى يتعلق بالآية الكريمة من هذه الوجوه ، هو الوجه الثانى . وعلى هذا فكلمة " لا " فى الآية الكريمة ، تفيد طلب الترك و جزم الفعل المضارع الذى بعدها .

أما معنى الآية الكريمة ، فهو :-

ان حرص الوالدان ، على أن يجعلاك تتبعهما فى دينهما - الذى هو الاشراك بالله - فلا تطعهما ، ولا يمنعك ذلك من مصاحبتهما وبرهما ، والاحسان اليهما فى الدنيا معروفا .

وقد أشار الألوسى الى أن المراد : " استمرار نفى العلم ، لا نفى استمراره فلا يكون الاشراك تقليدا .

أما الزمخشرى ، فيرى أن المراد بنفى العلم ، نفى مايشرك ، أى : لا تشرك بما ليس بشئ ، كما فى قوله سبحانه : " ما تدعون من دونه من شئ " .

وجعله الطيبى من باب : نفى الشئ بنفى لازمه ، وذلك أن العلم ، تابع للمعلوم ، فاذا كان الشئ معدوما ، لم يتعلق به موجودا .

ثم استطرد الألوسى بعد ذلك قائلا :

وفى الكشف أن الزمخشرى أراد أنه بولغ فى نفى الشريك ، حتى جعل كلا شئ ، ثم بولغ حتى ما لا يصح أن يتعلق به علم ، والمعدوم يصح أن يعلم ، ويصح

انظر / المرجع السابق / ج ١ / ص ٢٣٧ وما بعدها .

أن يقال انه شيء ، فادخل في سلك المجهول مطلقا ، وليس من قبيل نفي العلم لنفي وجوده" . (١)

وعندي : أن الآية الكريمة ، تقرر مبدأ هاما ، وهو : أولوية الحقوق ، فلما كان المولى هو صاحب الحقوق كلها ، بايجاده وانعامه ، كانت طاعته أولى وأحق من طاعة ما سواه . وحقوق الوالدين تأتي بعد ذلك ، فان تعارضت مطالبهما مع حق الله ، فحق الله تعالى أولى بالتقديم ، وتلغى مطالبهما التي ليس في تنفيذها ، برّ لهما ولا مصلحة ، فالتوحيد حق الله ولا مصلحة للوالدين في شرك ولدهما ، وطلبهما منه ذلك مجاوزة واعتداء .

ولذا أمر الولد ، بعدم طاعتهما في ذلك ، فالحق أحق أن يتّبع وماذا بعد الحق الا الضلال المبين .

أما قوله : " ما ليس لك به علم" فلا مفهوم له . اذ لا يوجد شرك بعلم وانما كل شرك منشوءه الجهل ، فالآية توضح الواقع نحو قوله : " ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به " اذ لا يوجد داع مع الله الها آخر وله برهان ، كما تقول : " صل ركعتين شرعيتين " اذ لا يوجد صلاة ركعتين الا مشروعة .

والمراد بالعلم : النفي : أي الحجة كأنه يقول : وان جاهداك على أن تشرك بي ما لا حجة لك عليه" .

---

(١) روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١/ ٨٧ . بتصرف يسير .

لا حاجة لمثل هذا العنوان حيث ان
الكلام متصل بما قبله دون حاجة ا
عنوان جديد

بيان ما يطاع فيه الوالدان وما لا يطاعان فيه :

ان طاعة الوالدين من الأمور المسلم بها ،لدلالة العقل عليها ، واقتضاء العرف وجوب العمل بها .

فضلا عن ورود كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تأمر بذلك وتحث عليه ، وتتوعد المقصر فيه بالعقاب الأليم والعذاب الشديد يوم الجزاء والحساب .

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك ، على سبيل المثال ،لا الحصر :

١ - قوله تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، امّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " . (١)

٢ - قوله تعالى : - " قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا " (٢) الآيات .

أما الأحاديث الشريفة الدالة على ذلك ،فهى كثيرة ،ومنها على سبيل المثال لا الحصر :-

ما ورد فى صحيح البخارى : " عن عبد الله قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها ،قال : ثم أى ؟ قال : ثم برّ الوالدين ،قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله .قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى " . (٣)

---

(١) سورة الاسراء - آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الانعام - آية : ١٥١ .

(٣) صحيح البخارى / جـ / ٨ / ٢ / باب قول الله تعالى : " ووصينا الانسان بوالديه " / كتاب الأدب / دار مطابع الشعب .

فأخبر صلى الله عليه وسلم ، أن برّ الوالدين ، أفضل الأعمال بعد الصلاة التى هى أعظم دعائم الاسلام ، ورتب ذلك بـ " ثم " التى تفيد الترتيب والمهلة . وكما أمر الاسلام بطاعتهما ، أمر أيضا بعدم التعرض لسبهما ، وأنّ ذلك من الكبائر ، " عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل يارسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه " . (١)

واذا كان بر الوالدين ، موافقتهما على أغراضهما ، فان عقوقهما : مخالفتهما فى أغراضهما الجائزة لهما .

فلو أمر أحدهما أو كلاهما ولدهما بأمر ، وجبت طاعته لهما اذا لم يكن ذلك الأمر معصية لله تعالى . حتى ولو كان ذلك الأمر من قبيل المباح أو من قبيل المندوب .

وأشار القرطبى الى أن البعض ، يرى أن أمرهما بالمباح يصيره فى حق الولد مندوبا ، وأمرهما بالمندوب ، يزيده تأكيدا فى ندبيته " . (٢)

واذا كان الوالدان كافرين ، فيجب كذلك على الولد برهما والاحسان اليهما ومصاحبتهما صحابا حسنا ، قال تعالى : " وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا " (٣) الآية .

وفى الحديث الشريف : " عن أسماء قالت : قدمت أمى وهى مشركة - فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم - مع أبيها ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ، فأصلها ؟ قال : نعم ،

---

(١) انظر / صحيح البخارى / جـ ٨ / ص ٣ / باب : لا يسب الرجل والديه - كتاب الأدب / دار مطابع الشعب .

(٢) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٠ / ص ٢٣٨ / بتصرف .

(٣) سورة لقمان - آية : ١٥ .

صلى أمــــك" . (١)

وبر الوالدين لا يختص بهما فى حالة حياتهما فحسب ، بل يمتد حتى فـى حالة موت أحدهما أوكلاهما ، ويكون ذلك بالدعاء لهما والاستغفار لهما وصلـة رحمهما وصلة أهل ودهما .

"عن ابن عمر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان أبر البـر ، أن يصل الرجل أهل ود أبيه" (٢)

وفى رواية عن أبى اسيد مالك بن ربيعة قال بينما نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة ، فقال : يا رسول الله : أبقى من بر أبوى شىء أبرهما به من بعد موتهما ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وايفاء بعهودهما من بعد موتهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم ، التـى لا توصل الا بهما (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يهدى لصدائق خديجة ، برا بها ووفاء لها ، وهى زوجته ، فما ظنك بالوالدين ؟ . (٤)

وجملة ما تقدم ، أن طاعة الوالدين واجبة فى غير معصية الله تعالى فـلا

---

(١) انظر / صحيح البخارى / جـ ٨ / ص ٥ / باب صلة المرأة أمها ولها زوج - كتاب الأدب .

(٢) انظر / سنن الترمذى / جـ ٣ / ص ٢٠٩ / باب : فى اكرام صديق الوالـد / أبواب البر والصلة / الطبعة الثانية .

(٣) انظر / سنن ابن ماجه / جـ ٢ / ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ / باب : صل من كان أبوك يصل .

(٤) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٠ / ٢٤٠ وما بعدها بتصرف .

تراعى فى ركوب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة على الأعيان ، وتلزم طاعتهما فى المباحات.(١)

أما اذا أمره أحدهما أو كلاهما بمعصية لله سبحانه وتعالى ، فليس عليه طاعتهما ، بل يجب عليه معصيتهما ، حيث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وقوله سبحانه : " وصاحبهما فى الدنيا معروفا " :-

أى : يجب على الولد أن يصاحب والديه فى هذه الدنيا صحابا حسنا ، يفيض بحسن الخلق ، وشدة الاحتمال ، كما يرتضى ذلك ، الشرع وتوجبه المروءة ، ويقتضيه الكرم ، ومن ذلك : اطعامهما وكسوتهما ، وعدم جفائهما ، أو انتهارهما ، وزيارتهما اذا مرضا ، ومواراتهما اذا ماتا .

وقد ورد فى قوله سبحانه" فى الدنيا" أقوال هى :-

١ - ورد ذلك للاشارة الى تهوين مدة الصحبة ، وأنها ليست سوى أيام قلائل سرعان ما تنقضى ، فلا يضر تحمل مشقتها ، مهما كانت .

٢ - وقيل : ان ذلك اشارة الى أن الرفق بهما ، انما يكون فى الأمور الدنيوية دون الدينية .

٣ - وقيل : ان ذلك لمقابلته بقوله سبحانه : " ثم الىّ مرجعكم " .(٢)

وأرى : أن هذه الأقوال ، لا تتسم بالدقة ، فاذا فرضنا المصاحبة فى الدنيا لقصر المدة ، قلنا : وهل توجد مصاحبة فى غير الدنيا ؟ .

ان فى الآخرة . يشغل كل انسان بحاله " يوم يفرّ المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " .(٣) وهذا فى وقت العرض

---

(١) انظر / المرجع السابق / جـ ١٤ / ص ٦٤ / بتصرف .

(٢) روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ٨٧ . بتصرف .

(٣) سورة : عبس / آية : ٣٤ : ٣٧ .

والحساب ، وتاتى الصحبة العامة بين المتقين جميعا ، قال تعالى : " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين " .(١)

اما القول : بأن الصحبة قاصرة على أمور الدنيا ، دون امور الدين ، فتفريق بين الدين والحياة ، وعزل للاسلام عن الحياة ، وهذا لا يقبله من يعرف دينه . وايضا ، اذا كانت المصاحبة مقيدة بالمعروف ، فهى فى الأمور التعبدية ، أشد طلبا من الأمور الدنيوية . ومقابلة قوله "فى الدنيا" ، بقوله : " ثم الى مرجعكم" : انما هى مقابلة الجزاء على العمل فى الدنيا .

وارى : أن تقييد الصحبة بالدنيا ، لأنه الواقع ، وايضا ، الدنيا هى موضع الابتلاء ، فلكى لا يشذ الانسان ، ذكر بوجوب الصحبة ، ولم تفرض عليه فرضا عاريا من الفائدة ، بل هى مقيدة بالمعروف عقلا وشرعا وعرفا .

وقوله سبحانه : " واتبع سبيل من اناب الى" :-

أى : عليك بعد ذلك أن تلتزم فى دينك وفى حياتك كلها ، طريق المؤمنين ، المقتفين آثار الأنبياء والمرسلين . وهو طريق الاخلاص والطاعة ، والاستقامة على توحيد الله تعالى ، واتباع مرضاته وأوامره ، واجتناب نواهيه وكل مايغضبه .

وقد اختلف فى المأمور فى الآية والذى اناب فيها ، كمايلى :-

١ - " حكى النقاش : أن المامور سعد ، والذى اناب ، أبوبكر . وقال : ان أبابكر لما اسلم ، أتاه سعد وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان ، وطلحة وسعيد ، والزبير ، فقالوا : آمنت ؟ ! قال : نعم . فنزلت فيه : " أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ".(٢) فلما سمعها الستة، آمنوا .

---

(١) سورة الزخرف / آية : ٦٧ .

(٢) سورة : الزمر / آية : ٩ .

فأنزل الله تعالى : " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشري فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله" . (١)

وقد ذكر الواحدى فى اسباب النزول : ان قوله تعالى : " واتبع سبيل من أناب الىّ" : نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، قال عطاء : عن ابن عباس يريد أبابكر ، وذلك أنه حين اسلم ، أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير ، فقالوا لأبى بكر رضى الله عنه آمنت وصدقت محمدا عليه الصلاة والسلام ؟ . فقال أبوبكر نعم . فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا وصدقوا ، فانزل الله تعالى ، يقول لسعد : " واتبع سبيل من أناب الى" . يعنى أبابكر رضى الله عنه" . (٢)

٢ - وقيل : الذى أناب : النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ - وقيل : قال ابن عباس : لما أسلم سعد ، أسلم معه أخواه عامر وعويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبة" . (٣)

قلت : وسواء كان الذى أناب هو النبى صلى الله عليه وسلم ، او أبوبكر ، أو سعد ، فان المعنى المستفاد من ذلك هو : اتباع طريق الانبياء والصالحين ، لان العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، والامة مخاطبة فى شخص نبيها ، وعلى هذا فيحمل الأمر ، فى الآية ، لجميع العالم ، دون تخصيص أحد ، دون أحد ، ويجب تنفيذ ذلك والعمل بمقتضاه من جميع المكلفين .

---

(١) انظر : الجامع لاحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٦٦ .
والآيتان : من سورة الزمر / آية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) انظر : اسباب النزول / للواحدى / ص ٢٣٣ / طبعة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م / الناشر : الحلبي وشركاه .

(٣) انظر : الجامع لاحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٦٦ .

وقوله سبحانه : " ثم الىّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون " .

أى : بعد هذه الحياة الدنيا ، مرجعك ومرجعهما الىّ ، فأجازى المؤمن على ايمانه ، والكافر على كفره ، وذلك بعد البعث والنشور ، حيث يجد كل واحد صحيفة تشتمل على كل ما عمله المرء فى دنياه ، وقدمه لأخراه ، فان عمل خيرا وجده كذلك ، وان عمل شرا وجده كذلك . قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " (١) .

وقد ذكر الرازى فى قوله سبحانه " فأنبئكم " لطيفة وهى :-

أن الله تعالى يقول : لا تظنوا انى غائب عنكم ، وآباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرون فى الحال ، اعتمادا على غيبتى وعدم علمى بمخالفتكم اياى ، فانى حاضر معكم أعلم ما تفعلون ولا أنسى ، فأنبئكم بجميعه " (٢) .

---

(١) سورة الزلزلة : آية : ٧ ، ٨ .

(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازى / جـ ٢٥ / ص ٣٦ .

الفصـــل الرابـــع

في تفسير قوله تعالى : " يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات او في الأرض يأت بها الله انّ اللــه لطيف خبيـــر " .

وذلك ببيان ما يلي :-

١ - بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ، أخذا من الآية الكريمة حيث اشتملت على صفتين :

أ - صفة القدرة .

ب - صفة شمول علمه سبحانه .

٢ - تفسير الآية الكريمـــة .

وهذا هو تفصيل ذلك .

ينقص هذا الفصل بيان أثر هذه الوصية في الموضوع ، وهي منهج الدعوة إلى الله تعالى .

قال تعالى : " يا بنيّ انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير " . (١)

١ - ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى ، أخذا من الآية الكريمة :-

هذه الآية الكريمة تشتمل على صفتين من صفات الله تعالى جل شأنه هما :

أ - صفة القدرة .

ب - صفة العلم .

ا - صفة القدرة :-

قوله سبحانه : " يأت بها الله " : دال على قدرته ، فلا يعجزه شيء ، وهو قادر على كل ممكن ، صالح للوجود والعدم ، اذ هو مجال عمل القدرة وتعلقها ولا ينازع أحد من العقلاء في قدرة الله ، وانما النزاع الذى وقع بين بعض المتكلمين في تعلق القدرة .

- فعند الجمهور : أنها تتعلق بكل ممكن .

- وعند الفلاسفة : لا تتعلق الا بممكن واحد ، بناء على زعمهم الفاسد : " من أن الواحد لا يصدر عنه الا أثر واحد " .

- وقالت الصابئية : الكواكب هي التي تفعل . وهكذا ضلوا . فلا فاعل غير الله . ويرد عليهم :

بتوأم : أحدهما سعيد والآخر شقي ، فهل يمكن للكواكب أن تفعل مثل هذا ؟! أو أنه من غير ريب تدبير العزيز الحكيم .

---

(١) سورة لقمان - آية : ١٦ .

الشنوية ، هم اصحاب الاثنين الازليين ، يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان
بالاهتمام ١/٤٤٤ هـ مصطفى طاهر

- وقالت الثانوية (الشنوية) : لا يقدر على الشر .

- وقال النظام من المعتزلة : لا يقدر على القبيح .

ووجهة نظرهم : أن القدرة على فعل القبيح أو الشر ، تنافي الرحمة أو تنافي جلال الألوهية . ويرد عليهم بما يلي :-

أنه لو سلم أنه لا يفعل القبيح أو الشر ، فلوجود صارف عن ذلك اقتضته الحكمة الالهية ، وهذا لا ينافي القدرة عليه .

وقال ابوالقاسم البلخي :- لا يقدر على مثل فعل العبد ، لأن فعله اما طاعة أو معصية أو عبث . وأفعال الله منزهة عن كل هذا .

وجوابه :-

أن هذا التقدير بالنسبة لنا ودواعينا ومقاصدنا . فلا يقاس على ذلك فعل البارى سبحانه .

- وقالت الجبائية : لا يقدر على عين فعل العبد .

ويرد عليهم :

بأن هذا مبنى على تأثير القدرة الحادثة ، وفيه نظر . (١)

---

(١) خلاصة ما جاء في المواقف / للايجى / ج ٢ / من ص ٣٤٧ : ص ٣٥٢ .
و " " المقاصد / للتفتازاني / ج ٢ / " ص ٧٢ : ص ٨٧ .

ب : صفــة العلــم وشمولـــه :-

وذلك من قوله : " ان الله لطيف خبير " :-

هذا التعبير بصيغة المبالغة ، يقتضينا أن نتعرض لبحثين في العلم ، ذكرهما علماء الكلام هما :-

الاول : في الدليل على ثبوت علمه سبحانه وتعالى ، وخلاصته :-

١ - أنه يستدل عليه بالفعل المتقن المشاهد في الأرض والسموات ، ذلك الفعل المتقن ، لا يصدر الا عن عالم مدبر ، اذ الاتقان ، يستحيل صدوره عن غير قصد أو عن جهل ، قال تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيـــف الخبيـــر" (١) .

وقال تعالى : " يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير" (٢) .

٢ - أنه قادر ، وكل قادر عالم ، ذلك أنه لا يرتاب أحد في قدرته ، والجهـل نقص ، والقادر لا يقبل على نفسه النقص .

الثاني : عن شمول علمه ، اذ لا يعزب عنه شيء ، يعلم المستحيل والواجب والممكن .

وخالف في ذلك بعض الفرق الضالة ، كالدهرية ، وقدماء الفلاسفة ، ومن يرى أنه لا يعلم المتغير أو المحسوس ، أو غير المتناهي ، " كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا" (٣) .

---

(١) سورة الملك - آية : ٤ .

(٢) " الحديد آية : ١٤ .

(٣) " الكهف آية : ٥ .

والى هذه الفرق الضالة يقول الحق تبارك وتعالى : " وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين . فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين . وقيّضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين " . (١)

وشبهة هؤلاء : أن المتغير أو المحسوس يقتضى تغير العلم ، ونسوا أن التغير فى التعلق ، أما العلم فهو واحد لا يتغير . وادراك المحسوس انما يحتاج الى آلة جسمية ، اذا كان العلم هو حصول الصورة ، وعلم الله سبحانه فعلى سابق أزلى وانفعالى بعد الواقع ، ليس فيه جديد وانما به تقوم الحجة على خلقه . وهذا معنى قوله : " ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم" . (٢)
والله جل شأنه عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون . (٣)

---

(١) سورة فصّلت - من آية ٢٢ : ٢٥ .
(٢) سورة محمد : آية - ٣١ - .
(٣) خلاصة ما جاء فى المواقف / للايجى / ج ٢ / من ص ٣٥٢ : ٣٥٧ .
و " " المقاصد / للتفتازانى / ج ٢ / من ص ٨٧ : ٩٤ .

٢ : تفسير الآية الكريمة :

قال تعالى : " يا بنى " انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير " .

الياء : حرف نداء ، و : بنى : منادى .

انها : ان : حرف ناسخ ، والهاء اسمها .

واختلف فى الهاء . هنا ، فقيل :

١) انها كناية عن المعصية والخطيئة . والمعنى على هذا : يابنى ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل . أو : ان الخطيئة .

٢) وقيل : هى : عماد . (١)

٣) وقيل : وهو كما ترى : انها : أى التى سألت عنها . فقد روى أن لقمان سأله ابنه : أرأيت الحبة تقع فى مغاص البحر ، أيعلمها الله تعالى ؟ . فقال : يابنى : انها ، أى التى سألت عنها" . (٢)

ان : شرطية . وفعل الشرط : تك ، وجوابه : يأت .

مثقال : قرئ بالرفع وبالنصب .

فأما من قرأ بالرفع ، فجعل الضمير للقصة ، و " تك " مضارع " كان " التامة ، والتأنيث لاضافة الفاعل الى المؤنث ، كما فى قول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته .·. كما شرقت صدر القناة من الدم (٣)

---

(١) تفسير الطبرى / جـ ٢١ / ص ٧١ / بتصرف .

(٢) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ص ٨٨ .

(٣) انظر / المرجع السابق / جـ ٢١ / ص ٨٨ .

وقيل : قراءة الرفع : على أن الخبر مضمر، كأنه قيل : ان تك ،فى موضع مثقال حبة ،لأن النكرات تضمر أخبارها ، ثم تترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وقراءة النصب : على أن فى " تكن" اسما مضمرا مجهولا .(١)

قوله : " فتكن" : جاء بالفاء لافادة الاجتماع ،لأن الفاء للاتصال بالتعقيب ".(٢)

المعنى :- قوله : " يابنى" : هذا رجوع الى القصة ،لذكر بقية ماأريد حكايته من وصايا لقمان لابنه ،التى كان فى مطلعها النهى عن الشرك .

وقوله : " انها ان تك مثقال حبة" : أى : ان المظلمة أو الخطيئة ،لو كانت مثلا فى الصغر ،كحبة الخردل . والمثقال ما يقدر به غيره لتساوى ثقلهما وهو فى العرف معلوم" .(٣)

وقوله تعالى : " فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله" :-

المعنى : -قرن قوله " تكن" بالفاء لافادة الاجتماع المفيد للاتصال والتعقيب

والمعنى : ان كانت صغيرة ،وهى مع صغرها خفية فى موضع حريز ،كجوف الصخرة مثلا ،أو فى العالم العلوى أو السفلى ،فانها لا تخفى على الله أبدا، ولابد أن يأتى بها الله يوم القيامة ،فيحاسب عليها .

وقيل : المعنى :- " فى أخفى مكان وأحرزه ،كجوف الصخرة أو أعلاه ،كمحدب السموات ،أو أسفله كقعر الأرض . ولا يخفى أنه لا دلالة فى النظم على

---

(١) انظر / المرجع السابق / جـ ٢١/ ص ٨٨ .

(٢) بتصرف يسير / تفسير الطبرى جـ / ٢١ / ص ٧٢ .

(٣) بتصرف / تفسير الرازى / جـ ٢٥/ ص ١٤٨ .

تخصيص المحدب والمقعر ، ولعل المقام يقتضيه ، ان المقصود المبالغة .

وفى قوله تعالى : " فى السموات " : لا يأبى ذلك ، لأنها ذكرت بحسب المكانية .
أو : للمشاكلة ، أو : هى بمعنى : على ، وعبر بها للدلالة على التمكن ومع هذا
الظاهر ما تقدم .

وفى البحر : أنه بدأ بما يتعقله السامع أولا ، وهو كينونة الشىء فى صخرة ،
وهو ما صلب من الحجر وعسر الاخراج منه ، ثم أتبعه بالعالم العلوى ، وهو أغرب
للسامع ، ثم أتبعه بمايكون مقر الأشياء ، للشاهد . وهو الأرض " . (١)

وهنا قد يقول قائل : " ان الصخرة لابد أن تكون فى السموات أو فى الأرض .
فما الفائدة فى ذكرها ؟ .

ويجاب عن ذلك بمايلى :-

أولا : قول بعض المفسرين ، أن المراد بالصخرة ، صخرة عليها الثور ، وهو
ليست فى السماء ولا فى الأرض .

ثانيا : قال الزمخشرى : ان فيه اضمارا ، تقديره : فتكن فى صخرة أو فى موضع
آخر فى السموات أو فى الأرض .

ثالثا : أن نقول : ان تقديم الخاص ، وتأخير العام ، فى مثل هذا التقسيم جائز .
أما تقديم العام وتأخير الخاص فغير جائز . أما الثانى : فلما بينتم أن من
قال : هذا فى دار زيد أو فى غيرها أو فى دار عمرو ، لا يصح . لأن دار
عمرو ، داخلة فى قوله : " أو فى غيرها " .

---

(١) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ٨٨ .
وانظر / حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى - جـ ٧ / ١٢٧

وأما الأول : فلأن قول القائل : هذا فى دار زيد أو فى دار عمرو أو فى غيرهـا . صحيح غير قبيح . فكذلك ههنا قدم الأخص .

أو تقول : خفاء الشىء يكون بطرق منها :-

أن يكون فى غاية الصغر .

ومنها : أن يكون بعيدا .

ومنها : أن يكون فى ظلمة .

ومنها : أن يكون من وراء حجاب .

فان انتفت الأمور بأسرها ، بأن يكون كبيرا ، قريبا ، فى ضوء . من غير حجاب . فلا يخفى فى العادة . فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط . فقوله : " ان تك حبة " : اشارة الى الصغر . وقوله : " فتكن فى صخرة " : اشارة الى الحجاب . وقوله : " فى السموات" : اشارة الى البعد ، فانها أبعد الأبعاد وقوله : " فى الأرض " : اشارة الى الظلمات . فان جوف الأرض ، أظلم الأماكن . وقوله : " يأت بها الله" : أبلغ من قول القائل " يعلمها الله" . لأن من يظهر له الشىء ولا يقدر على اظهاره لغيره ، يكون حاله فى العلم ، دون حال من يظهر له الشىء ويظهره لغيره ، فقوله : " يأت بها الله" : أى : يظهرها الله للأشهاد " .(١)

وهذا الاظهار : " اما على ظاهره ، واما ان الله يجعله كالحاضر المشاهد ، لذكره والاعتراف به" .(٢)

ما المراد بالصخرة الواردة فى الآية الكريمة ؟ .

أهم الأقوال فى ذلك ما يلى :-

---

(١) تفسير الرازى / جـ ٢٥ / ص ١٤٨ / بتصرف يسير .

(٢) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ص ٨٩ .

(١) انظر / المحتسب ٢ / ١٦٨
وفي كل شيء من القراءات الشواذ

١ - عن ابن عباس والسدى : أن هذه الصخرة هى التى عليها الأرض .

٢ - وقيل : هى صخرة فى الريح .

٣ - وقال ابن عطية : وكل ذلك ضعيف لا يثبت سنده ، وانما معنى الكلام المبالغة والانتها فى التفهيم ، أى : أن قدرته عز وجل ، تنال مايكون فى تضاعيف صخرة ، وما يكون فى السماء ومايكون فى الأرض . (١)

أما قوله : " فتكن " : فقد ورد فيها عدة قراءات (١) هى كما ذكر الألوسى :-

- قرأ عبد الرحيم الجزرى : " فتكِنّ " : بكسر الكاف وشد النون وفتحها .

- وقرأ محمد بن أبي فجة البعلبكى : " فتُكَنّ " : بضم التاء وفتح الكاف والنون مشددة .

- وقرأ قتادة : " فتكن " : بفتح التاء وكسر الكاف وسكون النون ، ورويت هذه القراءة عن الجزرى أيضا .

والفعل فى جميع ذلك من : وكن الطائر ، اذا استقر فى وكنته أى : عشه .

ففى الكلام استعارة أو مجاز مرسل ، ~~كما فى الكشف~~ مُرسل

والضمير للمحدث عنه فيما سبق . وجوز أن يكون للابن والمعنى : ان تخف أو تخف وقت الحساب يحضرك الله تعالى ، ولا يخفى أنه غير ملائم للجواب ، أعنى قوله : " يأت بها الله" . (٢)

وعندى : أن الآية فى غاية الوضوح ، فهى تشير الى أن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا يعجزه شيء ، مهما دق الشيء أو استعصى ، فان الله عالم به ، قادر عليه .

---

(١) المرجع السابق / جـ ٢١ / ٨٩ / بتصرف .

(٢) انظر / المرجع السابق / جـ ٢١ / ٨٩ .

وقوله : " ان الله لطيف خبير " ؛ أى : أن الله سبحانه وتعالى ، تنفذ قدرته ويصل علمه الى كل خفى ، ويعلم كنهه ، مهما تناهى فى الصغر والقماءة كما يعلم كنهه وسره مهما كان مكتوما متواريا .

" وعن قتادة : لطيف باستخراجها ، خبير بمستقرها .

وقيل : ذو لطف بعباده ، فيلطف بالاتيان بها بأحد الخصمين ، خبير عالم بخفايا الأشيـــاء" .(١)

---

(١) انظر / المرجع السابق / جـ ٢١ / ص ٨٩ .

الفصـــل الخامـــس

" فى ما يتعلق برأس العبادات البدنيــة "

وذلك أخذا من قوله تعالى : " يا بنى أقم الصـــلاة " .

ويتم البحث فى هذا الفصل فى ضوء النقاط التاليــة .

١) الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله تعالى ، ولأهميتها أمر لقمان بها ابنه .

٢) منزلة الصلاة فى الاسلام .

٣) فرضية الصلوات الخمس .

٤) معنى الصلاة فى اللغة وفى الشرع .

٥) معنى اقامة الصلاة .

٦) الصلاة قوة خلقية تعود صاحبها الطاعة .

٧) الصلاة طهرة للنفس من الآثام ، وحافز لصاحبها الى أعلـى الدرجـات .

٨) الصلاة نظافة وتجمل .

٩) فى الصلاة رياضية بدنية .

وهذا هو التفصيل :-

١ - الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله تعالى ، ولأهميتها أمر لقمان بها ابنه :

ان الشرائع السماوية ،لم تخل من فريضة الصلاة ، منذ أول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام ،يدعو الله تعالى فى سورة ابراهيم بأن يجعله مقيما للصلاة ، ومن ذريته كذلك وذلك فى قوله تعالى : " رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء " (١) .

وكذلك فى قوله سبحانه : " ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" (٢) .

ويخبرنا تعالى عن سيدنا شعيب عليه السلام وعن قول قومه له ، وذلك فى قوله تعالى : " قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد " (٣) .

أما سيدنا اسماعيل عليه السلام فان الله تبارك وتعالى ، يخبرنا عنه ، بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وقد فاز برضاء ربه سبحانه ، وذلك فى قوله تعالى : " واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيّا " (٤) .

---

(١) سورة ابراهيم - آية - ٤٠ - .
(٢) " " " - ٣٧ - .
(٣) " هود " - ٨٧ - .
(٤) " مريم " - ٥٤ ، ٥٥ .

واذا انتقلنا الى سيدنا موسى عليه السلام ، فاننا نجد المولى تبارك وتعالى يأمره باقامة الصلاة لذكره سبحانه ، وذلك فى قوله جل ذكره : " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " . (١)

وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يتوجه الى المولى تبارك وتعالى ويدعوه بأن يرزقه ذرية طيبة ، فيستجيب الله دعاءه ، ويأتيه النداء وهو قائم يصلى فى المحراب حاملا معه البشرى بذلك ، يخبرنا عن ذلك المولى تبارك وتعالى بقوله جل ذكره : " هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين " . (٢)

أما سيدنا لقمان الحكيم فانه يوصى ابنه بمواعظ كثيرة ومن ضمن ذلك أمره اياه باقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على ما أصابه . يخبرنا عن ذلك ربنا سبحانه وتعالى وذلك فى قوله جل ذكره : " يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الأمور " . (٣)

وهذا سيدنا عيسى عليه السلام يخبر أن الله تبارك وتعالى أوصاه بالصلاة والزكاة ، ما دام حيا . وذلك فى قوله سبحانه : " وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا " . (٤)

أما سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فان الله تبارك وتعالى

---

(١) سورة طه - آية : ١٣ ، ١٤ .
(٢) سورة آل عمران - آية : ٣٨ ، ٣٩ .
(٣) سورة لقمان - آية : ١٧ .
(٤) سورة مريم - آية : ٣١ .

يأمره بها ، فى محكم تنزيله ، وذلك فى قوله جل ذكره : " أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون" . (١)

وفى آية أخرى ، يأمره سبحانه ، بأن يأمر أهله بها والاصطبار عليها ، وذلك فى قوله تعالى : " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى" . (٢)

وفى آية ثالثة ، يأمره سبحانه باقامتها طرفى النهار وزلفا من الليل ، لما فى ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، وذلك فى قوله سبحانه : " وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين" . (٣)

~~أما كيفية الصلاة التى أوصى بها لقمان ابنه فى قوله سبحانه : " يا بنى أقم الصلاة " . فأغلب ظنى أنها كصلاتنا ، والله أعلم .~~

٢ : " منزلة الصلاة فى الاسلام " :

عنى الاسلام بالصلاة عناية فائقة ، وشدد فى اقامتها كل التشدد ، كما حذر من تركها ، أو حتى مجرد التهاون بها ، وذلك لأهميتها العظمى ، حيث أنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ، " عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس : شهادة ألا لا اله الا الله

---

(١) سورة العنكبوت - آية : ٤٥ .

(٢) " طه " : ١٣٢ .

(٣) " هود " : ١١٤ .

وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، والحج ،وصوم رمضان" . (١)

ولذلك فهي عمود الدين ، اذا أقامها المرء كماينبغي ،بجميع أركانها وواجباتها وشروطها ومستلزماتها ،فقد أقام الدين ، واذا أهملها وضيعها فقد هدم الدين وضيعه .

وهي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة من الأعمال ،فان قبلت كان ذلك ايذانا بتيسير حسابه ، فيما بقي بعدها ، وان ردت -والعياذ بالله من ذلك -كان ما بعدها من الحساب ،أشد وأعسر ،ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

"عن حريث بن قبيصة قال : قدمت المدينة ،فقلت : اللهم يسر لي جليسا صالحا ، قال : فجلست الى ابي هريرة ،فقلت : اني سألت الله أن يرزقني جليسا صالحا ، فحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لعل الله أن ينفعني به .

فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله ،صلاته ،فان صلحت فقد أفلح ونجح ،وان فسدت فقد خاب وخسر .

فان انتقص من فريضته شيئا ،قال الرب تبارك وتعالى : انظروا : هل لعبدي من تطوع ،فيكمل بها ما انتقص من الفريضة . ثم يكون سائر عمله على ذلك" .

---

(١) انظر / صحيح البخاري / ج ١ / ص ٩ / باب : دعاؤكم ايمانكم /كتاب الايمان / دار مطابع الشعب .

وانظر الجامع الصحيح / للامام مسلم / ج ١ / ص ٣٤ / باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس / كتاب : الايمان / منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع .

وفى الباب : عن تميم الدارى .

قال أبوعيسى : حديث أبى هريرة ، حديث حسن غريب ، من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبى هريرة " . (١)

وقد جعلها المولى تبارك وتعالى ، صفة أساسية من صفات المتقين تتلو مرتبة الايمان بالغيب وذلك فى قوله تعالى : " الٓم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" . (٢)

أما فى سورة " المؤمنون" فان المولى تبارك وتعالى ، يجعلها فى مطلع أوصاف المؤمنين المفلحين ، ويجعلها أيضا خاتمة لتلك الأوصاف الحميدة قال تعالى " قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون" . (٣)

وفى المحافظة عليها ودوام القيام بها ، ورد كثير من الآيات القرآنية ، تأمر بالمحافظة على الصلاة وتؤكد ذلك وتشدد فيه فى جميع الأحوال والأوقات ، فى الحضر والسفر ، وفى الأمن والخوف وكذلك فى الحرب والسلم . ولم يرخص فى تركها أبدا .

---

(١) انظر / سنن الترمذى / جـ ١ / ص ٢٥٨ / باب : ما جاء : أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة / رقم الحديث // ٤١١ // .

(٢) سورة البقرة من آية ١ : ٣ .

(٣) " المؤمنون من آية ١ : ١١ .

قال تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فان خفتم فرجالا اوركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون" . (١)

ولئلا يتساهل المرء فى اقامة الصلاة فى وقتها ، ورد الانذار بالويل والهلاك لمن يسهو عنها حتى يضيع وقتها ، فلا يؤديها فيه ، وذلك فى قوله سبحانـــــه : (٢)
" فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون"

أما من ضيعها ، فهو لما سواها أضيع ، وقد وصف الله تعالى من ضيعهـا بأنهم خلف سوء ، استحقوا العذاب والغى ، وكفى بذلك ذما وعقابا . قال تعالـى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا . جنات عدن التى وعـد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا" . (٣)

ولعظم أهمية الصلاة ، نجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يجعلها الدليل الأول . على التزام الايمان ، ويجعلها الشعار الفاصل بين المسلم والكافر . يشير الى ذلك ما رواه أبوسعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد ، فاشهدوا له بالايمان . فان الله يقول : " انما يعمـر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة " الآية . هـــذا حديث حسن غريب" . (٤)

---

(١) سورة البقرة - آية : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٢) " الماعون من آية ٤ : آية ٦ .
(٣) " مريم " " ٥٩ : آية ٦١ .
(٤) انظر : سنن الترمذى / جـ ٤ / ص ١٢٥ / باب ما جاء فى حرمة الصلاة رقم الحديث // ٢٧٥٠ // .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بين الكفر والايمان . ترك الصلاة" . (١)

وعن الأعمش بهذا الاسناد نحوه قال : " بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة " . (٢)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر " . هذا حديث حسن صحيح غريب . (٣)

ولأجل هذه المكانة العظيمة للصلاة ، كانت عناية الاسلام بها فائقة ، والاهتمام بها كثيرا ، كما كان الوعيد شديدا ومريعا لمن أهملها أو تساهل فيها أو ضيعها .

وهى أول عبادة فرضت على المسلمين ، حيث فرضت قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، وكانت طريقة فرضيتها دليلا على عناية الله بها ، حيث فرضت العبادات كلها فى الأرض ، بينما فرضت الصلاة وحدها فى السماء ، ليلة الاسراء والمعراج ، بخطاب مباشر من رب العالمين الى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

---

(١) انظر / المرجع السابق / جـ ٤ / ١٢٥ / باب : ما جاء فى ترك الصلاة / رقم الحديث // ٢٧٥١ // .

(٢) انظر / المرجع السابق / جـ ٤ / ص ١٢٥ / باب ما جاء فى ترك الصلاة / رقم الحديث // ٢٧٥٢ // .

(٣) انظر : المرجع السابق / جـ ٤ / ص ١٢٦ / باب ما جاء فى ترك الصلاة / رقم الحديث // ٢٧٥٦ // .

٣ - فرضيـــة الصلوات الخمـــس :

عندما بعث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، بدأ بدعوة الناس الـى توحيد الله وافراده بالعبادة ، ونبذ ما سواه . واستمر فى هذا العمل الشـاق سنوات عديدة ، وكان ممن بلغته الدعوة من ناصب المصطفى صلى الله عليه وسلم العداء ، لدعوته ولمن آمن بها وانضوى تحت لوائها .

ومنهم من آمن به وصدق بما جاء به ، لكن هؤلاء كانوا قلة فى أول عهـد الدعوة ، ومعظمهم من الفقراء والمستضعفين .
وقد لاقى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كثيرا من المتاعب فى سبيل الدعـوة . وكذلك أتباعه ، لكن ذلك لم يثن عزمهم ، ولم يفت فى عضدهم بل كان يزيدهم عزما وثباتا وقوة وصمودا ، لثقتهم بأن ما ينتظرهم فى الدار الآخرة ، أعز وأعظم ممـا ينتظرهم فى الحياة الدنيا ، وان كان المستقبل للاسلام لا محالة .

وفى خضم هذه المتاعب وقعت معجزة الاسراء والمعراج ، وفى ليلتها فرضت الصلوات الخمس ، كما فى حديث أنس بن مالك قال : " كان أبوذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا ، فلما جيئت الـى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا قال : هـذا جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد صلى الله عليه وسلـم فقال : أرسل اليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، فاذا رجل قاعـد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، اذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبـل يساره بكى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟

قال : هذا آدم . وهذه الأسودة عن يمينه وشماله ، نسم بنيه . فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فاذا نظر عن يمينه ضحك ، واذا نظر قبل شماله بكى ، حتى عرج بي الى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح : فقال له خازنها . مثل ما قال الأول ، ففتح . قال أنس : فذكر أنه وجد في السماوات: آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر ، أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وابراهيم في السماء السادسة.

قال أنس : فلما مرّ جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال : " مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت من هذا ؟ قال : هذا ادريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بابراهيم ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت من هذا ؟ قال : هذا ابراهيم صلى الله عليه وسلم " . .

قال ابن شهاب . فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام " . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع الى ربك ، فان أمتك لا تطيق ذلك . فراجعني فوضع شطرها . فرجعت الى موسى ، قلت : وضع شطرها . فقال : راجع ربك ، فان أمتك لا تطيق . فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت اليه ، فقال : ارجع الى ربك . فان أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته ، فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لدىّ . فرجعت الى موسى فقال : راجع ربك فقلت استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى بي الى سدرة المنتهى ، وغشيها

ألوان لا أدرى ما هى ، ثم أدخلت الجنة ، فاذا فيها حبائل اللؤلؤ ، واذا ترابها المسك " . (١)

٤ : معنى الصلاة فى اللغة وفى الشرع :

أ - الصلاة فى اللغة : هى الدعاء . قال تعالى : " وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم " أى : ادع لهم .

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا دعى أحدكم فليجب ، فان كان صائما فليصل ، وان كان مفطرا فليطعم " .

والمعنى : ان كان المدعو مفطرا فليأكل ، وان كان صائما ، فليدعو لصاحب الوليمة بالمغفرة والبركة ونحو ذلك . (٢)

وقال الشاعر :

تقول بنيتى وقد قرّبت مرتحلا ∴ يا رب جنب أبى الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى ∴ نوما فان لجنب المرء مضطجعا

والمعنى : أدعو لك بمثل ما دعوت لى به . (٣)

وذكر القرطبى فى تفسيره أن أسماء لما ولدت ابنها عبد الله بن الزبير ، أرسلته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسحه وصلى عليه ، أى : دعا له . (٤)

---

(١) انظر: صحيح البخارى / جـ ١ / ص ٩٧ ، ٩٨ / باب كيف فرضت الصلوات فى الاسراء / كتاب الصلاة / دار مطابع الشعب .

(٢) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووى / جـ ٩ - ٢٣٦ / كتاب النكاح - باب الامر باجابة الداعى الى دعوة / الطبعة الثانية .

(٣) مقدمة المغنى / لابن قدامة / جـ ١ / ص ٢٦٧ / كتاب الصلاة / طبعة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / القاهرة .

(٤) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١ / ص ١٦٨ بتصرف .

ب :- الصـــلاة فـــى الشـــرع :

هى أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم .(١)

وفى حديث أبى هريرة "عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقـرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ، ثلاثا ، غير تمام ، فقيل لأبى هريرة انا نكون وراء الامام فقال : اقرأ بها فى نفسك ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فـاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثنى علىّ عبدى . واذا قال : مالك يوم الديـن ، قال : مجدنى عبدى وقال مرة : فوّض الىّ عبدى ، فاذا قال : اياك نعبد وايـاك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل . فاذا قال : اهدنـا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل" .(٢)

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلـم فرد النبى صلى الله عليه وسلم ، عليه السلام . فقال : ارجع فصل فانك لم تصـــل ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ارجع فصل فانك لم تصل "ثلاثا" . فقال : والذى بعثك بالحق فما أحسن غيره ، فعلمنى . فقال :

---

(١) انظر كشاف القناع / للبهوتى / جـ ١ / ص ٢٥٥ .

(٢) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووى / جـ ٤ / ص ١٠١ ، ١٠٢ / كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة .

اذا قمت الى الصلاة فكبر ،ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ،ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ،ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ،ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ،ثم افعل ذلك فى صلاتك كلهـا" . (١)

أدلة وجوب الصلاة :

الصلاة واجبة على المسلم المكلف بنص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، واجماع المسلمين .

والأدلة على ذلك كثيرة ،وسأكتفى بدليل واحد من كل من القرآن الكريم والسنة الشريفة ،لتجنب التطويل . وهى :-

١ - من أدلة القرآن الكريم على ذلك ما يلى :-

قوله تعالى : "وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة" . (٢)

٢ - من أدلة السنة الشريفة :-

"ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما ،قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس ،شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ،والحج ،وصوم رمضان " . (٣)

---

(١) صحيح البخارى / جـ١ / ص٢٠١ / باب : استواء الظهر فى الركوع - كتاب الصلاة / دار مطابع الشعب .

(٢) سورة البينة - آية : ٥ .

(٣) انظر : صحيح البخارى / جـ١ /ص٩ / باب : دعاؤكم ايمانكم / كتاب الايمان / دار مطابع الشعب . وانظر الجامع الصحيح / للامام مسلم /

وأما الاجمـــاع :

فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات فى اليوم والليلة على كل مسلم مكلف ومسلمة مكلفة .(١)

٤ : معنى اقامـــة الصـــلاة :

"عن ابن عباس : اقامة الصلاة ، اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها .

وقال قتادة : اقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

وقال مقاتل : اقامتها : المحافظة على مواقيتها واسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . فهذا اقامتها".(٢)

وقال القرطبى : اقامة الصلاة : أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها فى أوقاتها . يقال : قام الشئ : أى : دام وثبت ، وليس من القيام على الرجل ، وانما هو من قولك : قام الحق أى : ظهر وثبت .

قال الشاعر : قامت الحرب بنا على ساق

وقيل : اقامة الصلاة ، ادامتها . والى هذا المعنى أشار عمر بقوله : "من حفظها وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع" .(٣)

= جـ ١ / ص ٣٤ / باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس/ كتاب الايمان .

(١) مقدمة المغنى / لابن قدامة / جـ ١ / ص ٢٦٧ / بتصرف .

(٢) انظر / تفسير ابن كثير / جـ ١ / ص ٤٢ / طبعة الحلبى وشركاه .

(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ١ / ص ١٦٤ / بتصرف يسير .

أما فى روح المعانى / فان الألوسى ، يورد لها أربعة معان هى :-

١ - معنى يقيمون الصلاة : أى : يعدلون أركانها ، بايقاعها مستجمعة للفرائض والواجبات مع مالها من الآداب والسنن ، وذلك من : اقام العود اذا قوّمه .

٢ - معنى ذلك : المواظبة والمداومة عليها . وذلك من : قامت السوق اذا نفقت . وأقمتها اذا جعلتها نافقة .

٣ - المعنى : يتشمرون لأدائها بلا توان عنها ولا فتور . وذلك من قولهم : قام بالأمر وأقامه ، اذا جد فيه .

٤ - المعنى : يؤدونها ويفعلونها . وعبر عن ذلك بالاقامة لأن القيام بعض أركانها" . (١)

وأرى أن هذه المعانى ، كلها مرادة واللفظ يحتملها ، ولا تعارض حتى نلجأ الى الترجيح .

٥ : الصلاة قوة خلقية تعود صاحبها الطاعة :

ان فى اقامة الصلاة اقامة حقيقية ، دافعا خارجيا وحافزا نفسيا لمقيمها ، على فعل الخير ، واجتناب الشر ، والابتعاد عن الفحشاء والمنكر ، ومقاومة الجزع عند نزول الكوارث ، والرضى بما قدره الله ، وتقبله ، بقلب مطمئن ، ونفس راضية .

فهى تغرس فى القلب ، مراقبة الله تعالى ، ورعاية حدوده ، فى كل شأن من شئون الحياة ، كما تغرس فيه الحرص على المواقيت والدقة فى المواعيد ، والتغلب على نوازع الكسل والهوى ، وجوانب الضعف الانسانى .

---

(١) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ١ / ص ١١٥ .

وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى : " ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسّه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون " . (١)

وفى قوله تعالى : " وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" . (٢)

أما الذين يصلون ولا يرى عليهم ظهور تلك الآثار الحميدة ، بل هم منحرفون فى سلوكهم وأخلاقهم ، فلابد أنهم يؤدون الصلاة مجرد تأدية فقط ، لا اقامة للصلاة اقامة حقة ، فصلاتهم على هذا النحو ، انما هى جثة بلا روح ، وحركات جسم بلا حضور عقل ، ولا خشوع قلب ، ولا تفكر ولا تدبر .

وقد توعد الله المتظاهرين بالصلاة ، الساهين عنها بالويل وذلك فى قوله سبحانه : " فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذينهم يراءون . ويمنعون الماعون " . (٣)

واذا نظرنا الى صلاة الجماعة ، رأينا أنها تغرس فى النفس الطاعة والنظام والدقة والاخاء والتعاون والترابط .

فعندما تقام الصلاة ، ترى المصلين قد وقفوا فى صفوف مستقيمة متراصة لا عوج فيها ولا فرج ، المنكب الى جانب المنكب ، والقدم الى جانب القدم ، يوجههم امامهم ويحثهم على الاستقامة والاقبال على الله بقلوب ملؤها الخشية والخشوع ، ويحذرهم بأن الله لا ينظر الى الصف الأعوج ، ويرشدهم الى تسوية الصفوف واقامتها ، لأن ذلك من تمام الصلاة يؤيد ذلك ما ورد فى حديث النعمان بن بشير : " يقول :

---

(١) سورة المعارج - من آية ١٩ : آية ٢٣ .

(٢) " العنكبوت - آية : ٤٥ .

(٣) " الماعون - من آية ٤ : آخر السورة .

قال : النبى صلى الله عليه وسلم لتسوّن صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم ."(١)

وكذلك ما ورد فى حديث أنس رضى الله عنه : " سوّوا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة " .(٢)

وفى رواية "أنس عند مسلم : " سووا صفوفكم فان تسوية الصف من تمام الصلاة " .(٣)

فاذا كبر الامام ،كبروا ، واذا قرأ أنصتوا ، واذا ركع ،ركعوا ، واذا سجد سجدوا ، واذا سلم ،سلموا ،لا يسبقونه بشىء من ذلك ،بل يتابعونه بكل دقة "عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : انما جعل الامام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ،فاذا ركع فاركعوا ، واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد ،واذا سجد فاسجدوا ،واذا صلى جالسا ،فصلوا جلوسا أجمعون ،وأقيموا الصف فى الصلاة ،فان اقامة الصف من حسن الصلاة " .(٤)

والذى يخرج عن هذا النظام الدقيق المتقن ،كأن يسابق الامام فى ركوعه أو سجوده فقد استحق من الله العقاب الشديد ،ومن اتصف بشىء من هذه المخالفات الدنيئة فقد أنذره المصطفى صلى الله عليه وسلم ،كما ورد فى حديث "أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أما يخشى أحدكم -أولا يخشى أحدكم - اذا رفع رأسه قبل الامام ،أن يجعل الله رأسه رأس حمار ،أو يجعل الله صورته صورة

---

(١) انظر: صحيح البخارى / جـ ١ / ص ١٨٤ / كتاب الأذان - باب تسوية الصفوف عند الاقامة وبعدها .

(٢) انظر: المرجع السابق / جـ ١ / ص ١٨٩ / كتاب الأذان - باب اقامة الصف من تمام الصلاة .

(٣) انظر صحيح مسلم / جـ ٢ - ص ٣٠ / كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف واقامتها وفضل الاول فالأول منها / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر / بيروت .

(٤) انظر : صحيح البخارى / جـ ١ ص ١٨٤ / كتاب الأذان - باب اقامة الصف من تمام الصلاة .

حمـــــار ."(١)

وفى حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما بال أقوام ، يرفعون أبصارهم الى السّماء فى صلاتهم ؟ فاشتد قوله فى ذلك ، حتـى قال : لينتهنّ عن ذلك ، أو لتخطفنّ أبصارهم" . (٢)

وخلاصة ما ذكر ، أن الصلاة تتضمن مبادىء خلقية واجتماعية سامية ، أجملها فيما يأتـــى :-

١ - الدافع الداخلى ، والحافز الخارجى : وذلك لأنها تؤدى لله ، والاخلاص فى كل عمل يؤدى لله ، ضرورى لا محيص عنه ، وما الاخلاص الا توجه النية الى الله ، والنية من أعمال القلوب ، وبذلك يتحقق الدافع الداخلى .

أما الحافز الخارجى : فان الاسلام جعلها عماد الدين ، من اقامها فقد أقام الدين ، ومن هنا كان الناس رقباء بعضهم على بعض ، فمن تخلـف سئل عن أسباب تخلفه ، ولا يعنى هذا أن للناس عملا فيها ، بل هى السبب فى لقاء الناس فى بيت من بيوت الله ، يسألون عن ضعيفهم ، ويعينـون محتاجهم ، ويعودون مريضهم ويردون الظالم عن ظلمه .

فلا غرابة أنها تنمى فى الانسان ، الحافز الذى يأتى من خارج النفس .

٢ - عملها فى القلب :- وذلك لأن الصلاة ، صلة بين العبد وربه ، ولا تتحقـق تلك الصلة أول ما تتحقق ، الا فى القلب ، فلا يتسع لغير الله ، ولا ينحـط الى الشهوات الخسيسة ، بل يظل فى رقى بصاحبه حتى يتحقق له الكمـال

---

(١) انظر: المرجع السابق / جـ ١ / ص ١٧٧ / كتاب الأذان - باب اثم من رفع رأسه قبل الامام .

(٢) انظر: المرجع السابق/ جـ ١ / ص ١٩١ / كتاب الأذان - باب رفع البصر الى السماء فى الصلاة .

الانسانى ،على مقدار همته وعمله .

٣ - النظام : وهى توكد التعـود على النظام ، فان العادة تتقرر بكثرة التكـرار فأوقات معينة وأعمال محددة ،يأتيها الانسان ،خمس مرات فى اليـوم والليلة ،لا ريب أنها تولد النظام الذى يتميز به الانسان عن غيره من سائر الحيوانـــات .

٤ - العمل والقضاء على الكسل : ففيها اعمال الجوارح والقلوب ،ولا تسمـح بأن يتباطأ الانسان عن أدائها فى وقتها ، وبذلك تقضى على أهم عوامـل التأخر والتخلف ، من كسل ونحوه ، وتدعو لمواصلة العمل الذى هو أصل لأى بناء روحى أو جسمى .

٥ - الطاعة والمعرفة والاخاء والتعاون :

وفى صلاة الجماعة ،زيادة على ما ذكر من طاعة ،ان يرتبط المأمومـون بامامهم ،ارتباطا دقيقا ،فلا يسمح بتقدم أحدهم على امامه ، أو تأخره تأخرا يفوت عليه شيئا من أركانها ، وفيها من الاخاء والتعاون ،ما لا يخفى حيث يقف الفقير بجانب الغنى ، والضعيف بجانب القوى ، وكلما كثر العدد فى الجماعة ،كلما زاد الأجر . وفى هذا من معرفة قيمة التعاون ،مـا يلمحه أولوا القلوب والعقول والبصائر النيرة .

٦ : الصلاة طهرة للنفس من الآثام وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات :

عندما فرض المولى تبارك وتعالى على الانسان الاسلام ، جاء شاملا ومتضمنا

لكثير من أنواع العبادات ، كالصلاة والزكاة والصيام والحج .

وكانت هذه العبادات تختلف عن بعضها كما وكيفا ، وكانت الصلاة ، أكثر هذه العبادات تكرارا وتأدية فى اليوم والليلة .

ولما كانت النفس الانسانية بطبيعتها ، تمل وتسأم وتتثاقل تأدية العمل اذا طال وكان على وتيرة واحدة . لذلك فقد خفف الله تعالى على الناس أعداد الصلوات فى اليوم والليلة ، من خمسين صلاة الى خمس صلوات . كما ورد فى الحديث الشريف .(١) كما خفف سبحانه عليهم عدد ركعات كل صلاة ، فكانت صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع ركعات وكذلك صلاتى العصر والعشاء ، والمغرب ثلاث ركعات هذا عدا السنن الرواتب وغيرها .

واذا نظرنا الى زمن أداء كل صلاة منها ، نجده قد لا يتجاوز الخمس الدقائق وهذا من رأفة الله بعباده ، ورحمته بهم ، فله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

لذا وجب على المصلى عند تأدية أى صلاة من هذه الصلوات أن يستحضر هيبة الرب وجلاله ، وعظمته وكبرياءه ، وأن يستحضر أيضا ضآلة نفسه وذله وحاجته وفقره ، الى المولى تبارك وتعالى ، فيؤديها بكل خشوع وطمأنينة واخلاص متمما جميع أركانها وواجباتها وسننها ومستلزماتها ، ليكون مقيما للصلاة حقيقة لا موجدا لها فقط .

وقد مدح القرآن الكريم ، أصحاب هذه الصفات ووصفهم بالفلاح ، كما فى

---

(١) سبق ذكر ذلك فى ص

قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنا هم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " . (١)

وكما فى قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون" . (٢)

واذا أقيمت الصلاة على الوجه المطلوب ، كانت مكفرة للخطايا ، وماحية للذنوب والآثام ،يشير الى ذلك ما ورد فى حديث " ابى هريرة رضى الله عنه ،قال :- وفى حديث بكر - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شئ ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شئ . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا" . (٣)

وفى حديث آخر : " عن أبى هريرة رضى الله عنه ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ،ما اجتنبت الكبائر" . (٤)

---

(١) سورة البقرة - من آية ٣ : آية ٥ .

(٢) سورة المؤمنون - من أولها : آية ١١ .

(٣) انظر / صحيح مسلم / جـ ٢ / ص ١٣١ / باب: المشى الى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات - كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٤) انظر/ المرجع السابق / جـ ١ / ص ١٤٤ / كتاب الطهارة - باب: الصلوات الخمس والجمعة .... الخ مكفرات لما بينهن .منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر / بيروت .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء ، والورق يتهافت فأخذ بغصنين من شجرة ،قال : فجعل ذلك الورق يتهافت .قال فقال يا أبا ذر : قلت : لبيك يا رسول الله ،قال : ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله تعالى ، فتهافت عنه ذنوبه ،كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة" .(١)

والصلاة فوق ذلك ، هى راحة للنفس ، من عناء الدنيا ، ومتاعب الحياة ومشاغلها وهمومها ،يؤيد ذلك ما ورد فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه الذى يرويه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ،وفيه : وجعل قرة عينى فى الصلاة" .(٢)

وعن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال : انطلقت أنا وأبى الى صهر لنا من الأنصار نعوده ،فحضرت الصلاة ، فقال لبعض أهله : يا جارية : ائتونى بوضوء لعلى أصلى فأستريح قال : فأنكرنا ذلك عليه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قم يا بلال فأرحنا بالصلاة" .(٣)

وكما أن الصلاة تمحو الخطايا ،وتطهر القلوب من أدران الذنوب ،وتجلوها من آثار الآثام والمعاصى ، فهى أيضا صلة بين العبد وربه ، بها يتصل العبد بخالقه ، ويرفع اليه سؤاله ومظلمته ، دون أن يكون بينهما واسطة ولا ترجمان .

---

(١) مسند الامام أحمد / المجلد الخامس / ص ١٧٩ / المكتب الاسلامى للطباعة والنشر / بيروت .

(٢) سنن النسائى / بشرح السيوطى / جـ ٧ / ص ٦١ / كتاب عشرة النساء - باب حب النساء - المطبعة المصرية بالأزهر .

(٣) سنن أبى داوود / جـ ٢ / ص٥٩٣ / كتاب الأدب / باب فى صلاة العتمة / الطبعة الاولى / ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

يقول المولى تبارك وتعالى : " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين" (١) .

وفى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا حزبه أمر صلى" (٢) .

والصلاة تعين على دفع النوائب ، وتبعث فى النفس الهدوء والراحة ، وتشع فى القلب الاطمئنان والثقة ، وقد ندب بعض العلماء ، صلاة المعصية وهى ركعتان عقبها ، أخذا من هذا الحديث . ونقل عن ابن عباس ، أنه كان يفعل ذلك ويقول : نفعل ما أمرنا الله به بقوله : " واستعينوا بالصبر والصلاة" (٣) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها ، كالسورة من القرآن . اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم يقول : اللهم انى استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال : فى عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال : فى عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير ، حيث كان ، ثم رضّنى به . ويسمى حاجته" (٤) .

---

(١) سورة : غافر - آية : ٦٠ .

(٢) انظر / مسند الامام احمد بن حنبل / مجلده / ص ٣٨٨ / المكتب الاسلامى / بيروت .

(٣) انظر / حاشية الفتح الربانى / احمد البناء / ج ٢ / ٢٠٧ / باب : ما جاء فى فضل الصلاة مطلقا / كتاب الصلاة /

(٤) انظر / صحيح البخارى / ج ٨ / ص ١٠١ / كتاب الدعوات - باب الدعاء عند الاستخارة .

كما أن الصلاة ، تكسب صاحبها شفافية خاصة ، ونظرة ثاقبة فاحصة في الابتعاد عن كل ما من شأنه معصية لله ، أو حتى ما فيه شبهة معصية .

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أمورا هامة ومعاني سامية أجملها فيمايلي :-

١ - أن الله تبارك وتعالى ، أرأف بعباده ، منهم بأنفسهم ، وهذا نستنتجه من مشروعية الصلاة خمسين صلاة ، ثم تخفيفها الى خمس صلوات في اليوم والليلة .

كما أنه سبحانه يجازي عباده بخير مما يعملون ، وذلك أخذا من قوله في الحديث : " هي خمس وهي خمسون " ، كما يشير الى ذلك كثير من آيات القرآن الكريم .

٢ - ان الصلاة اذا صلاها المرء كما يجب ، كانت مكفرة للذنوب والآثام ، ما اجتنب الكبائر . وهي أيضا ، تزرع في نفس صاحبها ، حب الخير والمداومة عليه ، وبغض الشر والابتعاد عنه . كما أنها طريق الصلة بين العبد وبين المولى تبارك وتعالى ، بلا واسطة ولا ترجمان .

٣ - أنها عبادة لا تعزل صاحبها عن النشاط في الحياة .

٧ : الصلاة نظافة وتجمل :

ان الصلاة في الاسلام ، ليست عبادة روحية فحسب ، بل هي بالاضافة الى ذلك نظافة وتطهر وتزين وتجمل ، اشترط الله لها ، طهارة الثوب والبدن والمكان

من كل خبث مستقذر ، ومن كل نجاسة معلومة ،فأوجب لها التطهر بالوضوء من الحدث الأصغر ، والغسل من الحدث الأكبر ، ولهذا كان الوضوء مفتاح الصلاة كما كانت الصلاة مفتاح الجنة ، يشير الى ذلك ما ورد عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم" .

قال أبوعيسى : هذا الحديث أصح شئ فى هذا الباب وأحسن .

وعبدالله بن محمد بن عقيل : هو صدوق ،وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه . قال أبوعيسى : وسمعت محمد بن اسماعيل يقول : كان أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم والحميدى يحتجون بحديث عبدالله بن محمد بن عقيل . قال : محمد : وهو مقارب الحديث " .(١)

كما يدل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطّهّروا ".(٢) الآية .

وقد حث الاسلام على النظافة ، واعتبرها من الايمان ،"عن صالح بن أبى حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : "ان الله طيب يحب الطيب ،نظيف يحب النظافة ،كريم يحب الكرم ،جواد يحب الجود ، فنظفوا -أراه قال- أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود ، قال : فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار ،فقال : حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم ،مثله . الا أنه قال : نظفوا أفنيتكم" .

---

(١) انظر / سنن الترمذى / جـ ١ -ص ٤ / باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور -رقم الحديث -٣- .

(٢) سورة المائدة -آية : ٦ .

هذا حديث غريب ،وخالد بن الياس ،يضعّف ، ويقال : ابن اياس" . (١)

واذا انتقلنا الى القرآن الكريم ،نجد أن المولى تبارك وتعالى ،أثنى على أهل مسجد قباء أو أهل المسجد النبوى ،لحرصهم على التطهر والتنظف ، وذلك فى قوله تعالى : "لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطّهّرين ". (٢)

وقد أمر المولى تبارك وتعالى ،بنى آدم ،أن يأخذوا زينتهم للصلاة ،وأن يذهبوا بها الى المسجد وذلك فى قوله سبحانه "يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ". (٣)

كما يجب على المسلم عند ذهابه الى المسجد ، أن يكون طيب الرائحة، حسن الملبس مبتعدا عن كل مايؤذى اخوانه المسلمين من الروائح الكريهة ،أو الثياب المستقذرة ، ولذلك يحث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أمته باستعمال السواك ،كما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" . (٤)

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : السواك مطهرة

---

(١) سنن الترمذى / جـ ٤ / ص ١٩٨ / باب ماجاء فى النظافة - رقم الحديث "٢٩٥١" .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٣) " الاعراف آية ٣١ .

(٤) انظر / صحيح البخارى / جـ ٢ / ص ٥ / كتاب الجمعة - باب السواك يوم الجمعة - دار مطابع الشعب .

للفم مرضاة للرب " . (١)

كما سن للمصلى أن يغتسل ويتطيب يوم الجمعة ، وأن يلبس أحسن ملابسه يؤيد ذلك ما ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ". (٢) وكذلك حديث عمرو بن سليم الأنصارى ، قال : أشهد على أبى سعيد قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وأن يستن وأن يمس طيبا ان وجد " . قال عمرو : أما الغسل فأشهد أنه واجب ، وأما الاستنان والطيب ، فالله أعلم ، أواجب هو ؟ أم لا ؟ ولكن هكذا فى الحديث ". (٣)

وقد " كان الحسن اذا قام الى الصلاة ، لبس أجود ثيابه ، فسئل عن ذلك فقال : ان الله جميل يحب الجمال ، فأحب أن أتجمل لربى وهو تعالى يقول : " يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " . هذا على حين كان القسيسون والرهبان فى العصور الوسطى بأوربا ، يعدون الاهمال والقذارة ، من وسائل القربة الى الله ، والنظافة والتجمل ، من عمل الشيطان ، حتى ان رهبانا أثنى على آخر فقال : يرحمه الله ، لقد عاش طول عمره ، ولم يقترف اثم غسل الرجلين " . (٤)

---

(١) انظر / سنن النسائى بشرح السيوطى / جـ ١ - ص ١٠ - كتاب الطهارة / باب الترغيب فى السواك - المطبعة المصرية بالأزهر .

(٢) انظر / صحيح البخارى / جـ ٢ / ص ٣ / كتاب الجمعة - باب فضل الغسل يوم الجمعة .

(٣) انظر / المرجع السابق / جـ ٢ / ص ٣ / كتاب الجمعة - باب فضل الطيب يوم الجمعة .

(٤) انظر / العبادات فى الاسلام / للقرضاوى - ص ٢١٨ .

٨ : فى الصلاة رياضة بدنية !

ان المرء عندما يقدم الى الصلاة ، نجده يحمل جسمه كله على الحركة ، منذ بداية الوضوء حتى نهاية الصلاة ، فالصلاة بهذه الحركات المتوالية ، تغرس فى نفس مقيمها روح الرياضة وتقوية العضلات ، وتنشيط الجسم ، فهى تتطلب الاستيقاظ المبكر والنشاط الدائم ، وهذا يكون حافزا للمرء لاستقبال يومه بنشاط منقطع النظير بعد تأدية فريضة الصبح - ولا نعنى بهذا ، أنها مجرد رياضة ، بل عبادة فيها رياضه - .

ودينا الحنيف يحثنا على الاستيقاظ المبكر ، والبكور فى العمل ، وهذا أدعى الى النشاط والى كثرة الانتاج ، يؤيد هذا ما ورد "عن صخر الغامدى قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لأمتى فى بكورها" . قال : وكان اذا بعث سرية أوجيشا ، بعثهم أول النهار ، وكان صخر رجلا تاجرا . وكان اذا بعث تجارة ، بعثهم أول النهار ، فأثرى وكثر ماله . وفى الباب : عن على وبريدة وابن مسعود وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر .

حديث صخر الغامدى ، حديث حسن . ولا نعرف لصخر الغامدى عن النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث ، وقد روى سفيان الثورى عن شعبة عن يعلى بن عطاء ، هذا الحديث" . (١)

واذا نظرنا الى الصلاة بكيفيتها المأثورة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم نجدها أصلا للتمرينات الرياضية الفنية التى يؤديها الرياضيون المحدثون ، لتقوية

(١) سنن الترمذى - ج ٢ / ص ٣٤٣ / باب ما جاء فى التبكير بالتجارة - رقم الحديث - ١٢٣٠ - .

الجسم وتنشيطه، وتقوية أعضائه .

فعند القيام فى الصلاة مثلا ، نجده صلوات الله وسلامه عليه - وهو قد وتنا فى كل أمورنا - كان يقف وقفة معتدلة ، لا يطأطئ ولا يتماوت ، كما نجده فى ركوعه مستوى الظهر ، لا مائلا ولا منحنيا ، وكان منتصب الساقين وكان اذا سجد مجافى عضديه عن جنبيه حتى يرى بياض ابطيه ، وأبعد بطنه عن فخذيه ، "عن عبد الله ابن مالك بن بحينة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه" (١) .

واذا دققنا النظر فى حديث المسيء صلاته نجده يوضح كل حركة من حركات الصلاة بكل دقة ووضوح وطمأنينة وكمال ، "عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد النبى صلى الله عليه وسلم عليه السلام ، فقال : ارجع فصل ، فانك لم تصل ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ارجع فصل فانك لم تصل "ثلاثا" فقال : والذى بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمنى ، قال : اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها" (٢) .

وهكذا تكون الصلاة ، حركة وعملا وذكرا ، يشترك فيها جميع جوانب الجسم فالجسم يعمل قائما قاعدا راكعا وساجدا ، واللسان يعمل مكبرا قارئا مسبحا مهللا

---

(١) انظر/ صحيح البخارى / جـ ١ / ص ٢٠٥ / باب : يبدى بضبعيه ويجافى السجود / كتاب الأذان .

(٢) انظر/ المرجع السابق جـ ١ / ٢٠١ / باب : استواء الظهر فى الركوع كتاب الاذان .

مستغفرا ، والعقل يعمل متدبرا متفكرا ، فيما يتلو أو يتلى عليه من قرآن ، بينما القلب يعمل مستحضرا رقابة الله وخشيته وحبه والشوق الى لقائه .(١)

٩ : تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : "يا بنى أقم الصلاة" .

بعد ما أمر لقمان ابنه ، بتوحيد الله تعالى ، الواجب على المكلف ، وذلك ضمن النهى عن الشرك ، ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته ، الذى لا تخفى عليه خافية فى أى جزء من هذا الكون العظيم .

بعد ذلك ، انتقل الى أمره باقامة الصلاة ، لكونها أكمل العبادات.(٢) فهى عمود الاسلام ، وركنه العظيم ، من أقامها فقد أقام الدين وحفظه ، ومن ضيعها فقد ضيع دينه وخسر دنياه وآخرته ، فقال له :

"يا بنى أقم الصلاة" : أى بحدودها وفروضها فى أوقاتها" .(٣)

وقد سبق الكلام على معنى : "اقامة الصلاة" بالتفصيل ، وذلك فى ص من هذا الفصل ، ولا داعى لتكراره .

---

(١) العبادات / للقرضاوى / ص ٢١٨ ، ٢١٩ / بتصرف .

(٢) روح المعانى / للألوسى / ج ٢١ / ص ٨٩ .

(٣) تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٤٤٦ .

الفصـــل الســـادس

فـــى تفسير قولـه تعالـــى

" وأمر بالمعروف وانـــه عن المنكـــر "

ويتم البحث فى هذا الجزء من الآية الكريمة فى ضوء النقاط التالية :-

١ - مدلول المعروف والمنكر .

٢ - مدلول الأمر والنهى .

٣ - الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤ - حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٥ - أدلة وجوبهما .

٦ - هل يعتبر الأمر بالمعروف ، نهيا عن المنكر ؟ وبالعكس ؟ أم أن كلا منهما مستقل ؟ .

٧ - أيهما يقدم ؟ الأمر بالمعروف أم النهى عن المنكر ؟

٨ - مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٩ - أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

١٠ - تفسير جزء الآية الكريمة .

وهذا تفصيل ذلك .

١ : مدلـول الأمر والنهــي :-

الأمر : هو أحد أقسام الكلام ، حيث ينقسم الى أمر ونهي وخبر واستخبار .

وحد الأمر : أنه القول المقتضى طاعة المأمور ، بفعل المأمور به .

أما النهي : فهو القول المقتضى ترك الفعل .(١)

وللأصوليين تفريعات على هذا التعريف ، تخرجني عن الموضوع الذى هو من صميم التفسيــر .

٢ : مدلول المعـروف والمنكـــر :-

المعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه ، والاحسان الــى الناس . وكل ما ندب اليه الشرع ، ونهى عنه من المحسنات والمقبحـــات ، وهو من الصفات الغالبة ، أى : أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه .(٢) .... الخ .

أما المنكر : فهو ضد المعروف ، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه .(٣)

قلت : المعروف كل ما أقره الشرع ، والمنكر كل ما نهى عنه الشرع . سواء كان الأمر والنهي بطريق الجزم ، أم بطريق غير جازم ، فالواجبات والمندوبات من

---

(١) انظر / المستصفى / للغزالي - جـ ١ / ص ٤١١ - .

(٢) انظر / لسان العرب / لابن منظور - جـ ٩ / ص ٢٣٩ - بيروت سنــة ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨م .

(٣) انظر / المرجع السابق - جـ ٥ / ٢٣٣ - بيروت سنة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

المعروف قطعا ، والمحرمات والمكروهات من المنكر قطعا . أما المباح الـذى أذن فيه الشرع ، فهو من المعروف ما لم يفرق الانسان فيه ، فيصل الى حد الكراهة ، فينقلب المباح منكرا ، كما هو مقرر فى علم الأصول .

حيث الأحكام الخمسة ، كلها مترابطة ، فالمباح يقرب من المندوب ، ويقرب من الكراهة وكل من المندوب والكراهة يقتربان من الواجب والحرام .

وفى الحديث : عن عطية السعدى - وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس" . هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه" . (١)

٣ : الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :-

الحد الفاصل بينهما ، كما أرى ، هو صيغة الشارع . اذ أن فعل المعروف يستلزم البعد عن المنكر ، وارتكاب المنكر ، يستلزم البعد عن المعروف ، الا أن هناك دلائل ، بها يمكن التعرف ، هل القضية من باب الأمر بالمعروف أو من باب النهى عن المنكر ، والحد الفاصل هو الصيغة الشرعية .

فمثلا : الأمر باقامة الصلاة ، أدخل فى باب الأمر بالمعروف أما النهى عن تركها فهو أدخل فى باب النهى عن المنكر .

مطلوب هنا عنوان : وسائل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يتناسب الكلام مع العنوان

ولا ريب أن لكل منهما وسائل ، فوسائل الأمر بالمعروف قوله تعالى :

---

(١) انظر / سنن الترمذى / جـ ٤ / ص ٥١ - باب : "تابع لأبواب صفة القيامة" . رقم الحديث " ٢٥٦٨ " .

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن". (١)

هكذا نتبع فى الدعوة الى الأمر بالمعروف ، نأمر بالحكمة ، لا بالتشدد المنفر ، فلو أرغمنا أحدا على فعل معروف ، فانه لا شك غير قائم بالمطلوب منه عن اقتناع فربما يحدث العنف معه ، رد فعل ، يحمله على العناد ، فان لم يقو فربما يحمله على النفاق ، أو الأداء الروتينى الذى لا روح فيه ، فنفتقد القيمة العملية المترتبة على الأمر بالمعروف .

وهكذا ندعوا بالموعظة الحسنة التى تلين القلوب ، والمجادلة التى تنير العقول .

أما النهى عن المنكر فوسيلته ما حدده النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه عنه أبوسعيد قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان " . (٢)

فانظر ، كيف قرن الشرع بين شىء موجود ينبغى أن يزال ، وشىء غير موجود ينبغى أن يوجد .

فالمنكر القائم بقاؤه خطر على الفرد وعلى المجتمع ، ومن هنا وجبت ازالته . وقد اختلف العلماء فى كيفية العمل بهذا الحديث ، فمن قائل :

التغيير باليد ، للحاكم فقط ، الذى له السلطة والسلطان .

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / ج ١ / ص ٥٠ / باب : كون النهى عن المنكر من الايمان / كتاب الايمان / منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر / بيروت .

والتغيير باللسان : منوط بالعلماء الفاهمين للدين المقنعين غيرهم بالحجة .

والتغيير بالقلب : على جميع أفراد الأمة حتى لا يركنوا الى المنكر .

وآخرون من العلماء : قالوا : هذا متروك لأى فرد يغير بيده ان استطاع والا فبلسانه والا فبقلبه .

ولا شك أن كلا من الرأيين معقول ، الا أنه فى القول الأول احتياطا من أن يتطور الأمر الى معارك دامية تقوم بين الأفراد ، فاذا أمن الناهى عن المنكر ذلك فله أن يغير بيده أو بلسانه أو بقلبه .

وقد ذكر ابن القيم فى اعلام الموقعين أن للانكار أربع درجات هى :-

الاولى : أن يزول المنكر ويخلفه ضده .

الثانية : أن يقل المنكر ، وان لم يزل بجملته .

الثالثة : أن يزول المنكر ويخلفه ما هو مثله .

الرابعة : أن يزول المنكر ويخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، لأنه يترتب على كل منهما فائدة ، حيث يترتب على الاولى ، زوال المنكر ، ووجود ما هو ضده من المعروف .

ويترتب على الثانية : أن يقل المنكر ويخف وان لم يزل بجملته .

أما الدرجة الثالثة : فهى موضع اجتهاد ، والناهى مخير بين أن ينهى ، فيؤدى نهيه الى زوال المنكر الموجود وحدوث منكر مساو له ، وبين عدم النهى . (١)

أما الدرجة الرابعة : فهى محرمة ، لأن النهى يؤدى الى زوال المنكر

---

(١) اعلام الموقعين - لابن قيم الجوزية جـ ٣ / ص ٤ / بتصرف .

الموجود ، وحدوث ما هو أشد منه حرمة ، مثال ذلك : أن ينهى عن شرب الخمر فيترتب على ذلك سفك دماء المسلمين ، فالابقاء على شرب الخمر ، أهون من سفك دماء المسلمين ، مع الاعتراف بأنه منكر ، لكنه أخف .

وقد ذكر ابن القيم أنه سمع شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول : " مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم ، منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : انما حرم الله الخمر ، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصد هم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم " . (١)

هذا هو الفقه في الدين ، فان ترك الأهم ، وفعل المهم ، بعد عن الفقه . فمن الفقه في الدين تقديم الأهم على المهم ، فعلا أو تركا .

٤ : حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

اتفق العلماء على أن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ، وقد خالف في ذلك نزر قليل ، حيث قالوا انه من فروض الأعيان .

وقد انقسم القائلون بأنه من فروض الكفايات الى قسمين هما :-

١ - يرى ~~أصحاب هذا الفريق~~ الفريق الأول ، بأن هذا الواجب الكفائي ، واجب على جميع المكلفين ويسقط عنهم بفعل بعضهم . وأصحاب هذا القول : هم الجمهور .

٢ - أما الفريق الثاني : فيرون أنه واجب على البعض دون البعض الآخر .

---

(١) انظر / المرجع نفسه - ص ٥ .

دليـــل الجمهـــور :

استدل الجمهور على ذلك ، بأنه لو ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولم يقم به أحد ، لأثم الجميع بتركه . ولو لم يكن واجبا عليهم جميعا ، لما أثمـــوا بالتـــرك .

رد الفريـــق الثانـــى :

قالوا : انما وقع الاثم بالترك ، لتفويتهم ما قصد حصوله من جهتهم فى الجملة لا للوجـــوب عليهم .

واعترض الجمهور بقولهم : ان هذا هو الحقيق بالاستبعاد . أى : اثم طائفة بترك أخرى فعلا ، كلفت به .

والجواب عنه : بأنه ليس الاسقاط عن غيرهم بفعلهم ، أولى من تأثيم غيرهم بتركهم ، يقال فيه : بل هو أولى ، لأنه قد ثبت نظيره شرعا ، من اسقاط ما على زيد بأداء عمرو ، ولم يثبت تأثيم انسان بترك آخر ، فيتم ما قاله الجمهور .

واعترض القول : بأن هذا هو الحقيق بالاستبعاد ، بأنه انما يتأتى ، لو ارتبط التكليف فى الظاهر بتلك الطائفة الاخرى بعينها وحدها . لكنه ليس كذلك ، بل كلتا الطائفتين متساويتان فى احتمال الأمر لهما . وتعلقه بهما من غير مزية لاحداهما على الأخرى . فليس فى التأثيم المذكور تأثيم طائفة بترك أخرى ، فعلا كلفت به ، اذ كون الأخرى كلفت به غير معلوم ، بل كلتا الطائفتين متساويتان فى احتمال كل منهما أن تكون مكلفة به . فالاستبعاد المذكور ليس فى محله .

على أنا اذا قلنا بما اختاره جماعة من أصحاب المذهب الثانى : من أن البعض

مبهم ،آل الحال الى أن المكلف طائفة لا بعينها ،فيكون المكلف القدر المشترك بين الطوائف ،الصادق بكل طائفة ، فجميع الطوائف مستوية فى تعلق الخطاب بها ، بواسطة تعلقه بالقدر المشترك المستوى فيها ،فلا اشكال فى اثم الجميع ،ولا يصير النزاع بهذا بين الطائفتين لفظيا ، حيث ان الخطاب حينئذ ،عم الجميع على القولين وكذا الاثم عند الترك ،لماأن فى أحدهما دعوى التعليق بكل واحد بعينه وفى الأخرى دعوى تعلقه بكل ،بطريق السراية من تعلقه بالمشترك .

وثمرة ذلك أن من شك أن غيره ، هل فعل ذلك الواجب ؟ لا يلزمه على القول بالسراية ،ويلزمه على القول بالابتداء ، ولا يسقط عنه الا اذا ظن فعل الغير .

ومن هنا يستغنى عن الجواب ،عما اعترض به الجمهور ،فلا يضرنا ما قيل فيه . على أنه يقال على ماقيل : ليس الدين نظير ما نحن فيه كليا ،لأن دين زيد واجب عليه وحده ، بحسب الظاهر ،ولا تعلق له بغيره ،فلذا صح أن يسقط عنه بأداء غيره ، ولم يصح أن يأثم غيره بترك أدائه ،بخلاف ما نحن فيه .
فان نسبة الواجب فى الظاهر الى كلتا الطائفتين على السواء فيه . فجاز أن يأثم كل طائفة بترك غيرها ،لتعلق الوجوب بها بحسب الظاهر ،واستوائها مع غيرها فى التعلق .

وأما قولهم : " ولم يثبت تأثيم انسان بأداء آخر" . فهو لا يطابق البحث ، اذ ليس المدعى : تأثيم أحد بأداء غيره ، بل تأثيمه بترك .

فالمطابق : " ولم يثبت تأثيم انسان بترك أداء آخر" . ويتخلص منه حينئذ ، بأن التعلق فى الظاهر قدر مشترك فى سائر الطوائف . فيتم ما ذهب اليه الفريق الثانى .

اذا تحقق هذا : فالقائلون بأن التكليف على البعض قالوا : بأن : "من" للتبعيض . والقائلون بأن التكليف على الكل قالوا : "من" : للتبيين . وذلك في قوله سبحانه : "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" .(١)

وقد أيد الأخيرون قولهم ، بأن الله أثبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الأمة في قوله سبحانه "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ".(٢) ولا يقتضي ذلك ، كون الدعاء فرض عين ، فان الجهاد من فروض الكفاية بالاجماع مع ثبوته بالخطابات العامة .(٣)

٥ : أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

من أهم الأمور التي أمر بها الاسلام ، وحث عليها ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما يترتب على القيام بهذا الركن العظيم من مصالح وصلاح ، وما يترتب على اهماله وعدم القيام به ، من مفاسد عظيمة ، يصعب علاجها بعد وقوعها فضلا عن محاولة انتزاع جذورها .

وقد جاءت الأدلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مستفيضة وكثيرة ، سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١٠٤ .
(٢) " " " ١١٠ .
(٣) روح المعاني / للألوسي / جـ٤ / ص٢١ ، ٢٢ / بتصرف يسير .

فمن أدلة القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر ، مايلى :-

١ - قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (١) .

فقوله فى الآية : " ولتكن " : أمر ظاهره الوجوب .

وهذا دليل على وجوب القيام بهذا الأمر العظيم ، وان كان القيام به فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين . لكن المصيبة انما تقع اذا تهاون به الكل ولم يقم به أحد ، فانه حينئذ يعم الاثم على الكل والعياذ بالله من ذلك .

٢ - قوله تعالى : " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " (٢) .

فى هاتين الآيتين الكريمتين ، دلالة واضحة ، تشير الى أن اولئك القوم انما استحقوا اللعنة بسبب عصيانهم واعتدائهم وعدم تناهيهم عن المنكر .

٣ - قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٣) الآية .

فى هذه الآية الكريمة دلالة واضحة ، على أن الخيرية فى هذه الآية مترتبة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله . ولم تكن خيرية جاءت من قبيل الصدفة .

---

(١) سورة آل عمران - آية - ١٠٤ .

(٢) " المائدة " ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) " آل عمران - آية ١١٠ .

٤ - قوله تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" (١) .

ففي هذه الآية الكريمة ، اخبار على أن النجاة ، انما كانت بسبب نهي أصحابها عن السوء ، أما الذين ظلموا ، فقد أخذهم الله بعذاب شديد بسبب ظلمهم وفسقهم وعدم نهيهم عن السوء ، ان أخذه أليم شديد . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما الاحاديث الشريفة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي كثيرة أيضا . ومن ذلك على سبيل المثال :-

١ - عن أبي سعيد قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان" (١) .

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على وجوب تغيير المنكر ، حسب الاستطاعة قال النووي رحمه الله : " وأما قوله صلى الله عليه وسلم " فليغيره " ، فهو أمر ايجاب باجماع الأمة ، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ، ولم يخالف في ذلك الا بعض الرافضة ، ولا يعتد بخلافهم ، كما قال الامام أبو المعالي امام الحرمين : لا يكترث بخلافهم في هذا ، فقد أجمع المسلمون

---

(١) سورة الاعراف - آية : ١٦٥ .

(٢) انظر / الجامع الصحيح / للامام مسلم / ج ١ / ص ٥٠ / باب كون النهي عن المنكر من الايمان - كتاب الايمان .

عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ، ووجوبه بالشرع لا بالعقل ، خلافا للمعتزلة". (١)

٢ - عن أبى بكر الصديق ، أنه قال : يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم". وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" . (٢)

فى هذا الحديث وعيد شديد ، لمن يرى الظالم على ظلمه ولا يأخذ على يديه ، بأن يأمره وينهاه عن ظلمه ذلك ، بحسب الاستطاعة ، اذا لم يفعل ذلك من يراه ، فيوشك أن ينزل الله عقابه ، فيعم الظالم والراضى بذلك الظلم.

والرضى بالظلم ، من المنكر ، ويجب على من رآه أن ينهى عنه بحسب استطاعته ، ويزيله اذا أمكنه ذلك .

٣ - عن حذيفة بن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، (٣) وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا

---

(١) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووى / جـ ٢ / ص ٢٢ / الشرح / باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان وأن الايمان يزيد وينقص .

(٢) انظر / سنن الترمذى / جـ ٣ / ص ٣١٦ / باب : ما جاء فى نزول العذاب اذا لم يغير المنكر - رقم الحديث : " ٢٢٥٧" .

(٣) فى الحديث : "وليوشكن الله" . . . : واو : بدون ألف . كأنها حرف عطف وبيد وأن الالف سقطت عند الطبع . والصواب أنها : أو" حتى ينتظم المعنى وقد وجدت الحديث فى مسند أحمد / جـ ٥ / ص ٣٨٨ / بيروت . وفى الفتح الربانى / جـ ١٩ / ص ١٧٣ : ونصه : " والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله . . ." الخ الحديث .

منه فتدعونه فلا يستجيب لكم" . (١)

في هذا الحديث يؤكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك بالقسم وبنون التوكيد ، ومن يتساهل في ذلك ، فما أسرع أن يبعث الله عقابه على أولئك الناس ، جزاء رضاهم بذلك الحال ، فيدعونه فلا يستجيب لهم .

٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفت في وجهه ، أن قد حفزه شيء ، فتوضأ ثم خرج ، فلم يكلم أحدا ، فدنوت من الحجرات فسمعته يقول : يا أيها الناس ان الله عز وجل يقول : مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم" . (٢)

الحديث دليل واضح على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان قوله : مروا ، وانهوا كل منهما فعل أمر ، يقتضي الوجوب .

ثم ان عدم القيام بذلك العمل الجليل ، يؤدي الى غضب الله عز وجل ، حتى يدعوه فلا يستجيب لهم ويسألوه فلا يعطيهم ، ويستنصروه فلا ينصرهم ، وماذا بعد هذا الوعيد الشديد ؟ (نعوذ بالله من ذلك كله .

الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) انظر / سنن الترمذي جـ ٣ / ص ٣١٦ ، ٣١٧ / باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - رقم الحديث " ٢٢٥٩ " .

(٢) انظر مسند الامام احمد / جـ ٦ / ص ١٥٩ / المكتب الاسلامي / بيروت .

٦ : هل الأمر بالمعروف يعتبر نهيا عن المنكر ؟ /أم أن كلا منهما مستقل ؟ : وبالعكس؟

ان الأمر بالشئ نهى عن ضده ، وذلك من طريق اللزوم العقلى ، لا القصد الطلبى . لأن مقصود الأمر ، انما هو فعل المأمور به . فاذا كان من لوازمه ترك الضد صار تركه مقصودا لغيره .

وكذلك النهى عن الشئ ، انما قصد الناهى ، بالقصد الأول ، الانتهاء عن المنهى عنه ، وكونه مشتغلا بضده جاء من جهة اللزوم العقلى ، لكن انما نهى عما يضاد ما أمر به كما تقدم . فكأن المأمور به هو المقصود بالقصد الأول في الموضعين .

وحرف المسألة : أن طلب الشئ طلب له بالذات ، ولما هو من ضرورته باللزوم .

والنهى عن الشئ ، طلب لتركه بالذات ، ولفعل ما هو من ضرورة الترك باللزوم .
والمطلوب في الموضعين : فعل وكف ، وكلاهما أمر وجودى" . (١)

قلت : اذا تحقق هذا فى الأمر والنهى بصفة عامة ، فان الأمر بالمعروف يعتبر نهيا عن المنكر ، لأن مقصود الأمر بالمعروف ، انما هو فعل المعروف بطريق القصد الطلبى وهو يستلزم الانتهاء عما يضاده من المنكر ، من طريق اللزوم العقلى .

وكذا النهى عن المنكر : انما قصد الناهى أولا ، الانتهاء والامتناع عن المنكر وذلك بطريق اللزوم الطلبى ، وهو بالتالى يستلزم فعل ما يضاده من طريق اللزوم العقلى .

---

(١) الفوائد / لابن القيم - ص ١٢٢ ، ١٢٣ / بتصرف يسير .

من هذا نستنتج أن الأمر بالمعروف يعتبر نهيا عن المنكر ، والنهى عن المنكر يعتبر أمرا بالمعروف . وهما مرتبطان ببعضهما ولا ينفك أحدهما عن الآخر.

٧ : أيهما يقدم : الأمر بالمعروف ، أم النهى عن المنكر ؟

اذا ثبت أن الأمر بالمعروف نهى عن المنكر بالالتزام ، والنهى عن المنكر، أمر بالمعروف بالالتزام ، فان التعقل الصحيح يقتضى تقديم النهى عن المنكر، لأن المنكر مفسدة والمعروف مصلحة ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح . ذلك أن المنكر ، عامل هدام ، والمعروف بناء شامخ . وعلينا أن نقدم الوقاية قبل غيرها ، فاذا تتبعنا المنكر وقضينا عليه ، فقد عملنا على تنقية المجتمع ، وبذلك يصلح ويكون قابلا للخير ، فاذا أمرناه امتثل ، واذا دعوناه اهتدى . بخلاف ما لو دعوناه الى المعروف ، والمنكر قائم فيه ، فانه حينئذ يكون حائلا بين المجتمع والاستجابة المطلوبة .

واذا تتبعنا أساليب القرآن الكريم ، وجدناه فى كثير من المواضع ، يقدم النهى عن المنكر ، على الأمر بالمعروف ، كما فى قوله تعالى : " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك " (١) ، ثم يقول : " واتّبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله " (٢) .

ولئن كان هذا الخطاب موجها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الأمة داخلة فى هذا الخطاب بل هى المخاطبة بالنهى ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يدع مع الله الها آخر ، حتى ينهى عن ذلك .

---

(١) سورة : يونس - آية : ١٠٦ .
(٢) " " " ١٠٩ .

وقولـــــــه :

" لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا " .

" وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا " .(١)

" ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيـــل والميزان بالقسط " .الآية(٢)

فقد قدم النهى عن المنكر على الأمر بالمعروف .

وأما قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر "(٣) الآية . بتقديم الأمر بالمعروف على النهى عن المنكر . فذلك لأن الآية فى المسلمين ، وانتشار المنكر بينهم بعيد ، فهم أحوج الى الأمر بالمعروف فيما بينهم ، عن النهى عن المنكر فيما بينهم .

وكما يقولون فى تبرير تقديم النهى عن المنكر : وتبريرذلك بقولهم : التخلية مقدمة على التحلية . ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

٨ : مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ان مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مترتبة على الحالة التى تتعلـــق بهمــــا . لأنهما من فروض الكفاية اتفاقا . وقيل : هما من الفروض العينية .

---

(١) سورة الاسراء آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة الانعام : آية ١٥٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

وأرى أنهما أليق بفروض الكفاية ، وفرض الكفاية شبيه بالعام الذى أريد به الخصوص كما قال الشيخ أبو زهرة ، فى كتابه " أصول الفقه " .

والواقع أن تكييف الحالة يرجع الى مدى الخطورة ، وما يترتب على التغيير أو الأمر من فائدة . فمثلا : اذا كان المنكر يسيرا ، ولا يمس ضروريا من الدين ، فازالته مندوبة . أما ان كان يمس ضروريا ، فازالته مفروضة . وهكذا فى الأمر بالمعروف . ان كان هذا المعروف مندوبا ، فالأمر به مندوب . وان كان واجبا ، فالأمر به واجب .

وهكذا لكل حالة حكم . والمهم أن يسود الأمان والسلام فى المجتمع الاسلامى والانسانى . فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رقابة شعبية وحسبة يقوم بها أهلها ، لتأدية هذا الحكم الذى بينت فيما سلف مرتبته .

ولا ننسى ما للرقابة الشعبية من أثر فعال فى المجتمع ، فلو أن الرقابة ، اقتصرت على الموظفين فقط ، لضاعت كثير من الحقوق . أما وأن أفراد الشعب مشتركون فى هذه الرقابة ، فلن يضيع حق ، لأن ما يفوت الشرطة ، يدركه أفراد الشعب ، ويبلغونها ذلك لتتولى هى بقية الاجراءات .

٩ : أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتقصير فى أدائهما :

للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أثر ، لا يمكن لمنصف انكاره ، أو التقليل من شأنه ، فهو وسيلة من وسائل الاصلاح ، تؤتى ثمارها الطيبة متى استعملت على وجهها الصحيح .

فاذا أحس المجتمع أنه بنيان متماسك ، يصلح بعضه بعضا ، اشتد تماسكه

وترابطه ، وكثيرا مايكون الوقوع فى المنكر ، أو الابتعاد عن المعروف ، نتيجة عدم العلم ، أو نتيجة عدم الفقه فى تقديم الأهم على المهم ، فاذا بصّر بالصواب ، ووضح له طريق الخير ، فانه سرعان ما يهتدى ويرجع الى الحق .

وهذه احدى الآثار الطيبة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد يكون الواقع والمتورط فيهما ، قريب العهد ، فبأدنى نصيحة يمكن أن يقلع ، اذ العادة لم تكن متأصلة فيه .

والويل والهلاك لمجتمع ، صار المنكر فيه معروفا ، والمعروف منكرا ، واستقر على ذلك ، نتيجة التقصير فى القيام بالأمر والنهى .

ان الاسلام يبغى السلامة لأفراده ومجتمعه على السواء ، فلا يقر منفعة تخص ، على حساب الاضرار بالآخرين وصدق الله تعالى اذ يقول : "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" .(١)

١٠ : تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : "وأمر بالمعروف وانه عن المنكر" أى : أمر الناس بطاعة الله واتباع أوامره ، وانههم عن معاصيه سبحانه وتعالى ، والوقوع فى محارمه ونواهيه .(٢)

"وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن جبير ، قال : وأمر بالمعروف : يعنى : التوحيد . وانه عن المنكر : يعنى : الشرك" .(٣)

---

(١) سورة : الملك - آية : ١٤ .

(٢) تفسير الطبرى / جـ / ص ٧٣ / بتصرف يسير .

(٣) انظر : روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ص ٨٩ .

والمعنى : أن الانسان اذا كمل فى نفسه بعبادة الله تعالى ، والاستقامة على نهجه القويم وفى مقدمة ذلك اقامة الصلاة كما يجب ، فيجب عليه حينئذ أن يعمل على تكميل غيره من الناس وذلك بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، والنصح لهم فى ذلك . فان هذا هو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وورثتهم من العلمـــاء .

وقد يقول قائل : ان لقمان فى هذه الآية الكريمة : فى وصيته لابنه : قدم الأمر بالمعروف على النهى عن المنكر .

وقبل ذلك بآيات : قدم النهى عن المنكر على الأمر بالمعروف ، حيث كان أول قوله : "يا بنى لا تشرك بالله" ثم قال : بعد ذلك : "يا بنى أقم الصلاة" .

فما السر فى ذلك ؟

ويجاب عن ذلك بما يلى :

انه كان يعلم أن ابنه معترف بوجود الله تعالى ، فما أمره بهذا المعروف ، ونهاه عن المنكر الذى يترتب عليه ، فان المشرك بالله لا يكون نافيا لله فى الاعتقاد ، وان كان يلزمه نفيه بالدليل ، فكان كل معروف فى مقابلته منكر ، والمعروف فى معرفة الله ، اعتقاد وجوده . والمنكر : اعتقاد وجود غيره معه . فلم يأمره بذلك المعروف لحصوله ، ونهاه عن المنكر ، لأنه ورد فى التفسير أن ابنه كان مشركا ، فوعظه ولم يزل يعظه حتى أسلم .

وأما ههنا : فأمره أمرا مطلقا ، والمعروف مقدم على المنكر" . (١)

---

(١) انظر : التفسير الكبير / للرازى / جـ ٢٥/ ص ١٤٩ / الطبعة الاولى .

الفصـــل السابـــع

فى تفسيـــر قولـــه تعالـــــى
" واصبر على ما أصابك ان ذلك من عـــزم الأمـــور" (١)

ويتم البحث فى هذا الجزء من الآية الكريمة فى ضوء النقاط التالية :

١ - معنى الصبر .

٢ - أنواع الصبر .

٣ - الصبر نصف الايمان .

٤ - ذكر بعض أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه .

٥ - مراتب الصبر .

٦ - تفســـير جزء الآية الكريمة .

وهذا هو التفصيـــل .

---

(١) سورة لقمان - آية : ١٧ .

١ - معنى الصبر :

الصبر : الحبس .

ومنه : قتل فلان صبرا : أى : حبس حيا ثم رمى حتى قتل . وكل من حبس شيئا فقد صبره ، قال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه "(١) أى : احبس نفسك معهم .

ويأتى الصبر : بمعنى الجرأة ، ومنه قوله تعالى : " فما أصبرهم على النار "(٢) أى : ما أجرأهم على أعمال أهل النار .(٣)

وقال الغزالى : الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند آخر ، قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما ".(٤)

قلت : كل هذه المعانى مرادة ، ولا تنافى بينها ، وكل منها يدل بحسب مقامه واطلاقه .

ولهذا : فان " الصبر يشتمل حبس النفس ، وحبس اللسان ، وحبس الجوارح .

فأما " حبس النفس : فيكون عن الجزع والتسخط .

وأما حبس اللسان : فيكون عن الشكوى والتذمر .

وأما حبس الجوارح : فيكون عن التشويش .

---

(١) سورة الكهف - آية : ٢٨ .

(٢) " البقرة " ١٧٥ .

(٣) لسان العرب - لابن منظور - جـ ٤ / ص ٤٤٠ ومابعدها / ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م / بتصرف .

(٤) انظر احياء علوم الدين / للغزالى - جـ ٤ - ص ٦٢ ، ٦٣ .

وهذا انما يتحقق اذا كان وفق سنن الله وآياته ، فى النفس وفى الآفاق ، ومع نعم الله على الانسان ، ووفق ما جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب المنزلة ، من عند الله سبحانه وتعالى . عندئذ يتحقق الصبر ، ويذوق الصابر حلاوة الصبر" . (١)

٢ : أنـــواع الصبـــر :-

اذا أمعنا النظر فى معانى الصبر ، فانه يمكننا أن نقسمه الى ثلاثة أنواع :-

أ - صبر على طاعة الله .

ب - صبر على ترك معصية الله .

جـ - صبر على امتحان الله وبلائه .

وهذا هو تفصيل ذلك :-

أ - الصبر على طاعة الله تعالى :

ويتمثل هذا النوع من الصبر ، فى المحافظة على طاعة الله تعالى ، على الدوام ، والاخلاص فيها لوجهه سبحانه ، والاتيان بها على هدى القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وهذه الأمور الثلاثة ، متلازمة تلازما وثيقا ، فاذا لم يحافظ العبد على الطاعة دائما ، تعطلت .

ولو حافظ عليها دواما ، ربما يعرض لها آفتان ، أواحداهما :-

---

(١) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية / جـ ٢ / ص ١٥٦ / بتصرف .

الاولـى : ترك الاخلاص فيها :-

وذلك بأن يكون الباعث عليها غير وجه الله ، وارادته سبحانه والتقرب اليه ،

وحفظها من هذه الآفة الخطيرة ، انما يتم برعاية الاخلاص .

الثانيـة : ألا تكون مطابقة للعلم :-

وذلك بألا تكون على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وحفظها

من هذه الآفة : انما يتم بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والصبر على الطاعة ، فوق الصبر عن ترك المعصية ، لأن ترك المعصية

انما كان لتكميل الطاعة ، والنهى مقصود للأمر . ولما كان المنهى عنه ينقص المأمور

به ، نهى عنه ، حماية لجانب الأمر وصيانة له . فلهذا كان جانب الأمر أقوى

وآكد . (١)

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله : " الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر

على اجتناب المحرمات ، وأفضل ، فان مصلحة فعل الطاعة ، أحب الى الشارع من

مصلحة ترك المعصية . ومفسدة عدم الطاعة أبغض اليه وأكره من مفسدة وجود

المعصية " . (٢)

وقد قيل : حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى ، وحظها فى الطاعة باطن

خفى ، ومداواة مايخفى ، صعب علاجه .

ب - الصبر عن معصية الله :-

هذا النوع من الصبر ، يكمن فى اجتناب كل ما نهى الله عنه ، ومنع النفس من

---

(١) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية : جـ ٢ / ص ١٦٤ وما بعدها / بتصرف .

(٢) انظر / المرجع نفسه - ص ١٥٧ .

ذلك ، وحرمانها منه ، ولو كان فيه لذتها وسرورها .

والصابر فى هذا ، انما يلاحظ أمور :-

١ - يلاحظ الصابر ، نفسيته :-

فالنفس تشتهى ، ولا تنظر الى العواقب ، وحظها فى المعصية ، ظاهر جلى ، وليس فى طبيعتها الا شيئان :

هوى : هى دائما أعظم منه . وايمان : هو دائما أعظم منها ، فان لاحظت مايجرها الى الخارج ، هلكت وتفانت ، وان لاحظت مايجذبها الى الداخل علت وارتقت وكانت مؤمنة .

فالصابر اذا عن المعصية ، متوجه الى نفسه ، والعوامل المتصارعة فى داخلها ، فان ترجحت كفة الايمان ، وانتصرت النفس على شهواتها ، انتقلت الى نظر آخر ، وهو : نظر شدة الوعيد على المعصية .

٢ - يلاحظ الوعيد الشديد المترتب على ارتكاب المعصية :-

والصابر انما يلاحظ الوعيد الشديد الذى يترتب على ارتكاب المعصية ، ابقاء على الايمان ، وحذرا من الحرام .

٣ - يلاحظ الحياء من الرب تبارك وتعالى :-

وذلك أن يستعان بنعمه على معاصيه .

أما ملاحظة الوعيد والخوف منه :-

فالباعث عليه ، قوة الايمان بالخير والتصديق بمضمونه .

وأما الحياء : فالباعث عليه : قوة المعرفة ، ومشاهدة معانى الأسماء والصفات .

والأحسن من ذلك : أن يكون الباعث عليه ، وازع الحب ، فيترك المعصية ، محبة لله تعالى ، ومحبة لما أحب الله .

وفى الأثر : " خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحى منه على قدر قربه منك " .
والايمان اذا قوى فى الانسان ، كان داعيا الى ترك المعصية ، لأن المعصية تنقص الايمان أو تذهب به ، أو تذهب رونقه وبهجته ، أو تطفئ نوره ، أو تضعف قوته أو تنقص ثمرته .(١) يشير الى ذلك الحديث الشريف : " عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم وهو مؤمن " .(٢)

والمعاصى للايمان ، كالمأكولات المضرة للأبدان ، وكل شهوة يتبعها الانسان ترتفع منها ظلمة الى قلبه ، كما ترتفع عن نفسه ظلمة فى المرآة الصقيلة ، فان تراكمت ظلمة المعاصى ، صارت رينا ، كما يصير بخار النفس عند تراكمه فى المرآة خبثا ، ولا بد من محوه بالحسنات ، كما قال جل شأنه : " ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين " .(٣)

وأما الحذر عن الحرام : فيكون بالصبر عن كثير من المباح ، حذرا من أن يؤدى

---

(١) المرجع نفسه / ص ١٦٤ / بتصرف .
(٢) انظر / صحيح البخارى / جـ ٨ / ص ١٩٥ ، ١٩٦ / باب : لا يشرب الخمر كتاب : الحدود وما يحذر من الحدود / دار مطابع الشعب .
(٣) سورة : هود - آية : ١١٤ ، ١١٥ .

به ذلك الى الوقوع فى الحرام ، يشير الى ذلك الحديث الشريف الذى يرويه عطية السعدى ، " قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذرا لما به بأس " . (١)

أما الحياء فلكونه من شيم الأشراف ، وأهل النفوس الزكية ، فان صاحبه يكون أحسن حالا من أهل الخوف .
كما أن فى صاحب الحياء ، ما يدل على مراقبته لله تعالى ، وحضور قلبه معه وتعظيمه واجلاله له سبحانه ، وهذا ما ليس موجودا فى وازع الخوف .

ولذا فان من وازعه الحياء : يكون قلبه حاضرا مع الله ، مراعيا جانب الرب تبارك وتعالى .
أما من وازعه الخوف : فيكون قلبه مع العقوبة ، مراعيا جانب نفسه وحمايتها وكلا المقامين من مقامات أهل الايمان . غير أن الحياء أقرب الى مقام الاحسان وألصق به لأن صاحبه ينزل نفسه منزلة من كأنه يرى الله تبارك وتعالى ، فنبع الحياء من عين قلبه ، وهذه منزلة عظيمة عالية ، ندعو الله أن يجعلنا جميعا من أهلها . (٢)

جـ - الصبر على امتحان الله وابتلائه :

وهذا النوع من الصبر ، انما يحتمله صاحبه ، واضعا نصب عينيه عدة أمور هى :

١ - تهوين البلية لديه ، بتذكر نعم الله عليه .

---

(١) انظر / سنن الترمذى / جـ ٤ / ص ٥١ / باب : " تابع لأبواب صفة القيامة " . قال عنه : " هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه الا من هذا الوجه " .

(٢) مدارج السالكين / لابن قيم الجوزية / جـ ٢ / ص ١٦٥ / بتصرف .

٢ - انتظار روح الفرج من الله تعالى .

٣ - ملاحظة حسن الجزاء على ذلك الصبر .

وهذا تفصيل هذه النقاط .

١ - أما تهوين البليــــة :

فانما يكون بأمرين :-

أحدهما : يحاول أن يعد نعم الله عليه ، وأياديه عنده ، فاذا عجز عن عدهــا ، وأيس من حصرها ، هان عليه تحمل ما هو فيه من البلاء ، لأن نسبته الــى نعم الله عليه ، ما هي الا كقطرة الى جانب بحر .

ثانيهما : تذكر سوالف النعم التى أنعم الله بها عليه فيما مضى .

فمتى ذكر ذلك وعرف قدره ، هان عليه تحمل البلوى مهما عظمت .

٢ - انتظار روح الفرج من الله تعالى :-

ان انتظار الفرج من الله تعالى ، وترقبه وتطلعه يخفف حمل المشقة ، والصبر على البلوى ، مهما كانت عظيمة ، وخاصة عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج .

ولذا فان الصابر ، متى كان كذلك ، فانك تجده يتنسم روح الفرج فــى حشــو البلاء .

٣ - أما ملاحظة حسن الجزاء على ذلك الصبر :

فان الصابر يخف عليه ، تحمل البلاء بقدر ملاحظته للجزاء على ذلك ، والوثوق به ، لشهود العوض ، واللذة العائدة عليه بعد ذلك الابتلاء .

ولولا ذلك لتعطلت المصالح ، ولا أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة ، مقابل

ثمـــرة مؤجلـــــة .

وكما قيل : ان النعيم لا يدرك بالنعيم ،وأن من رافق الراحة ،فـارق الراحة وحصل على المشقة ، وقت الراحة فى دار الراحة .
وعموما فان ملاحظة حسن العاقبة ، تعين على تحمل الصبر ، سواء كان ذلـك اختياريا أو اضطراريا . (١)

مما سبق يتضح أن الصبر على طاعة الله تعالى ،والصبر عن معصيتـه سبحانه ، أكمل من الصبر على ابتلائه وامتحانه ،لأن الصبر فيهما صبر اختيـار وايثـار .أما الصبر على ابتلاء الله تعالى وامتحانه ، فهو صبر ضرورة ،لا مناص منه ،كصبر سيدنا أيوب وسيدنا يعقوب عليهما السلام فيما ابتلاهما الله به .

ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله :-
" كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها ،أكمل من صبره على القـاء اخوته له فى الجب ،وبيعه ،وتفريقهم بينه وبين أبيه ،فان هذه أمور جرت عليـه بغير اختياره ،لا كسب له فيها ،وليس للعبد فيها حيلة غير الصبـر .
وأما صبره عن المعصية : فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس ،ولا سيما مع الأسباب التى تقوى معها دواعى الموافقة . فان كان شابا ،وداعية الشباب اليها قويـة ، وعزبا ،ليس له ما يعوضه ويرد شهوته ،وغريبا ،والغريب لا يستحى فى بلد غربته ، مما يستحى منه ،من بين أصحابه ومعارفه وأهله . ومملوكا ،والمملوك أيضا ليـس وازعه كوازع الحر . والمرأة جميلة ،وذات منصب . وهى سيدته ، وقد غاب الرقيب

---

(١) المرجع نفسه -ص ١٦٦ ، ١٦٧/ بتصرف .

وهى الداعية الى نفسها ، والحريصة على ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته - ان لم يفعل - بالسجن والصغار . ومع هذه الدواعى كلها : صبر ، اختيارا وايثارا لما عند الله .

وأين هذا من صبره فى الجب ، على ما ليس من كسبه ؟ !. " . [١]

٣ : الصبر نصف الايمان :

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : " . . . . ان فى ذلك لآيات لكل صبّار شكور " . [٢] ذلك أن الايمان شامل ، لكل جوانب حياة الانسان . وحياته لا تخلو عن نعمة أو نقمة ، وكلتاهما تستوجب شكرا وصبرا .

ومن هنا كان الايمان موزعا بهذا الاعتبار على صبر وشكر ، وهما فى الوقت نفسه متلازمان . فالصبر على النعمة يستلزم الشكر عليها . وكذا فى النقمة ، فما من صابر على بلاء أو غيره ، الا يعد شاكرا لله . وهو سبحانه لا يمسك عنا فضله ، الا حين نطلب ما ليس لنا ، أو ما لسنا له .

أما المصائب الالهية ، فان الله يرسلها برحمة ، فيستلب فيها من الانسان احساسه أو أكثره ، ويعطيه أسباب العزاء أو أكثرها . ويهىء له من أمره ما يجعله يتلقى المصيبة بروحها ، لا بروح النعمة التى أصيب فيها . ولا يكون الا كالذى يغمض عينيه ثم ينحدر الى الأبدية ، وقد يتحطم فى مهواتها وما أحس من الآلام بشىء لأنه نائم .

---

(١) انظر/ المرجع نفسه - ج ٢ / ص ١٥٦ .

(٢) سورة : لقمان - آية : ٣١ . وفى غير سورة لقمان .

والله جل شأنه ، الذى يسلط الألم على الروح ، هو الرؤف الذى يسلط الزمن على الألم ، فيقلل من سلطانه وجبروته ، وكلما تباعد العهد بالمصيبة ، كلما خفت حدتها .

والايمان يتضمن القول والعمل والنية ، وهذه جميعها ترجع الى شطرين ، فعل وترك .

فالفعل : هو العمل بطاعة الله ، وهو حقيقة الشكر .

والترك : هو الصبر عن معصية الله . والدين كله فى هذين الشيئين .

وكما هو معلوم أن النفس لها قوتان ، قوة الاقدام ، وقوة الاحجام . وهى دائما مترددة بين أحكام هاتين القوتين ، فتقدم على ما تحبه ، وتحجم عما تكرهه .

والدين كله اقدام واحجام . اقدام على طاعة الله ، واحجام عن معصية الله . وكل هذا لا يحصل الا بالصبر ."(١)

هكذا نتعلم من الايمان ، أنه صبر وشكر ، صبر يحبس النفس ، وشكر على النعم التى أسديت الينا .

وهل فى الحياة الا خير وشر ؟ .

ومن هنا يصح أن يكون الصبر ، نصف الايمان ، بناء على ما فى الحياة من خير أو شر ، وصدق الله اذ يقول : "ان فى ذلك لآيات لكل صبّار شكور" .(٢)

---

(١) انظر / عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / للعلامة : ابن قيم الجوزية / تصحيح الناشر : زكريا على يوسف - دار الكتب العربية . ص٨٨، ٨٩ .

(٢) سورة سبأ آية ١٩ . وفى غير هذه السورة من سور القرآن الكريم .

٤ - ذكر بعض أسماء (أقسام) الصبر بالاضافة الى متعلقه :

اذا أمعنا النظر فى الصبر الذى يتحمله الانسان ، فيمكننا تقسيمه الى قسمين :-

أحدهما : بدنى .

ثانيهما : نفسى .

أولا : الصبر البدنى :- وينقسم الى :

أ - فعلى اختيارى :

وهو أن يتحمل الصابر ، المشاق ببدنه ، ويثبت على تحملها ، سواء كان ذلك من العبادات أو غيرها . وهذا النوع من الصبر ، يكون اختياريا يفعله صاحبه برغبة منه واختيار .

ب - تحملى اضطرارى :

وهذا النوع يكون بالصبر على تحمل مايشق على الجسم ، كالضرب الشديد والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة ، وما شابه ذلك .

وصاحب هذا الصبر : يكون صبره اضطراريا واجباريا ، ولذا فهو صابر لعدم استطاعته فعل شئ سواه .

وهذان القسمان من الصبر ، يكونان محمودين ، اذا وافقا شرع الله .(١)

ثانيا : الصبر النفسى : وينقسم الى :-

أ - اضطرارى :-

وهذا النوع من الصبر ، يتمثل فى صبر النفس عن محبوبها قهرا ، اذا حيل

---

(١) احياء علوم الدين / للغزالى - ج ٤ / ص ٦٦ ، ٦٧ / بتصرف .

بينها وبينه . وهو صبر اضطراري لا مفر منه ، ولا بديل عنه .

ب ـ اختيـــــاري :

وهذا النوع يتمثل في الصبر عن مشتهيات الطبع ، ومقتضيات الهـــوى ، ورغبات النفس ، المخالفة لشرع الله وأمره .

وهذا النوع من الصبر محمود ، لأن الداعي اليه ، ارضاء الله تعالـــى ، والتوقي من الوقوع في ما حرمه الله ونهى عنه .

وهو صبر اختياري ، وتختلف أسماؤه بحسب متعلقه :-

فان كان صبرا عن شهوة البطن ، وعدم التسرع الى الطعام ، أو تناول ما لا يجمل منه ، سمي : شرف نفس وشبع نفس . وسمي ضده : شرها ودناءة ووضاعة نفس.

وان كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة ، سمي : عفة . وسمي ضده : فجـــورا وزنى وعهرا .

وان كان صبرا عن فضول العيش سمي زهدا ، وسمي ضده : حرصا .

وان كان صبرا عن ما لا يجوز اظهاره من الكلام ، سمي كتمانا ، وسمي ضده : افشاء أو تهمة أو فحشا أو كذبا ، وما الى ذلك .

وان كان صبرا على قدر يكفي من الدنيا ، سمي قناعة . وسمي ضده : حرصا ، أو شراهـــة .

وان كان صبرا عن اجابة داعي الغضب ، سمي : حلما ، وسمي ضده : تسرعـــا .

وان كان صبرا عن اجابة داعي العجلة ، سمي : ثباتا ووقارا ، وسمي ضـــــده : طيشا وخفـــــة .

وان كان صبرا عن اجابة داعي الفرار والهرب من السيئة ،سمي : عفوا وصفحا، وسمي ضده : انتقاما ومعاقبة .

وان كان صبرا عن داعي الامساك والشح ،سمي جودا وكرما ، وسمي ضـــده بخـــلا .

وان كان صبرا عن داعي العجز والكسل ،سمي كيسا .

وهكذا : له عند كل فعل أو ترك ،اسم معين ،يسمى بحسب متعلقه .
والاسم الجامع لكل ذلك هو : "الصبر" .(١)

ولا غرو أن كان الصبر بكل هذه الاعتبارات وغيرها ،نصف الايمـــان .

٥ - مراتـــب الصبـــــر :

ان مراتب الصبر ،تتفاوت تبعا لتفاوت أصحاب الصبر ، وتفاوت قدرهم ، ومدى تحملهم على ما يلاقونه في حياتهم ، مما يضاد رغباتهم وميولهم .
ولهذا يمكن تقسيم مراتب الصبر الى المراتب التالية :-

المرتبـــة الأولـــى :-

مرتبة الكمال :- وهي مرتبة أولي العزائم .

وهذه المرتبة : هي الصبر لله وبالله .

فالصبر لله متعلق بألوهيته ،والصبر بالله : متعلق بربوبيته .

والصبر له عبادة ،والصبر به استعانة ،والعبادة غاية ،والاستعانة وسيلـــة ،

---

(١) عدة الصابرين / لابن قيم الجوزية - ص ١١ / دار المكتبة العلمية / بتصرف .

والغاية مرادة لنفسها ، والوسيلة مرادة لغيرها .

والصبر به سبحانه : مشترك بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، فكل من شهد الحقيقة الكونية ، صبر به .

والصبر له : منزلة الرسل والأنبياء والصديقين ، وأصحاب مشهد : " اياك نعبد واياك نستعين " .

والصبر له : صبر فيما هو حق له ، محبوب مرضى له .

والصبر به : قد يكون فى ذلك ، وقد يكون فيما هو مسخوط له ، أو مكروه أو مباح .

فالصابر فى هذه المرتبة : انما يكون صبره ، مبتغيا به وجه الله ، صابرا به سبحانه متبرئا من حوله وقوته هو . ولهذا كان أقوى مراتب الصبر وأرفعها .

المرتبة الثانية :-

من فيه صبر لله : - لكنه ضعيف النصيب من الصبر بالله والتوكل عليه والثقة به والاعتماد عليه سبحانه .

فهذا له عاقبة حميدة ، لكنه ضعيف عاجز مخذول فى كثير من مطالبه ، لضعف نصيبه من : " اياك نعبد واياك نستعين " .

فنصيبه من الله ، أقوى من نصيبه بالله . وهذا حال المؤمن الضعيف .

المرتبة الثالثه :

من فيه صبر بالله ، وهو مستعين به سبحانه ، متوكل على حوله وقوته ، متبرئ من حوله - هو - وقوته . ولكن صبره ، ليس لله ، اذ ليس صبره فيما هو مراد

الله الدينى منه . فهذا ينال مطلوبه ويظفر به ، ولكن لا عاقبة له ، بل ربما كانت عاقبته ، شر العواقب ، وفى هذا المقام ، خفراء الكفار ، وأرباب الأحوال الشيطانية ، فان صبرهم بالله ، لا لله ، ولا فى الله ، ولهم من الكشف والتأثير بحسب قوة أحوالهم ، وهم من جنس الملوك الظلمة ، فان الحال كالملك يعطاه البر والفاجر ، والمؤمن والكافر .

المرتبة الرابعة :-

أن يكون صبره لغير الله : بمعنى أنه لا يصبر لله تعالى ، ولا يصبر بالله .

وهذه أخس المراتب . وهذا صبر أردأ الخلق - والعياذ بالله من ذلك - وصاحبه جدير بكل خذلان ، وبكل حرمان . (١)

ويمكن اجمال ماسبق فيمايلى :-

١ - صابر لله وبالله : - وهذا حال المؤمن القوى ، ومن المعلوم أن المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

ومن هذا حاله ، فهو قوى محمود العاقبة ان شاء الله تعالى .

٢ - صابر لله : و هذا حال المؤمن الضعيف ، وحاله محمود ، لكنه ضعيف عاجز .

٣ - صابر بالله : وهذا حال الفاجر القوى ، وهذا قد يثمر صبره ، لكن عاقبته مذمومة .

---

(١) مدارج السالكين / لابن القيم - جـ ٢ / ص ١٦٩ : ١٧٠ / بتصرف .

٤ - صابر لغير الله :- وهذا حال الفاجر الضعيف ، وهو مذموم مخذول ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

٦ : تفسير جزء الآية الكريمة :

قال تعالى : " واصبرعلى ماأصابك " :-
أى : عليك بالتسلح بالصبر ، على ما تلاقيه من المحن والشدائد وخاصة فيما أمرتبه من اقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد جاءت الوصية بالصبر فى هذه الأشياء الثلاثة بصفة خاصة ، لأهميتها وعلو شأنها .

فأما فى الصلاة : فلأن اتمام الصلاة والمحافظة عليها فى أوقاتها بكل أركانها وواجباتها وسننها ، قد يشق ، ولذا قال تعالى : " وانها لكبيرة الا على الخاشعين " (١) .

أما لصبر فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : فان الحاجة الى ذلك فيهما ظاهرة لما قد يلاقيه الآمر بهما من الغير ، من الأذى والمتاعب والعقبات .
وقال ابن جبير : أن معنى : " واصبرعلى ماأصابك " . أى : فى أمر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول : اذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر ، وأصابك فى ذلك أذى وشدة ، فاصبر عليه" (٢) .

وقوله : " ان ذلك من عزم الأمور " :-
أى : الصبر على ما أصابك . وفى اسم الاشارة " ذلك" مافيه من معنى البعد ،

---

(١) سورة : البقرة : آية : ٤٥ .
(٢) روح المعانى / للألوسى / ج ٢١/ ص ٨٩ / بتصرف .

للاشعار ببعد منزلته فى الفضل . والتفسير بهذا المعنى ، يتناسب مع افراد اسم الاشارة .

وقيل : يكون المعنى : اشارة الى الصبر ، والى سائر ما أمر به . (١)

قلت : كلا المعنيين يحتملهما اللفظ ، ولا داعى لترجيح أحدهما على الآخر ، غير أن الاول فيه اشارة الى علو منزلة الصبر والحث عليه فى جميع الأمور .

وقوله : " من عزم الأمور " :-

أى : من الأمور الواجبة المعزومة ، أى : المقطوعة ، ويكون المصدر ، بمعنى : المفعول ، كما تقول : أكلى فى النهار رغيف خبز ، أى : مأكولى . (٢)

وفى روح المعانى : " وجوز أن يكون العزم ، بمعنى : الفاعل : أى : عازم الأمور ، من : عزم الأمر ، أى : جد فعزم الأمور ، من باب الاسناد المجازى ، كمكر الليل ، لا من باب الاضافة ، على معنى : فى . وان صح .

وقيل : يريد مكارم الأخلاق ، وعزائم أهل الحزم ، السالكين طريق النجاة .

واستظهر أبوحيان ، أنه أراد : من لازمات الأمور الواجبة .

ونقل عن بعضهم : أن العزم هو : الحزم ، بلغة هذيل ، والحزم والعزم أصلان ، وما قاله المبرد : من أن العين قلبت حاء ، ليس بشىء ، لاطراد تصاريف كل من اللفظين ، فليس أحدهما أصلا للآخر .

والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق ، وفيه اعتناء بشأنه " . (٣)

---

(١) المرجع السابق / جـ ٢١ / ٨٩ / بتصرف .
(٢) انظر / التفسير الكبير / للرازى / جـ ٢٥ / ص ١٤٩ .
(٣) انظر / روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ص ٩٠ .

والأمور ، هى : الشئون . وهكذا كل جمع لهذه المادة على هذه الصيغة يراد به الشئون . أما الأمر التكليفى ، فيجمع على " أوامر"، لا على أمور ، فهو من باب : قول الله تعالى : " ألا له الخلق والأمر" .

أما قوله : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان" : فهو من باب : الأمر التكليفى .

وعندى : أن الآية وان اقتصرت على ذكر ثلاثة عناصر هى : الأمر باقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، الا أنها قد احتوت على السعادة الدنيوية والأخروية ، لأن هذه العناصر الثلاثة ، تعتبر فى حقيقتها ، جامعة لكل أنواع الخير، وطرق الفضيلة ، فانها قد اشتملت على الكمال والتكميل . الكمال فى النفس وهو أول الأمرين وأهمهما والتكميل فى الغير ، ويأتى فى الدرجة الثانية .

ومتى كان المرء كاملا فى نفسه ، ومكملا لغيره فقد بلغ درجة عالية من الفضيلة والصلاح ، لا يصل اليها الا من سعد بتوفيق الله ورعايته .

الفصـــل الثامـــن

فى تفسير قوله تعالى

" ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختـال فخـــــــــور" .

تدور هذه الآية الكريمة حول عنصرين هامين هما :-

أ - ذم الكبر . ب : مدح التواضع .

ويتم البحث فيهاعلى النحو الآتى :-

١ - معنى التصعير .

٢ - " الخـد .

٣ - " المـرح .

٤ - ليس المراد حصر الكبر فى المشى ، بل له صور أخرى .

٥ - دخول النفى على صيغة العموم .

٦ - معنى : الاختيال والفخور .

٧ - مقتضى النهى .

٨ - مفهوم النهى فى هذا الموضع ، وهو : " التواضع" .

٩ - حقيقة الكبر وذمه .

١٠ - علة ذلك وهو : أن الكبر لله وحده .

١١ - مع المفسرين .

وهذا هو التفصيل :-

نذكتا ح هذه النقط الهذا المطلول

١ - معنـــى التصعيـــــر:

الصعر : ميل فى الوجه . وقيل : الصعر : الميل فى الخد خاصـة ، وربما كان خلقة فى الانسان .

وقيل : هو ميل فى العنق ، وانقلاب فى الوجه الى أحد الشقين ، وقد صعّـر خده ، وصاعره : أماله من الكبر ، قال الشاعر :-

وكنا اذا الجبار صعّر خده .:. أقمنا له من ميله فتقومـــا

يقول : اذا أمال متكبر خده للناس ، أذللناه حتى يتقوم ميله .

وقيل : الصعر : داء يأخذ البعير فيلوى منه عنقه ويميله .

ويقال للمتكبر : فيه صعر وصيد .

والتصعير : امالة الخد عن النظر الى الناس تهاونا ، من كبر ، كأنـه معرض ، وفى الحديث : " يأتى على الناس زمان ليس فيهم الا أصعر أو أبتر" . يعنى :- رذالة الناس ، الذين لا دين لهم . وقيل : ليس فيهم الا ذاهـب بنفسه أو ذليل" .

وقال ابن الأثير : " الأصعر : المعرض بوجهه كبرا . وفى حديث عمار : " لا يلى الأمر بعد فلان الا كل أصعر أبتر" . أى : كل معرض عن الحق ناقص . ولأقيمن صعرك : أى : ميلك .(١) وفى حديث توبة كعب وصاحبيه : ... قال كعب : فقـلّ رجل يريد أن يتغيب ، يظن أن ذلك سيخفى له ، ما لم ينـزل فيه وحى من الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حيـن

---

(١) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٣ / ص ٤٥٦ / بيروت / ٨٨ هـ ١٩٦٨م بتصـــرف .

طابت الثمار والظلال ، فأنا اليها أصعر "(١) الحديث .

والمعنى : فأنا اليها أميل .(٢)

٢ : معنـــى الخـــــد :

الخد والخدان : جانبا الوجه ، وهما : ما جاوزا مؤخر العين الـــى منتهى الشدق .

وقيل : الخد من الوجه : من لدن المحجر الى اللحى ، من الجانبين جميعا ، ومنه : اشتق اسم المخدة بالكسر ، وهى : المصدعة ، لأن الخد يوضع عليها .

وقيل : الخدان : اللذان يكتنفان الأنف عن يمين وشمال ، وقال اللحيانـــى : هو مذكر لا غير ، والجمع : خدود ، لا يكسر على غير ذلك .

وقال الأصمعى : الخدود فى الغبط والهوادج : جوانب الدفتين عن يمين وشمال ، وهى : صفائح ، خشبها ، الواحد خد . والخد والخدة والاخدود : الحفرة تحفرها فى الأرض مستطيلة .

وفى التهذيب : الخد : جعلك أخدودا فى الأرض تحفره مستطيلا ، يقـــال : خدّ خدّا ، والجمع : آخاديد .(٣)

---

(١) انظر / صحيح مسلم / بشرح النووى / جـ١٧ / ص ٨٨ / كتاب التوبة / باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه / الطبعة الثانية -٩٢ هـ ٧٢م

(٢) انظر / المرجع السابق / الشرح / جـ١٧ / ص ٨٩ / كتاب التوبة / باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه / الطبعة الثانية ٩٢ هـ - ٧٢ م .

(٣) لسان العرب ـ لابن منظور / مجلد ٣/ ص ١٦٠ / بيروت ، ٨٨ هـ ، ٦٨ م / بتصرف .

٣ : معنـــى : المـــرح :

المرح : شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ، وقد أمرحه غيـــره .

وقيل : المرح : التبختر والاختيال ، وفي التنزيل : " ولا تمش في الأرض مرحا " [١] .

أي : متبخترا مختالا .

وقيل : المرح : الأشر والبطر ، ومنه قوله تعالى : " ذلكم بما كنتم تفرحون فـــي الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون " [٢] . [٣]

وقال الراغب الأصبهانـي : المرح : شدة الفرح والتوسع فيه [٤] .

العنوان الأدق وضوحا : " المراد في الكبر عموما ، لا في المشي فقط " .

٤ : ليس المراد حصر الكبر في المشي ، بل له صور أخرى :

لقد جاء الاسلام بكل ما من شأنه سعادة للبشرية ، متى تمسكت بتعاليمه وسارت على نهجه ، واتبعت هداه ، ومن بين ذلك ، الحث على مكارم الاخلاق والتخلق بالاخلاق الحسنة ، لما في ذلك من آثار حميدة وفوائد عظيمة .

وقدوتنا في ذلك حبيبنا وسيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصـــلاة وأتم التسليم ، حيث قال فيه المولى تبارك وتعالى : " وانك لعلى خلق عظيم " [٥] .

---

(١) سورة : الاسراء آية : ٣٧ .

(٢) سورة : غافر آية : ٧٥ .

(٣) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٢ / ص ٥٩١ / بيروت / ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م / بتصرف يسير .

(٤) المفردات في غريب القرآن / للراغب الاصبهاني / ص ٧٠٦ / كتاب الميم .

(٥) سورة القلم - آية : ٤ .

وكما حث الاسلام على الأخلاق الفاضلة وأمر بها، فقد نهى عن الاخلاق الذميمة وأمر باجتنابها، ومما نهى عنه الاسلام وأمر باجتنابه وحذر من الوقوع فيه، الكبر. فقد حاربه الاسلام فى مختلف صوره وأوضاعه، لأنه شذوذ فى الانسان، عن وضعه اللائق به، وجهل منه لحقيقة نفسه، فعلى من يتكبر يا ترى ؟!

ان كان على انسان، فهو مثله، وان كان على غير انسان، فلن يتأتى ذلك منه، لأنه سفه. وما يتميز به بعض الناس عن غيرهم فى ناحية، ينقص عنهم شىء آخر فى ناحية أخرى.

قال بعض الحكماء: "ان الزيادة المسرفة فى جهة من العقل، تأتى من النقص المتحيف الى جهة أخرى، وانه رب عقل كان تاما عبقريا فى أمور لأنه ضعيف أبله فى غيرها".

ثم ان الكبر من صفات الخالق، فماينبغى للمخلوق أن يتطاول اليه. وخير سبيل أن يعرف الانسان نفسه بنفسه، وأن يعرف غيره على منوال ما عرف نفسه، وحينئذ سيقتنع بأن ما يتكبر به، عرض زائل، وربما يفتقد الكثير مما يستمتع به غيره، فعدل الله قائم فى عباده، وزع بالسوية، بمقاييس كثيرا ماتخفى علينا.

٥ : دخول النفى على صيغة العموم :

(الأول)

اذا دخل النفى على صيغة العموم نحو قوله: "ان الله لا يحب كل مختال فخور". ظاهره: أنه لسلب العموم، لتقدم السلب على صيغة العموم "كل". وهى لا شك من صيغ العموم، ان أضيفت الى النكرة، استغرقت الافراد

كما فى هذه الآية ،وان أضيفت الى المعرفة ، استغرقت الأجزاء ،نحو قـول القائل : " كلّ الرمان أكلت " ، فهو غير صادق ،لأنه لم يأكل القشر .

اذا كان الأمر كذلك ،فان ظاهر الآية ينتج أن بعض المختالين ، يحبهم الله ،لأن النفى ،سلب العموم ،وسلب العموم يبقى بعض الأفراد .

ويجاب عن هذا : بأن هذا الاستنتاج ،يعرف من المفهوم ،وشرط العمل به ألا يعارض بالمنطوق ،وقد قامت الأدلة على بغض الله لكل فرد مختال فخور من غير استثناء .

فسلب العموم هنا ،يساوى عموم السلب ،فكأنه قال : " كل مختال لا يحبه الله" .

أو : نجعل النفى منصبا على كل فرد ،لا على المجموع فتكون النتيجة :-

" ان الله لا يحب أى فرد كان مختالاً فخوراً" .

٦ : معنى : الاختيال والفخــــور : والفخر

أ : الاختيـــال :

المختال : المتكبر . قال أبواسحاق : المختال : الصليف المتباهى الجهـــول الذى يأنف من ذوى قرابته ،اذا كانوا فقراء ،ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ، ولا يحسن عشرتهم .

وفى الحديث الشريف : "عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من جرّثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة . قال أبو بكـــر : يا رسول الله : ان أحد شقى ازارى يسترخى ،الا أن أتعاهد ذلك منـــه ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لست ممن يصنعه خيلاء" . (١)

والخُيلاء والخِيلاء : بالضم والكسر : الكبر والعجب . وفي حديث جابر ابن عتيك : " .. وان من الخيلاء ما يبغض الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التي يحب الله ، فاختيال الرجل نفسه عند القتال ، واختياله عند الصدقة ، وأما التي يبغض الله عز وجل فاختياله في البغي" . (٢)

أما عند القتال : فان الرجل يتقدم فيها بنشاط وقوة ونخوه وجنان وشجاعة وثبات .

وأما الصدقة : فانه تهزه أريحية السخاء ، فيعطيها طيبة بها نفسه ، ولا يستكثر كثيرا ، ولا يعطي منها شيئا الا وهو له مستقل . (٣)

ب : الفخور :

الفخر والفخر : مثل : نهر ونهر . والفخر والفخار والفخارة والفخّيرى والفخّيراء : التمدح بالخصال والافتخار وعدّ القديم .

والتفاخر : التعاظم . والتفخر : التعظم والتكبر .

والفخور : المتكبر . وفاخره ففخره يفخره فخرا : كان أفخر منه وأكرم أبا وأما .

وعند ابن السكيت : فخر فلان اليوم على فلان في الشرف والجلد والمنطق :

---

(١) انظر / صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري / جـ ٧ / ص ١٨٢ / كتاب اللباس / باب من جر ازاره من غير خيلاء / مطابع الشعب .

(٢) انظر / سنن ابي داوود / جـ ٢ / ص ٤٧ / كتاب الجهاد / باب في الخيلاء والحرب / الطبعة الاولى / ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢م .

(٣) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ١١ / ص ٢٢٨ / بيروت / ٨٨هـ - ٦٨م .

أى : فضل عليه .

وفى الحديث الشريف : " عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ ، آدم فمن سواه ، الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر " . . . الخ الحديث . وقال بعد نهاية الحديث : هذا حديث حسن . (١)

والفخر : ادعاء العظمة والكبر والشرف . والمعنى : لا أقوله تبجحا ، ولكن شكرا لله وتحدثا بنعمه سبحانه . (٢)

قلت : وأرى أن الجمع بين مختال وفخور مع تقاربهما فى المعنى ، يفيد أن : المختال : من تعاظم فى نفسه .

والفخور : من تعاظم على غيره . والله أعلم بأسرار كتابه .

٧ : مقتضى النهـــى :

تلخيص مرجعى ! ١٢ ، صفحة ٣ ولا اذوم ؟

المراد بالنهى ، عدم الفعل وهو أمر عدمى . كما أن المراد بالأمـر : ايجاد الفعل وهو أمر وجودى . وعلى هذا ، يكون متعلق الأمر الايجاد ، ومتعلق النهى : الاعدام أو العدم ، وهو أمر لا كمال فيه ، لأن العدم من حيث هو عدم ، لا كمال فيه ولا مصلحة الا اذا تضمن أمرا وجوديا مطلقا ، وذلك الأمر الوجودى مطلوب مأمور به ، فعاد حقيقة النهى الى الأمر . وأن المطلـوب به ما فى ضمن النهى من الأمر الوجودى المطلوب به .

---

(١) انظر / الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذى / جـ ٤ / ص ٣٧٠ أبواب تفسير القرآن / الطبعة الثانية / ٩٤ هـ ، ٧٤ م رقم الحديث / // ٥١٥٦ //

(٢) لسان العرب لابن منظور مجلد ٥ ص ٤٨ ، ٩ ، ٤ بيروت ٨٨ هـ ، ٦٨ م بتصرف .

وقد اختلف فى المطلوب بالنهى الى عدة أقوال :-

أحدها : قول الجمهور : وهو :
أن المطلوب به ، كف النفس عن الفعل ، وحبسها عنه ، وهو أمر وجودى لأن التكليف انما يتعلق بالمقدور ، والعدم المحض غير مقدور .

ثانيها : قال أبوهاشم وغيره : المطلوب : عدم الفعل ، ولهذا يحصل المقصود من بقائه على العدم ، وان لم يخطر بباله الفعل ، فضلا أن يقصد الكف عنه ، ولو كان المطلوب الكف ، لكان عاصيا اذا لم يأت به . ولأن الناس يمدحون بعدم فعل القبيح ، من لم يخطر بباله فعله والكف عنه .

ولهذا يرى القاضى أبوبكر : أن عدم الفعل ، مقدور للعبد وداخل تحت الكسب ، ويقول : فى أحد قوليه : المقصود بالنهى : الابقاء على العدم الأصلى وهو مقدور .

ثالثها : المطلوب بالنهى ، فعل الضد ، فانه هو المقدور ، وهو المقصود للناهى فانه انما نهاه عن الفاحشة طلبا للعفة ، وهى : المأمور بها ، ونهاه عن الظلم طلبا للعدل المأمور به ، ونهاه عن الكذب ، طلبا للصدق المأمور به . وهكذا جميع المنهيات .

فحقيقة النهى عند هؤلاء : أنه الطلب لضد المنهى عنه . فعاد الأمر الى أن الطلب انما تعلق بفعل المأمور .

والتحقيق أن المطلوب نوعان :

١ - مطلوب لنفسه : - وهو المأمور به .

٢ - مطلوب اعدامه : وهو المنهى عنه ، لما فيه من المفسدة المضادة للمأمور به .

فاذا لم يخطر ببال المكلف ، ولا دعته نفسه اليه ، بل استمر على العدم الأصلي ، لم يثب على تركه. وان خطر بباله وكف نفسه عنه لله ، وتركه اختيارا ، أثيب على كف نفسه وامتناعه فانه فعل وجودى ، والثواب انما يقع على الأمر الوجودى ، دون العدم المحض . وان تركه مع عزمه الجازم على فعله ، لكنه تركه عجزا ، فهذا وان لم يعاقب عقوبة الفاعل فهو يعاقب على عزمه وارادته الجازمة ، التى انما تخلف مرادها عجزا .

وقد دلت النصوص الكثيرة على ذلك ، فلا يلتفت الى ما خالفها .

ومن ذلك قوله تعالى : " وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير" (١) .

وقوله سبحانه فى كاتم الشهادة : " ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه" (٢) .

وقوله سبحانه " ولكن يوءاخذكم بما كسبت قلوبكم " (٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " اذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا : هذا القاتل ، فمابال المقتول ؟ . قال : انه أراد قتل صاحبه " (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر الذى يرويه أبوكبشة الانمارى ، وفيه : " ورجل آتاه الله مالا ولم يوءته علما فهو يخبط فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يوءته الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لوكان لى مال مثل هذا ، عملت فيه مثل الذى يعمل ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهما فى الوزر سواء" (٥) .

---

(١) سورة البقرة - آية : ٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة - آية : ٢٨٣ .

(٣) سورة البقرة - آية : ٢٢٥ .

(٤) صحيح البخارى / ج ١ / ص ١٥ / باب : وان طائفتان من الموءمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما / كتاب الايمان - دار مطابع الشعب .

(٥) انظر / مسند الامام احمد / ج ٤ / ص ٢٣٠ / المكتب الاسلامى / بيروت .

أما قول الفريق الثالث : وهو أن المطلوب بالنهى فعل الضد :-

فهو ليس كذلك : لأن المقصود عدم الفعل والتلبس بالضدين . فان مالا يتم الواجب الا به ،غير مقصود بالقصد الاول ،وان كان المقصود بالقصد الاول ، المأمور الذى نهى عما يمنعه ويضعفه ، فالمنهى عنه مطلوب اعدامه ، طلب الوسائل والذرائع ، والمأمور به مطلوب ايجاده ، طلب المقاصد والغايات .

أما قول أبى هاشم ومن وافقه :

ان تارك القبائح ، يحمد على ذلك ،وان لم يخطر بباله كف النفس : ففى هذا تفصيل : وهو : ان أراد بحمده : أنه لا يذم ،فصحيح ، ما ذهب اليه .

وان أراد : أنه يثنى عليه بذلك ،ويستحق الثواب والأجر ،فغير صحيح . فان الناس لا يحمدون المجبوب على ترك الزنا ، ولا الأخرس على عدم الغيبة والسب والشتم . وانما يحمدون القادر الممتنع ،عن قدرة وداع الى الفعل .

أما قول القاضى : أن الابقاء على العدم الأصلى مقدور :-

فيحتاج أيضا الى تفصيل : وهو :

ان أراد بذلك ، كف النفس ومنعها ، فصحيح .

أما اذا كان يريد : مجرد العدم ، فليس كذلك . (١)

٨ : مفهوم النهى فى هذا الموضع : وهو : التواضع :

سيتم البحث فى هذه الفقرة على النحو التالى :-

أ - معنى التواضع فى اللغة .

ب - ايراد بعض الأقوال فى التواضع والتعليق عليها .

---

(١) الفوائد / لابن قيم الجوزية / ص ١٢٠ : ١٢٢ / بتصرف يسير .

أ - التواضع فى اللغــة : هو التذلل . وتواضع الرجل : ذل .

وتواضعت الأرض : انخفضت عما يليها .

وقال الأصمعى : المتواضع : هو المتخاشع . تراه من بعيد لاصقا بالأرض.(١)

وتواضع الرجل تواضعا : أى : تذلل وتخاشع ، وهو ضد تكبر .(٢)

ب - ايراد بعض الأقوال فى التواضع :-

يراجع معنى التواضع عند ابن الأثير في النهاية وفي المفردات للراغب

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع ، فقال : التواضع أن يخضع للحــق وينقاد له ، وأن يقبله ممن قاله .

وقال الجنيد : التواضع ، خفض الجناح ، ولين الجانب .

وقال ابن عطاء : هو قبول الحق ممن كان .(٣)

قلت : وهذه الأقوال جميعها ، تفيد معنى واحدا ، وتصل بصاحبها الى نتيجة واحدة ، وان تغايرت بعض ألفاظها أو زاد بعضها على البعض الآخر .

والنتيجة هى وصول المتواضع الى درجة يرى نفسه فيها أنه دون ما صنع .

أما مجالات التواضع فهى متعددة ، فهناك التواضع فى الدين ، و التواضع فى الحياة على تعدد جوانبها ، ومن أثبت لنفسه تواضعا ، فهو المتكبر حقا ، اذ ليس التواضع الا عن شهود رفعة ، كان يستحقها وأنه تنازل عنها الى مادونها . فمتى أثبت لنفسه رفعة فى ضمن اثبات التواضع ، فقد تكبر حقيقة .

---

(١) لسان العرب/ لابن منظور/ مجلد ٨/ ص٣٩٧/ بتصرف - دار بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

(٢) محيط المحيط / بطرس البستانى / ص ٩٧٤ / مكتبة لبنان /بيروت / ١٩٧٧م .

(٣) مدارج السالكين / لابن القيم - جـ ٢ / ٣٢٩ .

وليس المتواضع الذى اذا تواضع ، رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع هو الذى اذا تواضع ، رأى نفسه أنه دون ما صنع ، وحقيقة ذلك أن المتواضع لا يثبت لنفسه تواضعا ، لأنه يرى من خمول ذكره وقلة شأنه ما يمنعه من ذلك . ومن كان هذا حاله ، فلو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء ، لم يثبت لنفسه تواضعا لأنه يرى نفسه دائما دون ما صنع من ذلك ، والسبب فى ذلك ، غلبة ذلك الشهود عليه . أما اذا أثبت ذلك لنفسه ، ورأى أنها فوق ما صنع ، مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه ، فهو متكبر حقيقة .

والتواضع الحقيقى ، هو ما كان ناشئا عن شهود عظمة الخالق تبارك وتعالى وتجلى صفاته على هذا العبد المسكين ، لأنه سبحانه ما تجلى لشىء الا خضع له وذل وانكسر .

وبهذا ينقطع من النفس كل تطلعاتها وأمانيها الى الكبر . ولذلك قال بعض العارفين : لا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند هذا تصفو نفسه وتزكو عن الكبر والعجب . (١)

٩ : حقيقة الكبـــر ونـ ـمـــــه :

الكبر : بالكسر : هو العظمة .

والكبير فى صفات الله تعالى : العظيم الجليل . والمتكبر : الذى تكبر عن ظلم عباده . وقيل : المتعالى عن صفات الخلق .

---

(١) الحكم / لابن عطاء الله السكندرى / جـ ٢ / ص ٦٢ ، ٦٣ / الطبعة الأخيرة - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

وقيل : الكبرياء : العظمة والملك . وقيل : هى عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ، ولا يوصف بها الا الله تبارك وتعالى .(١)

أما اذا نظرنا الى الكبر الذى يتخلق به بعض الناس -والعياذ بالله- فيمكن أن نقسمه الى باطن وظاهر.

فأما الباطن : -فهو خلق فى النفس .

وأما الظاهر : فهو أعمال تصدر عن الجوارح .

واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، لأن أعمال الجوارح ما هى الا ثمرات لذلك الخلق ولذلك اذا ظهر الكبر على الجوارح يقال : تكبر . أما اذا لم يظهر ، فيقال : فى نفسه كبر .

فالأصل هو الخلق الذى فى النفس . وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه .

ولهذا فان الكبر ، يستدعى : متكبرا ، ومتكبرا عليه ، ومتكبرا به .

والمتكبر بهذه الحالة ، يستعظم نفسه ويرى لها مرتبة تعلو مرتبة المتكبر عليه ، ولهذا تجده ينظر الى غيره نظرة ازدراء واحتقار ، يترفع عن مجالسته ، ويرى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه ، وربما استنكف عن استخدامه ، ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ، ولا باستخدامه فى قضاء حوائجه ، أما اذا حاجه أحد ، أو ناظره ، فانه يأنف أن يرد عليه ، وان وعظ استنكف من القبول ، وان وعظ ، عنّف واشتد فى النصح(٢) ... الخ .

---

(١) لسان العرب -لابن منظور / مجلد ٥ / ص ١٢٥ / بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

(٢) احياء علوم الدين / للغزالى / جـ ٣ / ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ / بتصرف .

والحقيقة أن الأعمال الصادرة عن خلق الكبر ، كثيرة .

ولسوء خلق الكبر والعواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك ، ورد تحريمه ، بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ومن ذلك مايلى :-

أولا : القرآن الكريم :

ورد كثير من الآيات القرآنية ، تحرم الكبر تحريما قاطعا ، ومن ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر ما يلى :-

١ - قال الله تعالى : " سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين " . (١)

٢ - قوله تعالى عن ابليس اللعين ، لما تكبر عن الامتثال لأمر الله تعالى ، حين أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، حيث قال تعالى - والخطاب موجه الى ابليس اللعين :

" قال فاهبط منها فمايكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين " . (٢)

٣ - قوله تعالى : " وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليّا ولا نصيرا " . (٣)

٤ - قوله تعالى : " انه لا يحب المستكبرين " . (٤)

---

(١) سورة الاعراف - آية : ١٤٦ .
(٢) " " " ١٣ .
(٣) " النساء " ١٧٣ .
(٤) " النحل " ٢٣ .

٥ - قوله تعالى : " الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين " . (١)

٦ - قوله تعالى : " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين " . (٢)

أما الأحاديث الدالة على ذم الكبر والنهى عنه ، فهى كثيرة أيضا ، ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر ما يلى :-

١ - عن معبد بن خالد قال : "سمعت حارثة بن وهب الخزاعى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر ." (٣)

٢ - عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال : النبى صلى الله عليه وسلم ، تحاجت الجنة والنار : فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : ما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم .

قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى .

ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار ، فلا تمتلىء حتى يضع رجله ، فتقول :

---

(١) سورة النحل آية ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) " غافر " ٦٠ .

(٣) انظر : صحيح البخارى / ج ٦ ص١٩٧ / باب عتل بعد ذلك زنيم - كتاب تفسير القرآن / مطابع الشعب .

قط قط قط . فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله عز وجل ، ينشئ لها خلقا". (١)

٣ - عن عبد الله قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان" . هذا حديث حسن صحيح" . (٢)

٤ - عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ، من نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم" . (٣)

٥ - عن عياض بن حمار ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه خطبهم فقال : ان الله عز وجل أوحى الىّ ، أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد". (٤)

٦ - عن اياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الرجل يذهب بنفسه ، حتى يكتب فى الجبارين ،

---

(١) انظر : صحيح البخارى / جـ ٦ / ص ١٧٣ / باب : وتقول هل من مزيد كتاب تفسير القرآن / مطابع الشعب .

(٢) انظر : الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذى / جـ ٣ / ص ٢٤٣ / باب ما جاء فى الكبر / الطبعة الثانية / رقم الحديث " ٢٠٦٦" .

(٣) انظر / سنن ابن ماجه / للحافظ محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه / جـ ٢ / ص ١٣٩٧ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء الكتب العربية .

(٤) انظر / سنن ابن ماجه / للحافظ محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه / جـ ٢ ص ١٣٩٩ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء الكتب العربية .

فيصيبه ما أصابهم " . هذا حديث حسن غريب". (١)

١٠ : علـــة ذم الكبـــــــر :

لما خلق الله الخلق ، خلقهم لحكمة ، واقتضت حكمته سبحانه ، أن يكونـوا عبيده ، فهو سبحانه خالقهم وهو مولاهم ، المتصرف فيهم كيف يشاء ، له العـــزة والكبرياء والعظمة والجبروت ، متصف بصفات الكمال جميعها . فلا كبرياء ولا عظمة ولا كمال الا لله سبحانه . "عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائي والعظمة ازارى من نازعني واحدا منهما ألقيته فـي جهنـــم" .

فالحديث دليل واضح ، أنه لا كبرياء ولا عظمة الا لله تعالى ، وأن مـــن حدثته نفسه فاتصف بشيء من ذلك فان مصيره الى النار ، الا أن يتغمده اللـــه برحمته وعفوه . وقد تظافرت (تضافرت) الآيات والأحاديث بذم الكبر وذم أهله ، وقد ذكرت ذلك في موضع سابق .

لذا وجب على جميع الخلق أن يتواضعوا وألا يفخر أحد على أحد ، وأن يكونوا جميعا عباد الله اخوانا فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ، ولا عزة الا بالايمـان الصادق والعمل الصالح ، ولا كبرياء ولا عظمة ولا كمال الا لله وحده .

مما سبق يمكننا القول بأن علة ذم الكبر هي : أن الكبر لله وحده . ولا يليق بأي انسان أن يتصف بهذه الصفة أو يتخلق بها لأنها خاصة بالله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر/ الجامع الصحيح / محمد بن عيسى الترمذي / جـ ٣/ ص ٢٤٤/ باب ما جاء في الكبر - الطبعة الثانية - ٩٤ هـ ، ٧٤ م - رقم الحديث" ٢٠٦٨".

وكيف يليق بهذا العبد المخلوق أن يتخلق بصفة الكبر ؟ ! وعلى من يتكبر ؟ على عبد مثله .

نعوذ بالله من الكبر وأهله ، ومن كل ما يغضب الله تعالى .

هـ/١ إعراب وتفسير

١١ : مـــع المفســـرين :

قال تعالى : " ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان اللـــه لا يحب كل مختال فخور ."

ولا : الواو : حرف عطف .

لا : تفيد طلب الترك ، وهي جازمة للفعل المضارع (١) ، وهو هنا : " تصعّـــر"

للناس : اللام يأتي لمعان كثيرة ، وهو يفيد هنا معنى : " العلة" والمعنـــى : ولا تصعر خدك لأجل الاعراض عن الناس . (٢)

ولا : كسابقتهـــا .

في : حرف جر ، وله عشرة معان : (٣)

والذى يهمنا هنا ، هو مايتعلق بالآية الكريمة وهو : حرف جر ، يفيد الظرفية المكانيـــة .

انّ : حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر (٤) . واسمها لفظ الجلالة ، وخبرهـــا : الجملة التي بعده .

---

(١) انظر / مغني اللبيب / لابن هشام / جـ ١ / ٢٤٦ .

(٢) انظر / روح المعاني / للألوسي / جـ ٢١ / ٩٠ .

(٣) انظر / مغني اللبيب / لابن هشام / جـ ١ / ١٦٨ .

(٤) انظر / المرجع السابق / جـ ١ / ٣٧ .

كل : اسم موضوع لاستغراق أفراد النكرة.(١) وهذا هو الذى يتعلق بالآيـــة الكريمة ، ومعناها على هذا : أنها تستغرق جميع أفراد من يتصف بالاختيـــال والفخور .

معنى الآية الكريمـــة :

قال تعالى : " ولا تصعر خدك للناس" : .

السبع الوبه محمد

ذكر الطبرى أن قوله : " ولا تصعّر " : فيه قراءتان : هما :-

الاولى : " ولا تصعر " . على مثال : " تفعّل " . وقرأ بها بعض قراء الكوفـــة والمدنيين والكوفيين .

الثانية : " ولا تصاعر " : على مثال : "تفاعل" . وقرأ بها بعض المكيين وعامة قـــراء المدينة والكوفة والبصرة .

وقال رحمه الله : أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فمصيب .

وتأويل الكلام : -ولا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرا واستحقارا له .

كما ذكر رحمه الله ، للصعر معنيين هما :-

١ - أن الصعر ، هو : الاعراض والصدود والتكبر والاحتقار لعباد الله .

٢ - أن الصعر ، هو : التشديق أو التشدق .(٢)

---

(١) انظر / المرجع السابق / جـ ١ / ١٩٣ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن / لابن جرير الطبرى / جـ ١٨ / ص ٧٤ ، ٧٥ / الطبعة الثالثة / ٨٨ هـ / ٦٨م / مطبعة البابى الحلبى بمصـــر / بتصرف .

ما هو وجه هذه القراءة بين الحركات ؟

قلت : وكلا المعنيين ، يدلان على الكبر والاحتقار ، لأن الأول يفيد ، معنى الاعراض عن الآخرين ، تكبرا واحتقارا لهم ، والثانى ، يفيد لوى الرجل شدقه ، عند ذكر غيره عنده ، كأنه يحتقره ويصفه بالهوان والمذلة .

ومعنى الآية : لا تمل خدك اعراضا عن الناس وتكبرا عليهم واحتقارا لهم . وهذا تأويل ابن عباس وجماعة ، كما ذكره القرطبى .

وقيل : المعنى : أن تلوى شدقك اذا ذكر الرجل عندك ، كأنك تحتقره . (١)

ولذا فالواجب عليك أيها المسلم ، أن تقبل على الناس متواضعا مؤنسا لهم ، باشا فى وجوههم ، ان حدثك أحدهم أن تصغى وتسمع لحديثه حتى ينتهى منه ، وان حدثتهم أنت ، فتحدثهم بلين وتواضع وهدوء ورفق ، وقدوتنا فى ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث كان دأبه ذلك مع الناس أجمعين .

وقوله تعالى : " ولا تمش فى الأرض مرحا " :-

أى : لا تمش مشية المتبختر المختال ، لأن هذا من الأخلاق الذميمة .

وفى روح المعانى : مرحا : أى : فرحا وبطرا ، وهو مصدر ، وقع موقع الحال للمبالغة ، أو لتأويله بالوصف . أو : تمرح مرحا : على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف ، والجملة فى موضع الحال . أو : لأجل المرح ، على أنه مفعول له .

وقرىء : مرحا : بكسر الراء . على أنه وصف فى موضع الحال . (٢)

أما الرازى فيقول : لما أمره بأن يكون كاملا فى نفسه ، مكملا لغيره ، وكان يخشى بعدهما من أمرين :-

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٧٠ / ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م / القاهرة / بتصرف .

(٢) انظر : روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١ / ٩٠ .

أحدهما : التكبر على الغير بسبب كونه مكملا لغيره .

وثانيهما : التبختر فى النفس بسبب كونه كاملا فى نفسه .

فقال : " ولا تصعر خدك للناس" تكبرا ، " ولا تمش فى الأرض مرحا" تبخترا .(١)

وقوله : " ان الله لا يحب كل مختال فخور" :-

المعنى : المختال : هو المتكبر الصلف المتباهى على الناس .

أما الفخور : فهو المتباهى فى الأشياء الخارجة عن الانسان ، كالمال والجاه ويدخل فى ذلك ، تعداد الشخص ما أعطاه ، لظهور أنه مباهاة بالمال .

وعن مجاهد : الفخور من يعدد ما اعطى وهو لا يشكر الله .(٢)

وقد استوفيت معنى : الاختيال والفخور ، فى فقرة سابقة .(٣)

والمعنى المستفاد من هذا الجزء من الآية الكريمة هو :-

أن كل من كان متصفا بالاختيال والفخر ، فان الله لا يحبه ، بل يبغضه ، لأن هذا خلق ذميم ، ولذا يجب على المسلم أن ينأى بنفسه عنه ، وأن يحترز من الوقوع فيه .

وقد أشار الرازى الى أن فى الآية الكريمة لطيفة وهى :-

أن الله تعالى ، قدم الكمال على التكميل ، حيث قال : " أقم الصلاة" ثم قال : وأمر بالمعروف " . وفى النهى : قدم مايورثه التكميل على مايورثه الكمال ، حيث قال : " ولا تصعر خدك للناس" . ثم قال : " ولا تمش فى الأرض مرحا" .

---

(١) انظر/ التفسير الكبير / للرازى/ جـ ٢٥/ ١٤٩ .

(٢) بتصرف/ روح المعانى / للألوسى / جـ ٢١/ ٩٠ .

(٣) انظر/ فقرة "ج" فى ص ٨٧

لأن فى طرف الاثبات : من لا يكون كاملا ، لا يمكن أن يصير مكملا ، فقدم الكمال .
وفى طرف النفى : من يكون متكبرا على غيره يكون متبخترا ، لأنه لا يتكبر على الغير الا عند اعتقاده أنه أكبر منه من وجه ، وأما من يكون متبخترا فى نفسه ، قد لا يتكبر ويتوهم أنه يتواضع للناس ، فقدم نفى التكبر ثم نفى التبختر ، لأنه لو قد نفى التبختر للزم منه نفى التكبر ، فلا يحتاج الى النهى عنه . ومثاله :
لا يجوز أن يقال : لا تفطر ولا تأكل ، لأن من لا يفطر ، لا يأكل . ويجوز ان يقال : لا تأكل ولا تفطر . لأن من لا يأكل ، قد يفطر بغير الاكل .
ولقائل أن يقول : ان مثل هذا الكلام يكون للتفسير ، فيقول : لا تفطر ولا تأكل ، أى : لا تفطر بأن تأكل .
ولا يكون نهيين بل واحدا .(١)

وعندى : أن الآية مع قصرها ووجازتها ، قد اشتملت على جانب كبير من حياة المسلم ، وهو فى غاية الأهمية ، هذا الجانب هو : علاقة المسلم بأخيه المسلم ، فان هذه العلاقة ، يجب أن يهيمن عليها الود والصفاء ، وأن تسودها المحبة والملاطفة ، مهما علت منزلة الشخص عن الآخرين ، ومهما كان مركزه الاجتماعى ، فان المفاضلة عند الله تعالى ، لا تكون الا بالتقوى والاستقامة على نهجه القويم ، قال سبحانه : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير " .(٢)
وفى الحديث الشريف الذى يرويه : " ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة : " فقال : يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عبية

---

(١) انظر / التفسير الكبير / للرازى / جـ ٢٥ / ص ١٤٩ ، ١٥٠ / الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - طهران .
(٢) سورة الحجرات - آية : ١٤ .

الجاهلية وتعاظمها بآبائها . فالناس رجلان : رجل برّ تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، والناس بنوا آدم وخلق الله آدم من التراب ..... الحديث .

وقال في آخر الحديث :

هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر الا من هذا الوجه . وعبد الله بن جعفر ، يضعف ، ضعفه يحي بن معين وغيره ، وهو والد علي بن المديني . وفي الباب : عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس . (١)

---

(١) انظر/ الجامع الصحيح / للترمذي / جـ ٥ / ص ٦٤ ، ٦٥ / تفسير سورة الحجرات - كتاب التفسير / الطبعة الثانية / ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م
رقم الحديث : ٣٣٢٤ .

الفصـــل التاســـع

فــى تفسيــر قولــه تعالـــى

" واقصد فى مشيك واغضض من صوتك انّ أنكر الاصوات لصــوت الحميـــر" .

ويتم البحث فى هذه الآية الكريمة على النحو الآتى :

١ - بيان معنى : القصد .
٢ - " " : الغض .
٣ - بيان الحكمة فى القصد وغض الصوت .
٤ - حكمة التعقيب بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" .
٥ - تفسير الآية الكريمة .

وهذا هو التفصيـــل :-

١ : معنى القصد :

القصد : استقامة الطريق ، ومنه قوله تعالى : " وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر " : (١) أي : على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء اليه بالحجج والبراهين الواضحة .

" ومنها جائر " : أي منها طريق غير قاصد وغير مستقيم .

والقصد : العدل . قال الشاعر :

على الحكم المأتي يوما اذا قضى ∴ قضيته ألا يجور ويقصد

ومعناه : على الحكم المرضي بحكمه ، المأتي اليه ليحكم ، ألا يجور في حكمه ، بل يقصد ، أي : يعدل .

وفي الحديث : عن جابر بن سمرة قال : كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت صلاته قصدا ، وخطبته قصدا " . قال أبو عيسى : حديث جابر بن سمرة حديث حسن صحيح . (٢)

وفي حديث آخر : عن بريدة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم هديا قاصدا ، فان من يشاد هذا الدين يغلبه " . (٣)

والمعنى : عليكم طريقا معتدلا .

---

(١) سورة : النحل - آية : ٩ .

(٢) الجامع الصحيح / للترمذي / ج ٢ / ص ٩ - باب : ما جاء في قصر الخطبة - الطبعة الثانية - ٩٤ هـ ، ٧٤ م .

(٣) مسند الامام احمد بن حنبل / المجلد الخامس / ص٣٦١ / المكتب الاسلامي / بيروت .

والقصد في الشيء : خلاف الافراط ، وهو مابين الاسراف والتقتير .

والقصد في المعيشة : ألا يسرف ولا يقتر .(١)

وقال الراغب : القصد : استقامة الطريق . يقال : قصدت قصده : أي : نحوت نحـــوه . ومنه الاقتصاد ، وهو على ضربين :

أحدهما : محمود على الاطلاق ، وذلك فيما له طرفان ، افراط و تفريط ، كالجـود مثلا ، فانه بين الاسراف والبخل . و . . . . . . الخ .

وعلى هذا قوله تعالى : " واقصد في مشيك " (٢) ، والى هذا يشير قولـــه تعالى : " والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا " الآية (٣) .

والثانـــي : يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم ، وهو : فيما يقع بين محمود ومذموم كالواقع بين العدل والجور ، والقريب والبعيد ، (٤) ومنه قوله تعالى : " فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد " (٥) .

٢ : معنـــى : الغـــض :

الغضاضة : الفتور في الطرف ، يقال : غض وأغضى : اذا دانى بين جفنيه ، ولم يلاق .

قال الشاعر :

وأحمـق عريض عليـه غضاضـــة ∴ تمرّس بي من حينه وأنا الرّقـــــم

---

(١) لسان العرب/ لابن منظور/مجلد ٣ / ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٢) سورة : لقمان - آية : ١٩ .

(٣) سورة : الفرقان - آية : ٦٧ .

(٤) المفردات في غريب القرآن / الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني / ص ٦١٠ / كتاب القاف / مكتبة الانجلو المصرية .

(٥) سورة : فاطر - آية : ٣٢ .

قال الأزهري : عليه غضاضة : أي : ذل . ورجل غضيض : ذليل بيّن الغضاضة ، من قوم أغضاء وأغضة ، وهم : الاذلاء".

وغض طرفه وبصره ، يغضه : كفه وخفضه وكسره .

وقيل : هو : اذا دانى بين جفونه ونظر .

وقيل : الغضيض الطرف : المسترخي الأجفان .

واغضض من صوتك : أي : اخفض من صوتك .

وفي الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غطى وجهه بيده ، أوبثوبه ، وغض بها صوته" . هذا حديث حسن صحيح (١) .

شرح الاوم / توضيح معنى الحديث

والمعنى : كان صلى الله عليه وسلم ، اذا عطس ، غطى وجهه بيده أوبثوبه ، وخفض صوته ، ولم يرفعه .

وأهل نجد يقولون : غض طرفك ، بالادغام . قال : جرير :

فغض الطرف انك من نمير ∴ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

معناه : غض طرفك ذلا ومهانة . وغض الطرف : أي : كف البصر (٢) .

وقال الراغب :-

الغض : النقصان من الطرف والصوت ، وما في الاناء . قال تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " (٣) الآية .

---

(١) الجامع الصحيح / للترمذي / جـ ٤ / ص ١٨٠ / باب : ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطس / الطبعة الثانية / ٩٤ هـ ، ٧٤ م .

(٢) لسان العرب / لابن منظور / مجلد ٧ / ص ١٩٧ / بتصرف / ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م / بيروت .

(٣) سورة النور آية ٣٠ .

اما قول الشاعر :

" فغض الطرف انك من نمير ، فهو على سبيل التهكم .

وغضضت السقاء : أى نقصت منه . (١)

٣ : الحكمة فى القصد وغض الصوت :

أ - الحكمة فى القصد :

القصد الوارد ذكره فى الآية الكريمة ، ليس معناه القصد فى المشى ، دون ما عداه من السلوك ، بل معناه القصد والاعتدال فى جميع أمور المؤمن وسلوكه . فالقصد فى المشى ، يعنى : اعتدال السلوك ، واستقامة المسلك ، ولا يعنى مجرد المشى فحسب ، بل هو مجرد أنموذج يضربه الله لكل شئ يحتاج الى عمل وحركة ، وعلى هذا فهو مطلوب فى كل أمور المؤمن .

والماشى : هو المتحرك الى غاية . ومعنى هذا : أن على المسلم أن يقتصد فى وسائله وغاياته ، فلا ينحرف فى وسيلة ، ولا يقصد الى غاية لا يمكن تحقيقها ، أو الى غاية هزيلة ، دون المقاصد الشريفة .

والاقتصاد فى الوسائل والغايات ، مقصد كل حكيم ، يعلم عواقب الأشياء ويقدرها ، فان السلوك هو النتيجة للاعتقاد الذى وقر فى القلب ، وقررته الآيات السابقة من قوله : " يا بنى لا تشرك بالله ....." الآيات .

ومتى استقامت العقائد ، واستقرت الوصايا الطيبة فى النفس ، أثمرت بلا ريب سلوكا قويما واستقامة حقة .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن / للاصبهانى / ص ٥٤٢ / كتاب المفبن / مكتبة الانجلو المصرية .

ب : الحكمة فى غض الصوت :

ان الوصية بغض الصوت ، دليل واضح على مدى تغلغل الموصى ، فى خبايا النفس ، فان الذى يرفع صوته ، تغلب عليه العصبية والانفعالات الحادة فيندفع بالعاطفة أكثر مما يندفع بالتعقل ، ولذلك ترى الانسان ، كلما علا صوته ، كلما كان عصبيا أهوج ، وكلما انخفض صوته ، كلما كان هادئيا (هادئا) متعقلا لمايقول ، ومقدرا لمايترتب عليه من نتائج .

ألا ترى الى هذا التشبيه المنفّر فى قوله : " ان أنكر الاصوات لصوت الحمير" .

والحمار مثل للبلاهة والبلادة وسوء الفهم ، وكأن اعلاء الصوت يطغى على أسس التفكير ، وربما يطمسها ، فيخرج العمل ، عاريا عن التعقل ، لا يعى صاحبه نتائجه .

ومن الخطأ أن نقف فى تأملات القرآن الكريم ، موقفا جامدا عند ظاهر الألفاظ وعلينا أن نتغلغل فيما تنطوى عليه من معان وحكم وأسرار ، قدر الطاقة .

فالقصد فى السلوك والغض من الصوت ، عاملان أساسيان فى توخى المصلحة ، وتدبر العواقب ، ومتى نسى أو تناسى الانسان هذين المسلكين ، كان كالحمار ، ينعق من غير انتباه الى نهيقه ، ويتخبط من غير تيقظ لمايتلفه .

ان دعوة القرآن الكريم ، الى القصد فى المشى ، والغض من الصوت ، أليق بالوقار ، وأنسب للمؤمن .

والله سبحانه ، أعلم بحقيقة أسرار كتابه .

٤ : حكمة التعقيب بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" .

لما أمر سبحانه بالقصد فى المشى ، والغض من الصوت ، عقب بعد ذلك بقوله سبحانه : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" . وذلك لحكمة يعلمها سبحانه لأن كلام الله تعالى ، كله حكم عظيمة وفوائد قيمة ومواعظ جليلة ، يعجز البشر عن ادراكها ، ومن وفقه الله تعالى الى التفقه فى كتابه سبحانه والانتهال من معينه الذى لا ينضب ، فهو مع ذلك لن يستطيع الالمام بجميع ما فيه من حكم ومواعظ وأسرار .

يوضح ذلك ما رواه الحارث الأعور قال : " مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الاحاديث ، فدخلت على على ، فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ .

قال : أو قد فعلوها ؟

قلت : نعم .

قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا انها ستكون فتنة .

قلت : ما المخرج منها يارسول الله ؟ .

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم ، وهو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا يزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .

هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ، حتى قالوا : " انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنّا به " .

من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم " . خذها اليك يا أعور .

هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حمزة الزيات ، واسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال" .(١)

وأعتقد - والله أعلم - أن من حكمة التعقيب بذلك مايلي :

١ - كانت العرب تفخر بجهارة الصوت وقوته ، فمن كان منهم أشد صوتا ، كان أكثر عزا ، ومن كان أخفض صوتا ، كان أكثر ذلا ، حتى قال شاعرهم :

جهير الكلام جهير العطاس ∴ جهير الرواء جهير النعم

ويعدو على الأين عدوى الظليم ∴ ويعلو الرجال بخلق عمم (٢)

فلما كان هذا الخلق الذميم من الأخلاق الجاهلية ، وجب على المسلم ، أن يترفع بنفسه عنه وأن يصونها منه ، كما أمر بذلك المولى تبارك وتعالى في محكم تنزيله حيث قال سبحانه : " واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير".

٢ - لفظ الحمار ، كان مستفحشا ، وكان يعد ذكره في مجالس أولى المروءة من مساوىء الآداب ، وتجنبا لذكره كانوا يكنون عنه ، ويرغبون عن التصريح به ، فيقولون : " الطويل الأذنين " ، وذلك كما يكنّى عن الأشياء المستقبحة.(٣)

ولما كان صوت الحمار كذلك ، جاء النهي عن رفع الصوت - لغير غرض شرعي -

---

(١) انظر/ الجامع الصحيح / للترمذى / جـ ٤ / ص ٢٤٥ ، ٢٤٦/ باب : ما جاء في فضائل القرآن / رقم الحديث // ٣٠٧٠ // .

(٢) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٧٢ / ٨٧ هـ - ٦٧م .
ومعنى الكلمات الغامضة في بيتى الشعر ، هو :-
الرواء : بضم الراء ومد الألف والهمزة ، يعنى : المنظر الحسن . النعم : الابل . الخلق العمم : التام .
الاين : الاعياء والتعب . وقيل : الأين : الذكر من الحيات / لسان العرب لابن منظور/ جـ ١٣ / ٤٤ / بيروت : ٨٨ هـ ، ٦٨م .

(٣) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / جـ ١٤ / ص ٧٢ .

وتشبيهه في رفعه بصوت الحمار، لما في ذلك من شدة الذم، وليكون حافزا الى الامتثال ودافعا الى التخلق بأخلاق القرآن .

٥ : تفسير الآية الكريمة :

قال تعالى : " واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" .

المعنى :

معنى قوله سبحانه : " واقصد في مشيك " : أي : عليك أن تتوسط في مشيك وتعدل فيه ، والقصد فيه ، يكون بين الاسراع والبطء ، فلا يثب وثبا يذهب وقاره وتعقله ، ولا يدب دبيب المتماوتين . (١)

والقصد ليس محصورا في المشي فقط ، بل هو مطلوب في جميع أحوال المسلم ، من مشي وكلام ونفقة ومعاملة و .... الخ .

ومعنى قوله " واغضض من صوتك" :-

غض الصوت : أي نقصه وخفضه . والمراد - والله أعلم - : عليك بعدم رفع صوتك ، وخذ منه ما تحتاج ، لأن الجهر بأكثر من الحاجة ، تكلف يؤدي الى أذيتك - أنت المتكلم - كما قال عمر لمؤذن تكلف في رفع صوته بالأذان ، بأكثر من طاقته ، حيث قال له رضي الله عنه : "لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك" ، والمريطاء : مابين السرة الى العانة" . (٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم / للقرطبي / جـ ١٤ / ص ٧١ / بتصرف .

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم / للقرطبي / جـ ١٤ / ص ٧١ / بتصرف .

وانظر / أحكام القرآن / لابن العربي / جـ ٢ / ١٤٩٨

وغض الصوت ، فيه فائدة مزدوجة ، للمتكلم والسامع معا فى آن واحد :
فالمتكلم ، يكون ذلك أوفر له وأريح ، والسامع يكون أبسط لنفسه وأهون عليها وأدعى الى فهم مايسمع .
ثم انه ربما أدى رفع الصوت أيضا الى أذية السامع فى أذنيه ، وربما خرق الغشاء السمعى داخل الأذن .

ومعنى قوله : " ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " :
أى : أقبحها وأوحشها[م] ، من قولك : شىء نكر : اذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت . والحمار ، مثل فى الذم البليغ والشتيمة ، وكذلك نهاقه .

ومن استفحاشهم لذكره مجردا ، وتفاديهم من ذكر اسمه ، فهم يكنون عنه ، ويرغبون عن التصريح به ، فيقولون : " الطويل الأذنين ، كما يكنى عن الأشياء المستقبحة . وقد عد فى مساوىء الآداب ، أن يجرى ذكر الحمار ، فى مجلس قوم ، من أولى المروءة . ومن العرب ، من لا يركب الحمار استنكافا ، وان بلغت منه الرجلة .

فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه ، واخراجه مخرج الاستعارة ، وأن جعلوا حميرا وأصواتهم نهاقا ، مبالغة شدة فى الذم والتهجين ، وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت ، والترغيب عنه ، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان .(١)

أما افراد لفظ " صوت " ، مع اضافته الى لفظ " الحمير " وهو جمع ، فقد قيل فيه مايلى :-

---

«م» انظر / احكام القرآن / للجصاص / ...

(١) انظر / الكشاف / للزمخشرى / جـ ٣ / ص ٢٣٤ .

١ - قال الزمخشـــــرى :-

ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ، حتى يجمـع ، وانما المراد : ان كل جنس من الحيوان الناطق ، له صوت ، وأنكر أصوات هذه الأجناس ، صوت هذا الجنس ، فوجب توحيده . (١)

٢ - قال القرطبـــــى :-

وحّد لفظ " صوت " لأنه مصدر ، والمصدر يدل على الكثرة ، وهو مصـــدر : " صات : يصوت صوتا ، فهو صائت .

ويقال : صوّت تصويتا ، فهو مصوّت ، ورجل صات : أى : شديد الصـــوت ، بمعنى : صائت . كقولهم : رجل مال ونال ، أى : كثير المال والنوال . (٢)

ثم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع ، ما لم تقصد الأنواع ، كما فـــى : " أنكر الأصوات " . (٣)

٣ - قال الألوســـــى :-

اضافة الى ما سبق :-

جمل ذلك للاشارة الى قوة تشابه أصوات الحمير ، حتى كأنها صوت واحد ، هو أنكر الأصوات . (٤)

---

(١) انظر / الكشاف/ للزمخشرى / ج ٣ / ص ٢٣٤ .

(٢) انظر / الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى / ج ١٤ / ص ٧٢ .

(٣) انظر / روح المعانى / للألوسى / ج ٢١ / ص ٩٢ .

(٤) انظر / روح المعانى / للألوسى / ج ٢١ / ص ٩٢ .

الباب الثالث

في الأحاديث الواردة في لقمان

البـــــاب الثالـــــــث

ويشتمل على استقراء الأحاديث الوارد فيها ذكر لقمان وبيان درجتها من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف . ثم شرح مايحتاج منها الى شرح ، وبيان ما يستفاد من الحديث المشروح .

وهذا بيان ذلك .

الحـــــديث الأول :

" حدثنا علي بن اسحاق ، أنا ابن المبارك ، أنا سفيان الثوري ، أخبرني نهشل بن مجمع الضبي - قال وكان مرضيا - عن قزعة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " ان لقمان كان يقول : ان الله اذا استودع شيئا حفظه" . (١)

اسناده صحيـــح .

وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه ، من طريق مجاهد عن ابن عمر ، وفيه قصة وزيادة . (٢)

وقال زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في تخريجه لأحاديث احياء علوم الدين ، أخرجه النسائي في اليوم والليلة ، ورواه أبو داوود مختصرا ، واسناده جيد . (٣)

---

(١) انظر / مسند الامام احمد / جـ ٢ / ص ٨٧ .

(٢) موارد الظمآن / لابن حبان / ص ٥٩٠ .

(٣) احياء علوم الدين / للغزالي / جـ ٣ / ص ٢٥٣ / الحاشية .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ، وعزاه الى الامام أحمد .[١]

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ، وعزاه الى أحمد ، والحكيم الترمذى ، والحاكم فى الكنى ، والبيهقى فى شعب الايمان .[٢]

وصححه الألبانى ، وخرجه فى سلسلة الأحاديث الصحيحة[٣] ، وصحيح الجامع الصغير .[٤] الا أنه حكم أيضا بضعفه فى كتابه ضعيف الجامع الصغير[٥] ، ولم أعرف علة ذلك .

شرح الحديث :

" عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان لقمان كان يقول " :

لقمان : المراد به - والله أعلم - لقمان الوارد ذكره فى سورة لقمان ، وهو على القول الراجح ولىّ من أولياء الله تعالى ، أعطاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها للناس .

وقد سبق الكلام عنه بالتفصيل فى أول البحث .

وكان من حكمه عليه السلام ، ما ورد فى هذا الحديث الشريف حيث يقول : " ان الله اذا استودع شيئا حفظه " .

والمعنى : أن الانسان اذا اتكل على الله تعالى حق التوكل ، واستودعه أى وديعة كانت ، أى : أنه اعتمد على الله تعالى فى حفظها ورعايتها ، ووكلها

---

(١) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / جـ ٣ / ٤٤٧ .

(٢) الدر المنثور / للسيوطى / جـ٥ / ص ١٦٢ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة / للألبانى / جـ ١ / ص ١٩ - ٢١ .

(٤) صحيح الجامع الصغير / للألبانى / جـ ٢ / ص ٩٢ .

(٥) ضعيف الجامع الصغير / للألبانى / جـ ٢ / ص ١٧١ .

اليه سبحانه ،فانه تعالى يحفظها برعايته ،ويكلوءها بعنايته ،ويحميها من كل سوء ومكروه ،حتى يعود مستودعها اليها ويأخذ ها .

وهذا لا يكون الا بالتوكل على الله حق التوكل ،والاعتماد عليه سبحانه ،مع بذل الجهد فيما يمكن عمله ،حتى لا يكون متواكلا .

واذا كان صاحب الوديعة ،هو هذا العبد المسكين الذليل ، والقائم بحفظ الوديعة هو المولى تبارك وتعالى ، مالك الكون كله ومسيّره .

فما أحرى هذا العبد الضعيف أن يتخلق بهذا الخلق العظيم فى جميع شئون حياته ،وفى مقدمة ذلك ما يتعلق بالأمور التعبدية لله تعالى ،ويتمثل هذا فى طاعة الله فى جميع أوامره واجتناب كل ما نهى عنه .

يأتى بعد ذلك مايحصل بين المسلم وأخيه المسلم -فى حالة استيداع أحدهما لدى الآخر وديعة -فيجب على المستودع ،أن يقوم بحفظ الوديعة وصيانتها من كل سوء ثم اعادتها الى صاحبها عند طلبها كما أخذها .

وقد ذكر الحكيم الترمذى أن " عبيد بن اسحاق العطار الكوفى ،قال : حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ،قال حدثنى زيد بن أسلم عن أبيه قال : بينما عمر رضى الله عنه ، يعرض الناس ،اذا هو برجل معه ابنه ،فقال له عمر : ويحك ! حدثنى ، ما رأيت غرابا بغراب أشبه بهذا منك . . قال : أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه الا ميتة . فاستوى عمر رضى الله عنه ،فقال : ويحك حدثنى . ! قال : خرجت فى غزاة وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعنى على هذا الحال حاملا مثقلا ؟ . قلت : أستودع الله ما فى بطنك ،قال : فغبت ثم قدمت . فاذا بابى مغلق .قلت : فلانة ؟ . قالوا : ماتت. فذهبت الى قبرها أبكى . فلما كان من الليل ،قعدت مع بنى عمى أتحدث ،وليس

يسترنا من البقيع شيء . فرفعت لي نار بين القبور . فقلت لبني عمي : ما هذه النار ؟ . فتفرقوا عني . فأتيت أقربهم مني فسألته ، فقال : نرى على قبر فلانة كل ليلة نارا . فقلت : انا لله وانا اليه راجعون ، أما والله ان كانت لصوّامة قوامة عفيفة مسلمة . انطلق بنا . فأخذت فأسا ، فاذا القبر منفرج ، وهي جالسة وهذا يدبّ حولها . ونادانى مناد من السماء : أيها المستودع ربه وديعته أما لو استودعت امه ، لوجدتها . فأخذته وعاد القبر كما كان .

فهو والله هذا يا أمير المؤمنين " . (١)

ما يؤخذ من هذا الحديث :-

١ - أن من اتكل على الله حق التوكل ، حفظه الله وكفاه .

٢ - أن حفظ الأمانة والوديعة خلق عظيم ، يجب على المؤمن التحلي به والتخلق به .

٣ - من استودع وديعة ، يجب عليه أن يحفظها حتى يعيدها الى مستودعها . فان الله تعالى اذا استودع شيئا حفظه ، وهو مالك الكون كله ، والغني عما فيه كله - فوجوب ذلك بين بني البشر من باب أولى ، وهم المحتاجون الى بعضهم البعض .

٤ - التحلي بالأخلاق الاسلامية الفاضلة ، والحث عليها .

---

(١) انظر / نوادر الأصول / للحكيم الترمذي / ص ٤٧ .

الحديث الثاني :

قال الحاكم في كتابه المستدرك :-

" حدثنا أبوعلي الحسين بن علي الحافظ ، حدثنا يحى بن محمد الحلبي ، حدثنا الحارث بن سليمان ، ثنا عقبة بن علقمة عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان ، قال : سمعت القاسم بن مخيمرة ، يحدث عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني ايّاك والتقنع فانها مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار" .

قال : " هذا متن شاهده اسناد صحيح . والله أعلم" .

وقال الذهبي : صحيح . (١)

وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه الى ابن أبي حاتم . (٢)

وذكر السيوطي هذا الحديث في : الدر المنثور ، وعزاه الى ابن أبي حاتم ، والحاكم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . (٣)

شرح الحديث :

"عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لقمان لابنه وهو يعظه :

المعنى : لقمان وابنه سبق الكلام عنهما في أول البحث . (٤)

---

(١) انظر / المستدرك على الصحيحين / للحاكم / جـ ٢ / ص ٤١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / جـ ٣ / ٤٤٧ .

(٣) الدر المنثور / للسيوطي / جـ ٥ / ص ١٦٢ .

(٤) انظر / ص ١٠ ، ص ١٥ من هذا البحث .

والوعظ: سبق الكلام عنه أيضا . (١)

يا بنيّ : اياك والتقنع " . أى : يا بنى أحذرك من التقنع وهو التلثم ويكون باخفاء معظم معالم الوجه وذلك بتغطيته بالعمامة أو ما شابهها .
وكيفية ذلك أن يأتى بالعمامة الموضوعة على الرأس ، من تحت اللحية فيديرها على جانبى الوجه مع تغطية الفم وربما شمل ذلك الأنف - ثم يربطها جيدا . فلا يبقى مكشوفا من الوجه سوى الجبهة والعينين وظهر الأنف وما يليه من الجهتين . وربما استتر كثيرا من الجبهة من جهة أعلاها .

وقوله : " فانها مخوفة بالليل " : أى : فان التقنع ، أو : فان الاتصاف بهذه الصفة وهى صفة التقنع مخوفة بالليل ، أى تجعل صاحبها خائفا ، لأنها تدخل الريبة فى نفس من يراه على هذه الحال . ومن السبب فى ذلك أن الليل ساتر بظلمته ، والمتقنع لا يكتفى بظلمة الليل بل يزيد عليها التستر بالقناع .

وقوله " مذلة بالنهار " : أى : أن التقنع بالنهار مذلة ، لأن المتقنع بهذه الحال يخفى نفسه عمن يراه ولا يريده أن يعرفه . ولو كان شجاعا مقداما ، ما فعل ذلك .

ما يؤخذ من الحديث :

١ - أن التقنع بالنهار مذلة ، وهو بالليل مخوفة .
٢ - أن المتقنع يحدث حول نفسه ، الريبة والشكوك .

---

(١) انظر / ص .

٣ - الحذر من كل الأمور المريبة والابتعاد عنها ، في جميع مسالك الحياة .

٤ - التخلق بالأخلاق الفاضلة ، والحث عليها ، والابتعاد عن الأخلاق الذميمة ، والنهي عنها .

الحديث الثالث :

قال الحاكم في مستدركه :-

" أخبرني اسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني ، ثنا جدي ، ثنا الحاكم ، عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير السودان ثلاثة : لقمان ، وبلال ، ومهجع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وقال بعد ذلك : " صحيح الاسناد ولم يخرجاه " .

وقال الذهبي عنه : " صحيح " .(١)

وتعقبهما الألباني ، حيث ضعف الحديث .(٢)

وهو كما قال الألباني ، فيما ظهر لي . لأن فيه علتين ، احداهما في السند والأخرى في المتن .

أما علة السند : فان شيخ الحاكم وجدّه ، لم أعرف حالهما ، ولم أقف على ترجمة وافية لهما ، تبين حال كل منهما .

وأما علة المتن : فقد جاء في الحديث : " ومهجع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم " . وبالوقوف على ترجمة مهجع وجدت ما يلي :

١ - ذكر ابن عبد البر أنه : مهجع بن صالح ، مولى عمر بن الخطاب ، شهد بدرا وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين . وعزا الى ابن اسحاق قوله : أنه من أهل اليمن . والى ابن هشام : أنه من عك ، أصابه سباء فمن عليه عمر بن الخطاب .(٣)

---

(١) انظر / المستدرك على الصحيحين / للحاكم / جـ٣ / ص ٢٨٤ .

(٢) ضعيف الجامع الصغير وزياداته / للألباني / جـ ٣ / ص ١٣٤ .

(٣) انظر / الاستيعاب / في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر / جـ ٤ ص ١٤٨٦ .

٢ - قال ابن الأثير الجزرى : " مهجع " : مولى عمر بن الخطاب ، هو أول قتيل من المسلمين يوم بدر ، أتاه سهم غرب ، وهو بين الصفين فقتله ، وهو من أهل اليمن . نزل فيه وفى أصحابه ، قوله تعالى :- " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه " (١) . وهم : بلال ، وصهيب وعمار وخباب ، وعتبة بن غزوان ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وأوس بن خولى ، وعامر بن فهيرة . قاله ابن عباس " (٢) .

٣ - أما ابن حجر : فقد ذكر الحديث الذى أورده الحاكم ، والمذكور سابقا ، ثم ذيل ذلك بقوله :-
" وأخشى أن يكون الذى بعده ، والله سبحانه وتعالى أعلم " . أى : أنه متردد فى ذلك ، ثم ذكر بعد ذلك :
" مهجع " : العكى مولى عمر بن الخطاب . قال ابن هشام : أصله من عك . وأصابه سباء ، فمنّ عليه عمر فأعتقه ، وكان من السابقين الى الاسلام وشهد بدرا واستشهد بها . وقال موسى بن عقبة : كان أول من قتل ذلك اليوم ، وذكر ابن منده من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه ممن نزل فيهم قوله تعالى : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى . . . " الآية (٣) .

مما سبق يتضح أن مهجع هو مولى عمر بن الخطاب ، وليس مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه من أهل اليمن ، وليس من الحبشة .

---

(١) سورة الأنعام - آية : ٥٢ .
(٢) انظر / أسد الغابة فى معرفة الصحابة / لابن الأثير الجزرى جـ٥ ص ٢٨٠ .
(٣) انظر / الاصابة فى معرفة الصحابة / لابن حجر / جـ ٣ / ص ٤٦٦ .

وهذه علة فى الحديث تزيد فى ضعفه .

وقد نبه على هذه العلة ، الشيخ الألبانى ، فى : ضعيف الجامع الصغير وزيادته .

وأخرج السيوطى فى الدر المنثور : عن جابر رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سادات السودان أربعة : لقمان الحبشى ، والنجاشى وبلال ، ومهجع" .

وعزاه الى ابن عساكر .(١)

وذكره الألبانى فى : ضعيف الجامع الصغير . وبين ضعفه : بأنه : معضل .(٢)

---

(١) الدر المنثور/ للسيوطى / جـ ٥ ص ١٦١ .

(٢) ضعيف الجامع الصغير / جـ ٣ / ١٣٤ .

الحديث الرابع :

قال ابن حبان فى كتابه : " المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين" " حدثنا محمد بن المسيب ، ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن المفضل ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن ثنا أبين بن سفيان ، عن خليفة بن سلام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتخذوا السودان ، فان ثلاثة منهم سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم ، وبلال ، والنجاشى " . (١)

هذا الحديث فيه علتان ، بينهما ابن حبان هما :-

العلة الاولى : فى سنده :

فيه أبين بن سفيان . قال عنه ابن حبان :-

شيخ يقلب الأخبار ، وأكثر رواته الضعفاء ، يجب التنكب عن أخباره .

وقال ابو جعفر النفيلى : كتبت عن ابين بن سفيان ، ثم حرقت ما كتبت عنه ، وكان مرجيئا .

وقال الدارقطنى : ضعيف له مناكير . وضعفه أيضا الذهبى . (٢)

أما العلة الثانية : فهى فى متنه :-

قال ابن حبان : " هذا متن باطل لا أصل له" . (٣)

وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ، وقال : " لا يصح . والمتهم به ، أبين بن سفيان

---

(١) انظر / المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / لابن حبان / جـ ١ ص ١٧٩ / الطبعة الاولى .

(٢) المرجع السابق / جـ ١ / ١٧٩ . وميزان الاعتدال / للذهبى / جـ١ / ٧٨ . والضعفاء للذهبى / ص ١٤ .

(٣) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / لابن حبان / جـ١ ١٨٠ / ط. الاولى .

كان يقلب الاخبار ، وعثمان لا يحتج به" .[١]

وذكره ابن كثير فى تفسيره وعزاه الى ابى القاسم الطبرانى .[٢]

وذكر السيوطى هذا الحديث فى الدر المنثور ، وعزاه الى الطبرانى ، وابن حبان فى الضعفاء ، وابن عساكر .[٣]

وخرجه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة .[٤] وضعيف الجامع الصغير وزيادته" .[٥]

---

(١) الموضوعات/ لابن الجوزى/ جـ ٢ / ص ٢٣٢ / الطبعة الاولى - ٨٦ ، ١٩٦٦م .

(٢) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / جـ ٣ / ٤٤٧ .

(٣) الدر المنثور/ للسيوطى / جـ٥ / ص١٦٠ .

(٤) سلسلة الاحاديث الضعيفة / للألبانى / جـ ٢ / ص ١٣١ / رقم "٦٨٧" .

(٥) ضعيف الجامع الصغير وزيادته / للألبانى / جـ ١ / ص٧٩ /رقم "٩٣" .

الحديث الخامس :

قال الرامهرمزي في كتابه الأمثال :

" أخبرنا أحمد بن يحى الحلواني ، حدثنا احمد بن يونس ، حدثنا أبوبكر بن عياش عن أبي المهلب عن عبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان لقمان ، قال لابنه : يا بني عليك بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء ، فان الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض بوابل المطر " . (١)

اسناد الحديث ، ضعيف جدا ، لأنه من رواية عبيد الله بن زحر ، عن على ابن يزيد ، عن القاسم أبي عبد الرحمن .

قال ابن حبان في ترجمة عبيد الله بن زحر :-

" منكر الحديث جدا " . يروى الموضوعات عن الأثبات . واذا روى عن على بن يزيد ، أتى بالطامات . واذا اجتمع في اسناد خبر : عبيد الله بن زحر ، وعلى بن يزيد ، والقاسم أبوعبد الرحمن ، لا يكون ذلك الخبر الا مما عملته أيديهم ". (٢)

أما على بن يزيد : فقال عنه ابن حبان :

" منكر الحديث جدا " . (٣)

---

(١) انظر / الأمثال / للرامهرمزي / لوحة ٤٩ .

(٢) انظر / المجروحين / لابن حبان / جـ ٢ / ص ٦٢ ، ٦٣ .
وانظر / التاريخ الكبير / للبخاري / جـ ٥ / ص ٣٨٢ .
والميزان / للذهبي / جـ٣ / ص٦ .

(٣) المجروحين / لابن حبان / جـ ٢ / ص ١١٠ / وانظر التاريخ الكبير / جـ٦ ص ٣٠١ ، والميزان / للذهبي / جـ٣ / ص١٦١ .

أما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن ، كان مولى ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، يكنى بأبي عبد الرحمن .

قال ابن حبان فيه :-

" كان ممن يروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعضلات ، ويأتي عن الثقات بالأشياء المقلوبات ، حتى يسبق الى القلب : أنه كان المتعمد لها .

وقال أحمد فيه : " منكر الحديث" . (١)

---

(١) المجروحين / لابن حبان / جـ ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ / وانظر الميزان / للذهبي / جـ ٣ / ص٣٧٣ .

الحديث السادس :

قال السيوطي في الدر المنثور مايلي :

"أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما كان لقمان ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كان عبدا حبشيا". (١)

هذا الحديث ،لم أتمكن من الوصول الى كتاب ابن مردويه ،المخرج فيه وأغلب ظني أنه لا يزال مخطوطا .

لذلك توقفت عن الكلام عنه ،حتى أجد المرجع المخرج فيه . وعند هذا -ان شاء الله- يمكنني أن أكتب عنه ما يفتح الله به عليّ .

---

(١) انظر / الدر المنثور / للسيوطي / جـ ٥ / ص ١٦٠ .

الحديث السابع :

قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول :-

" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لقمان كان عبدا كثير التفكر ،حسن النظر ،كثير الصمت ،أحب الله فأحبه الله ،فمنّ عليه بالحكمة ،نودى بالخلافة قبل داوود عليه السلام فقيل له : يا لقمان : هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض ، تحكم بين الناس بالحق ؟ قال لقمان عليه السلام : ان جبرنى ربى قبلت ،فانى أعلم ان فعل ذلك بى أعاننى وعلمنى وعصمنى ،وان خيرنى ربى ،قبلت العافية ،ولم أسأل البلاء . فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : يا لقمان لم قلت هكذا ؟
قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها ،يغشاه الظلم من كل مكان ،فيخذل أو يعان ،وان أصاب فبالحرىّ أن ينجو ،ولئن أخطأ ،أخطأ طريق الجنة ،ومن يكن فى الدنيا ذليلا ،خير من أن يكون شريفا ضائعا ، ومن يختار الدنيا على الآخرة ، فاتته الدنيا ،ولا يصير الى ملك الآخرة .

فعجبت الملائكة لحسن منطقه . فنام نومة فغط بالحكمة غطا ،فانتبه فتكلم بها ،ثم نودى داوود عليه السلام ،بعده بالخلافة ،فقبلها ولم يشترط شرط لقمان فأهوى فى الخطيئة فصفح الله عنه وتجاوز .

وكان لقمان يوءازره بعلمه وحكمته ،فقال داوود عليه السلام : طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنه البلية ،وأوتى داوود الخلافة ،وابتلى بالرزية والفتنة ، فكان داوود عليه السلام يحكم بين خلقه" .(١)

وقد ذكر السيوطى هذا الحديث فى الدر المنثور ،وعزاه الى الحكيم الترمذى

---

(١) انظر/ نوادر الاصول / للحكيم الترمذى/ ص٢١١/ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

في نوادر الأصول ، عن أبي مسلم الخولاني مرفوعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

قلت :- هذا الحديث ، كما هو واضح ، ليس متصل السند . فان الحكيم الترمذى قد أورده في كتابه - نوادر الأصول - مسندا الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون ذكر أحد من الرواة ، ويعتبر كتابه هذا مرجعا أصليا للحديث. ولا يمكن الحكم على الحديث الا بعد معرفة سنده .

ومن جهة أخرى : فقد أورد السيوطى ، الحديث في الدر المنثور كما ذكرت سابقا . وعزاه الى الحكيم الترمذى ، عن أبي مسلم الخولانى مرفوعا .
وعند البحث عن أبي مسلم الخولانى في كتب الرجال ، تبين لى أنه تابعى ، قال عنه ابن الأثير الجزرى :-

أبو مسلم الخولانى العابد :-

أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقدم المدينة حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر ، وهو معدود في كبار التابعين واسمه عبد الله بن ثوب ، وقيل : عبد الله بن عوف . والأول أكثر .
كان فاضلا ناسكا عابدا ذا كرامات وفضائل . (٢)

وقال عنه الذهبى :-

أبو مسلم الخولانى الزاهد :-

عبد الله بن ثوب على الأصح ، لقى أبا بكر وعمر ومعاذا ، مناقبه كثيرة ، مات سنة "٦٢" (٣) .

---

(١) الدر المنثور / للسيوطى / جـ٥ / ص ١٦١ .
(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير الجزرى / جـ٦ / ص ٢٨٨ / بتصرف .
(٣) انظر / الكاشف / للذهبى / جـ ٣ / ص ٣٧٧ .

مما سبق يتبين أن أبا مسلم الخولاني تابعي . وعلى هذا فالرواية التي ذكرها السيوطي في الدر المنثور لا تصل بنا الى امكانية دراسة السند لأن فيه انقطاع .

يضاف الى ذلك أن المرجع الأصلي لهذا الحديث هو " نوادر الأصول ، للحكيم الترمذي " . ولم أجد في سنده ذكرا لأبي مسلم الخولاني ولا لغيره ، وانما ذكر الحديث مسندا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون ذكر أحد من الرواة الا أن يكون ذلك في طبعة أخرى لم تصل يدي اليها ، أو في المخطوط نفسه ، والذي لم أره أيضا .

ولأجل هذا فانني أتوقف عن القول بشيء في هذا الحديث .

الحكم المنسوبة الى لقمان :

ذكر الرواة كثيرا من الحكم المنسوبة الى لقمان ،لكن سندها غير متصل .
ولذلك فلا يمكن قبول نسبتها الى سيدنا لقمان عليه السلام باسناد غير متصل .
أما كون تلك الحكم تدل على خير أو تحذر من شر ،وصادرة من انسان حكيم ،فليس
هذا مكان المعارضة والرد . ولا مانع من العمل بما في تلك الحكم والأخذ بما فيها ،
شريطة ألا تتعارض مع ما أمرنا الله به في محكم كتابه الكريم أو جاء به المصطفى
صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الشوكاني أن " جماعة من أهل الحديث ،ذكروا روايات عن جماعة
من الصحابة والتابعين تتضمن كلمات من مواعظ لقمان وحكمه ،ولم يصح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ،ولا ثبت اسناد صحيح الى لقمان بشيء منها
حتى نقبله . وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ،ما حكاه في هذا الموضع -أي
ما ورد في سورة لقمان - وفيه كفاية . وما عدا ذلك مما لم يصح فليس في ذكره الا شغلة
للحيز وقطيعة للوقت .

ولم يكن نبيا ،حتى يكون ما نقل عنه من شرع من قبلنا . ولا صح اسناد ما روى
عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدوين كلمات الحكمة التي هي ضالة المؤمن ." (١)

---

(١) انظر / فتح القدير - للشوكاني / جـ ٤ / ص ٢٤٠ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه الى يوم الدين . وبعد :-

فمن نعم الله تعالى علىّ أن وفقني للكتابة في موضوع من موضوعات القرآن الكريم يتعلق بولىّ من أولياء الله تعالى - كما هو القول الراجح - هو : سيدنا لقمان عليه السلام .

وقد بذلت جهدا كبيرا وضنيا - كما يعلم الله - في جمع شتات هذا الموضوع وفي جمع المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية الفذة ، ومن ثم تنسيقها وتنقيحها ، لاظهار ذلك كله في صورة متناسقة مترابطة .

فان كنت قد وفقت في ذلك الى الصواب والحق ، فهو من الله تعالى وحده وله الحمد والشكر والثناء حتى يرضى وجهه ، وان كان غير ذلك فهو مني ، واستغفر الله وأتوب اليه ، واسأله الرحمة والمغفرة . وحسبي أن ذلك جهدي ، وما أردت الا الخير .

وقد واجهتني في هذا البحث مصاعب كثيرة من أهمها قلة المصادر التاريخية التي تتحدث عن سيدنا لقمان الحكيم عليه السلام ، وعن حياته ، وعن العصر الذى عاش فيه .

ولكني رغم ذلك بذلت كل ما في وسعي لاعطاء الموضوع ما يستحقه من الدراسة والبحث والتمحيص حتى ظهر بهذه الصورة التي أرجو الله تعالى أن تكون خالية من النقص والخطأ ، وأن تكون وافية بغرض الموضوع .

وقد استطعت ، بعد نهاية هذا البحث المتواضع ، بفضل الله تعالى وكرمه - أن أصل الى النتائج التالية :-

١ - لما كان هذا الموضوع يتصل بالقرآن الكريم ، فانه يحتاج الى عناية كبيرة ، خاصة وأن كثيرا من أخباره ، فى مخطوطات ، اما مفقودة أو غير مطبوعة .

وانني أقترح مواصلة الدراسة والبحث فى مثل هذه الموضوعات التى فيها احياء التراث الاسلامى .

٢ - ان دراسة القصص القرآنى بصفة خاصة وجميع المواضيع المتعلقة بالقرآن الكريم بصفة عامة تفتح أمام الدارس آفاقا واسعة ، ويخرج منها بنتائج قيمة وفوائد جليلة ، من ذلك :

أ - اطلاع الدارس على مصادر التاريخ القديمة ، ومعرفة ما فيها ، ثم مقارنته بما كتب حديثا ، ليعرف الفارق بينهما .

ب - اطلاع الدارس على كتب التفسير بالمأثور والمعقول ، ومحاولة اعطاء القارئ الكريم فى هذا العصر ، زبدة ما فى تلك المصادر القيمة ، بلغة سهلة ، وعبارة سلسة .

جـ - اطلاع الدارس على مصادر الحديث الشريف وذلك من خلال تخريج الأحاديث المتعلقة بموضوع البحث ، ومن ثم معرفة درجة الحديث والحكم عليه ، وبهذا يكون قد أدى خدمة جليلة للسنة النبوية المطهرة .

د - اطلاع الدارس على كتب اللغة وفهم مافيها لبيان مايرد فى القرآن الكريم من معانى المفردات .

هـ - ان قصص القرآن الكريم له مغزى وهدف ، وملئ بالعبر والعظات . وحرى بالمسلم أن يتفهم ذلك ويطبقه فى حياته العملية والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

و - ان الدارس بعد هذه الحصيلة النافعة والمعلومات القيمة يستطيع أن يتعلم كيف يفسر كتاب الله تعالى وذلك وفق الطرق الشرعية الصحيحة .

٣ - اتضح لى أن سيدنا لقمان عليه السلام ، ولى من أولياء الله تعالى ، وعبد من عباده الصالحين ، وأن القول بنبوته قول ضعيف ، لا يمكن الاعتماد عليه .

٤ - أن معظم الأحاديث المتعلقة بسيدنا لقمان عليه السلام والمنسوبة الى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، هى أحاديث ضعيفة .

٥ - ذكر كثير من الرواة مجموعة كبيرة من الحكم المنسوبة الى سيدنا لقمان الحكيم عليه السلام ، لكنها ليست متصلة السند .
ولكونها غير متصلة السند ، فلا يمكن قبول نسبتها الى سيدنا لقمان ، لأنه لم يكن نبيا - على القول الراجح - فيكون ما نقل عنه من باب " شرع من قبلنا " .
ولم يصح اسنادها فتكون من الحكمة التى هى ضالة المؤمن .

وأخيرا فهذا جهدى المتواضع ، وما استطعت التوصل اليه ، ولا أدعى أننى بلغت فيه الكمال ، بل أعترف بتقصيرى وعجزى ، فان أصبت فى ذلك الحق ، فهو من الله وحده لا شريك له ، ومن توفيقه وهديه سبحانه ، فله الحمد وله الشكر والثناء كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه . وان كنت جانبت الصواب ووقعت فى الخطأ فذلك منى ومن الشيطان ، واسأله تعالى أن يتجاوز عنى ويتفضل علىّ برحمته وعفوه ومغفرته فانى أهل للنقص والتقصير والعجز ، وما أردت الا الخير .
والنقص والتقصير من طبيعة البشر ، ولا كمال الا لله سبحانه وتعالى .

وانني أتقبل - برحابة صدر - أى نقد بناء ، الهدف منه الوصول الى الحق

والصواب ، والبعد عن الباطل والاحتراز منه ،

وانى لأبتهل الى الله عز وجل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يلهمنى السداد والرشد ، وأن يثبتنى دائما على صراطه المستقيم وأن يحسن عاقبتى فى الأمور كلها ، وأن يجيرنى من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته وتابعيه الى يوم الدين .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فهـــــرست المصـــــادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - الاتقان فى علوم القرآن .
للامام جلال الدين السيوطى الشافعى .
المكتبة التجارية الكبرى - بيروت - لبنان .

٣ - أحكام القرآن .
لحجة الاسلام الامام أبى بكر أحمد بن على الرازى الجصاص .
تحقيق محمد صادق قمحاوى . الطبعة الثانية .

٤ - أحكام القرآن .
لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى .
تحقيق محمد على البجاوى . طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٥ - أحكام الوصية .
للدكتور حسين حامد حسان .
الطبعة الاولى - ١٩٧٣م .

٦ - احياء علوم الدين .
تصنيف الامام : أبى حامد محمد بن محمد الغزالى .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٧ - الآداب الشرعية والمنح المرعية .
لشمس الدين أبى عبدالله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى .
الناشر : مكتبة الرياض الحديثة - بالرياض ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٨ - أسباب النزول .
لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى .
الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٩ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .
لأبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر .
تحقيق محمد على البجاوى . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .

١٠- أسد الغابة فى معرفة الصحابة .
لعز الدين ابن الأثير .
أبى الحسن على بن محمد الجزرى .
تحقيق محمد ابراهيم البنا - محمد عاشور - محمود عبدالوهاب فائد .

١١- الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .
للدكتور محمد محمد ابى شهبه .
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة . ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٢- الأسفار المقدسة فى : الأديان السابقة للاسلام .
للدكتور على عبدالواحد وافى .
ملتزم الطبع والنشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .

١٣- الاصابة فى تمييز الصحابة .
لشهاب الدين أبى الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى .
وبهامشه : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . لابن عبدالبر .
مكتبة المثنى - بغداد .

١٤- أصول التخريج ودراسة الأسانيد .
للدكتور محمود الطحان .
الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٥- الأعـــلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .
لخير الدين الزركلى .
الطبعة الثالثة .

١٦- اعلام الموقعين عن رب العالمين .
لشمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر . المعروف : بابن قيم الجوزيـــة .
دار الجيل للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان .

١٧- أمثال الحديث .
المروية عن الصحابة وعن التابعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
" مخطـــوط " .
تصنيف أبى محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزى .
رواية أبى القاسم عبدالله بن أحمد البغدادى .

١٨- الانسان فى القرآن .
عباس محمود العقاد .
دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ لبنان .

١٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل .
المعروف بتفسير البيضاوى .
لعبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى .
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٢٠- الايمان .
للعلامة : شيخ الاسلام ابن تيمية .
صححه وعلق عليه : دكتور محمد خليل هراس . دار الطباعة المحمديـــة
بالازهر - بالقاهرة .

٢١- بدائع الفوائد .
للعلامة شيخ الاسلام :
أبى عبدالله محمد بن أبى بكر الدمشقى المشتهر بابن قيم الجوزية .
عنى بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : ادارة الطباعة المنيرية .
الناشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

٢٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد .
للشيخ الامام الحافظ الناقد أبى الوليد : محمد بن أحمد بن محمد
ابن أحمد بن رشد القرطبى .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٣- البداية والنهاية .
للحافظ ابن كثير الدمشقى .
الطبعة الثانية - ١٩٧٧م . مكتبة المعارف - بيروت .

٢٤- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس .
للامام أبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى .
تحقيق : محمد مرسى الخولى .
مراجعة الدكتور : عبدالقادر القط .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٥- التاج - الجامع للأصول - فى أحاديث الرسول .
للشيخ منصور على ناصف .
الطبعة الرابعة - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس .
محمد مرتضى الزبيدى .

٢٧- تاريخ العلامة ابن خلدون .
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .
للعلامة : عبد الرحمن بن خلدون المغربى .
منشورات : دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر . ١٩٥٩م .

٢٨- تاريخ الطبرى . تاريخ الرسل والملوك .
لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .
تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر - ١٩٦٦م .

٢٩- تاريخ الفلسفة اليونانية .
يوسف كرم .
الطبعة الخامسة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .

٣٠- التاريخ الكبير .
للحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى .
الطبعة الاولى - ١٣٦٣هـ .

٣١- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف .
للامام الحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن ابن يوسف المزى .
معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح . مع النكت الظراف على الأطراف - تعليقات الحافظ ابن حجر العسقلانى .
صححه وعلق عليه : عبد الصمد شرف الدين .
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م .

٣٢- تفسير أبى السعود المسمى :
ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم .
لقاضى القضاة : أبى السعود محمد بن محمد العمادى .
الناشر : دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد .

٣٣- تفسير البحر المحيط .
لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى .
وبهامشه :
١) النهر الماد من البحر - لأبى حيان نفسه .
٢) كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط - لتاج الدين الحنفى .
الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٤- تفسير الخازن المسمى :
لباب التأويل فى معانى التأويل .
لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن .
وبهامشه تفسير البغوى : المعروف : بمعالم التنزيل .
لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى .
الطبعة الثانية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م .
مطبعة البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٣٥- تفسير القرآن العظيم .
للامام الجليل الحافظ عماد الدين :
أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى .
طبع بدار احياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣٦ - التفسير الكبير .
للامام : الفخر الرازى .
الطبعة الثانية . الناشر : دار الكتب العلمية - طهران .

٣٧- التفكير فريضة اسلامية .
عباس محمود العقاد .
الناشر : دار الكتاب العربى . بيروت - لبنان .

٣٨- تهذيب التهذيب .
لأبى الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى .
الطبعة الاولى - ١٣٢٥ هـ .
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند - حيدر أباد .

٣٩- الجامع لأحكام القرآن .
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى .
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٤٠- جامع الأصول فى أحاديث الرسول .
للامام : مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى .
تحقيق وتخريج : عبد القادر الأرناءوط .
مكتبة الحلوانى وغيرها . - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

٤١- جامع البيان عن تأويل آى القرآن .
لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .
الطبعة الثالثة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٤٢- الجامع الصحيح .
للامام مسلم أبى الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى .
توزيع : دار الفكر - بيروت - لبنان .

٤٣- حاشية الشهاب المسماة :
عناية القاضى وكفاية الراضى .على تفسير البيضاوى .
دار صادر بيروت .

٤٤- حياة الحيوان الكبرى .
للعلامة : الشيخ كمال الدين الدميرى .
وبهامشه : كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات .
للامام : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى .
دار القاموس الحديث ـ للطباعة والنشر . بيروت ـ لبنان .

٤٥- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور .
للامام الحافظ جلال الدين السيوطى .
الناشر : محمد امين دمج ـ بيروت .

٤٦- ذخائر المواريث فى : الدلالة على مواضع الحديث .
للشيخ عبد الغنى النابلسى .
أنتشارات اسماعيليان ـ طهران .

٤٧- رسالة التوحيد .
للامام : محمد عبده .
الطبعة الاولى - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٤٨- رسائل الرافعى .
لأبى ريه .

٤٩- روح المعانى ـ فى :
تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى .
احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

٥٠- الروض الانف - في :-
شرح السيرة لابن هشام .
للامام المحدث : عبد الرحمن السهيلي .
تحقيق وتعليق وشرح : عبد الرحمن الوكيل .
الطبعة الاولى - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .
يطلب من دار الكتب الحديثة .

٥١- زاد المعاد في هدى خير العباد .
للامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر .
الشهير : بابن قيم الجوزية .
تحقيق محمد حامد الفقي . مطبعة السنة المحمدية .

٥٢- الزهـــد .
للعالم الرباني والصديق الثاني :
أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
مطبعة أم القرى .

٥٣- الزهد والرقائق .
للامام : شيخ الاسلام عبد الله بن المبارك المروزي .
تحقيق وتعليق : الأستاذ المحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
قام بنشره : محمد عفيف الزعبي . باذن خطي من محققه .

٥٤- سنن أبي داوود .
للامام الحافظ : أبي داوود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني .
الطبعة الاولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م .
شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٥٥- سنن ابن ماجه .
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه .
تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٥٦- سنن الترمذي - وهو :
الجامع الصحيح .
للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
الطبعة الثانية - ١٣٩٤ هـ - ١٣٧٤هـ .
اشرف على طبعه وراجع أصوله وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان .
دار الفكر .

٥٧- سنن النسائي .
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي .
وحاشية الامام السندي .
الطبعة الاولى - ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٥٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة .
بقلم محمد ناصرالدين الألباني .
الطبعة الاولى - ١٣٩٩هـ .

٥٩- سيرة ابن اسحاق المسماة :-
بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي .
لمحمد بن اسحاق بن يسار .
تحقيق وتعليق : محمد حميد الله .
تقديم : الاستاذ محمد الفاسي .
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٦٠- السيرة النبوية .
لابن هشام .
تحقيق : مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى .
الطبعة الثانية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م .
مطبعة البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٦١- شرح البدخشى .
ومعه : شرح الاسنوى .
كلاهما : شرح منهاج الوصول فى علم الأصول .
للقاضى البيضاوى .
مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر .

٦٢- شرح السنة .
للامام البغوى .
تحقيق : شعيب الأرناؤوط - زهير الشاويش .
المكتب الاسلامى .

٦٣- شرح صحيح مسلم " صحيح مسلم بشرح النووى " .
محى الدين يحى بن شرف النووى .
الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .
دار الفكر - بيروت - لبنان .

٦٤- شرح العقيدة الطحاوية .
حققها وراجعها جماعة من العلماء .
وخرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألبانى .
الطبعة الاولى - ١٣٩٢ هـ . المكتب الاسلامى .

٦٥- شرح : الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف :
بابن عباد النفرى الرندى .
علـــى :
كتاب الحكم .
لأبى الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندرى
وبالهامش : شرح شيخ الاسلام عبد الله الشرقاوى على الحكم المذكورة .
الطبعة الاخيـــرة .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .
١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م .

٦٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
للقاضى : عياض بن موسى اليحصبى الأندلسى .
تحقيق : محمد أمين قرة ، اسامة الرفاعى ، جمال السيروان ،
نور الدين قرة على ، عبد الفتاح السيد .

٦٧- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية .
تاليف : اسماعيل بن حماد الجوهرى .
تحقيق : احمد عبد الغفور عطار .
الطبعة الثانية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
دار العلم للملايين .

٦٨- صحيح البخارى .
لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى .
دار مطابع الشعب .

٦٩- صحيح الجامع الصغير وزياداته : " الفتح الكبير " .
تحقيق محمد ناصر الدين الآلبانى .
الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
المكتب الاسلامى .

٧٠- الطبقات الكبرى .
لابن سعد .
بيروت - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م . دار بيروت للطباعة والنشر .

٧١- العبادات فى الاسلام .
تأليف : يوسف القرضاوى .
الطبعة الثالثة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
مؤسسة الرسالة - بيروت .

٧٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
لشيخ الاسلام أبى عبد الله محمد بن ابى بكر الدمشقى .
الشهير بابن قيم الجوزية .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٧٣- العقد الفريد .
لابى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى .
شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته :
احمد امين - احمد الزين - ابراهيم الابيارى .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . - ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠م .

٧٤- عيون الأخبار .
لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى .
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣م .

٧٥- فتح البارى .
بشرح صحيح الامام عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى .
للامام الحافظ : احمد بن على بن حجر العسقلانى .
المكتبة السلفية .

٧٦- الفتح الربانى .
لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى .
ومعه كتاب: بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى .
كلاهما : تأليف :
احمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى .
الناشر : دار الحديث بالقاهرة .

٧٧- فتح القدير - للجامع . :
بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير .
تأليف: محمد بن على بن محمد الشوكانى .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .
الطبعة الثانية - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م .

٧٨- الفصـــل .
فى الملل والأهواء والنحل .
للامام أبى محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
الطبعة الثانية : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

٧٩- الفوائـــد .
لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية .
الطبعة الثانية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٨٠- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .
لشيخ الاسلام : محمد بن على الشوكانى .
تحقيق : عبد الرحمن بن يحى المعلمى .
الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ - بيروت .

٨١- في ظلال القرآن .
بقلم : سيد قطب .
الطبعة الشرعية السابعة - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
دار الشروق .

٨٢- قصص الأنبياء .
المسمى : " عرائس المجلس " .
لأبي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري . المعروف بالثعلبي .
الطبعة الرابعة - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤م .
شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٨٣- قصص الأنبياء .
للامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير .
تحقيق مصطفى عبد الواحد .
الطبعة الاولى - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٨٤- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة .
للامام الذهبي .
تحقيق وتعليق : عزت علي عطيه - موسى محمد علي الموشي .
الطبعة الاولى - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م . دار النصر للطباعة - القاهرة .

٨٥- الكامل في التاريخ .
للشيخ العلامة عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد
الشيباني . المعروف بابن الأثير .
بيروت - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

٨٦- الكشاف .
عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل .
لأبي القاسم : جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي .

٨٧- كشاف القناع .
عن متن الاقناع .
للشيخ العلامة : منصور بن يونس بن ادريس البهوتي .
مطبعة الحكومة بمكة - ١٣٩٤ هـ .

٨٨- لباب النقول في أسباب النزول .
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
دار احياء العلوم - بيروت .

٨٩- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة .
للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
المكتبة التجارية الكبرى .

٩٠- لسان العرب .
للامام العلامة أبي الفضل .
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري .
بيروت - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٩١- لسان الميزان .
للامام الحافظ :-
شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الثانية - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١م .
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند : حيدر أباد .

٩٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي .
الناشر : دار الكتاب - بيروت - لبنان .

٩٩ - مروج الذهب ومعادن الجوهر .
لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي .
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
دار الفكر . الطبعة الخامسة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

١٠٠- المستدرك على الصحيحين .
للامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري .
وبذيله التلخيص الذهبي .
الناشر : مكتب المطبوعات الاسلامية . حلب .

١٠١- المستصفى من علم الأصول .
للامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي .
وبذيله : فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في اصول الفقه .
الطبعة الاولى - المطبعة الأميرية - ببولاق - ١٣٨٢هـ .

١٠٢- مسند الامام أحمد بن حنبل .
وبهامشه : منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر - بيروت .

١٠٣- المعجم الصغير للطبراني .
للحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد بن أيوب اللخمي الطبراني .
صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان .
الناشر : المكتبة السلفية لصاحبها : محمد عبد المحسن الكتبي .
المدينة المنورة .

١٠٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

١٠٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٠٦- المغنى لابن قدامه .
لأبى محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة .
تحقيق : د . طه محمد زينى .
مكتبة القاهرة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

١٠٧- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب .
لجمال الدين بن هشام الانصارى .

١٠٨- المفردات فى غريب القرآن .
للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهانى .
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية .

١٠٩- مقارنة الأديان .
١) اليهودية .
للدكتور احمد شلبى .
الطبعة الثالثة - ١٩٧٣م . ملتزم النشر والطبع : مكتبة النهضة المصرية .
بالقاهـــرة .

١١٠- شرح مقاصد الطالبين فى علم اصول الدين .
مسعود بن عمر التفتازانى .

١١١- الملل والنحل .
لأبى الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبى بكر احمد الشهرستانى .
تحقيق : محمد سعيد كيلانى .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

١١٢- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان .
للحافظ نورالدين على بن أبى بكر الهيثمى .
تحقيق محمد عبدالرزاق حمزه . المطبعة السلفية .

١١٣- المواقـــــف .
للامام القاضي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي .
بشرحه للمحقق : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني .
مع حاشيتين جليلتين .
الطبعة الاولى - ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
مطبعة السعادة - مصر .

١١٤- الموضوعـــــات .
للعلامة السلفي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشـــــي .
الطبعة الاولى - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .
تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .
الناشر : محمد عبد المحسن - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١١٥- الموطـــــأ .
للامام مالك بن أنس بن مالك بن أنس .
مطبعة الحلبي وأولاده بمصر .

١١٦- ميزان الاعتدال - في نقد الرجال .
لأبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .
تحقيق محمد علي البجاوي .
دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
الطبعة الاولى - ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

١١٧- نوادر الاصول .
في معرفة أحاديث الرسول .
لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي .
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

١١٨- الوصية وأحكامهـــــا .
للشيخ محمد جعفر شمس الدين .
دار التراث الاسلامى - للطباعة والنشر والتوزيع .
بيروت - لبنان .
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

فهـــرس الآيـــــات

الآيـــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هـــدى للمتقين " . . . " الآيات	١ : ٣	البقرة	١٤٠
" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و . . . . " الآيات	٣ : ٥	"	١٥٥
~~" وقالت اليهود عزير ابن الله . . . " الآيـــة~~	~~٣٠~~	~~"~~	~~٧٣~~
" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم . . . " الآيـــة	٣١	"	٩٥
" وانها لكبيرة الا على الخاشعين " .	٤٥	"	٢٠٠
" واذ قتلتم نفسا فادّاراتم فيها . . . " الآيـــة	٥٥	"	٦٨
" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و . . . " الآية	١٤١	"	١٤١
" يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبـــات ما رزقناكم . . . " الآية .	١٧٢	"	١٠١
" فما أصبرهم على النار " .	١٧٥	"	١٨٥
" ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم . . الآيـــة	٢٢٥	"	٢١٢
" أنّى يكون له الملك علينا . . . " الآيـــة	٢٤٧	"	١٤

الآيــــــــــة	رقمها	الســـورة	رقم الصفحة
" الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخـذه سنة ولا نوم . . . . الآية .	٢٥٥	البقرة	٧٩
" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات . "الآية	٢٦٧	"	١٠١
" يوءتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمـة . . . . " الآية .	٢٦٩	"	٧٩
" ومن يوءت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً . " .	٢٦٩	"	٢٢
" ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبـه . . . ." الآية .	٢٨٣	"	٢١٢
" وان تبدوا ما فى انفسكم أو تخفوه يحاسبكـم به الله . . . ." الآية .	٢٨٤	"	٢١٢
" لا يكلف الله نفسا الا وسعها . . . "الآيـة .	٢٨٦	"	٩٥
" شهد الله أنه لا اله الا هو . . . ." الآيـــة	١٨	آل عمران	٧٩
" يوم تجد كل نفس ما عملت من . . ." الآيـــة	٣٠	"	١٠٣
" وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور " .	١٨٥	"	٤٩
" ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . . .الآية .	١٩١	"	٩٨

الآيـــــــــــة	رقمها	السـورة	رقم الصفحة
"ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و . . . . " الآية .	١٠٤	آل عمران	١٧٤/١٧٣ ١٨٣
" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون . . . " الآية	١١٠	"	١٧٤/١٧٣
" قل متاع الدنيا قليل . . . " الآيـــة	٧٧	النســاء	٧٧
" قالوا فيم كنتم . . . " الآية	٩٧	"	٩٩
" وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم . . . . " الآية .	١٧٣	"	٢١٧
" يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصــلاة فاغسلوا . . . . . " الآية	٦	المائـــدة	١٥٩
" لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم . . . " الآيات	٧٩ / ٧٨	"	١٧٤
" يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم . . . " الآيات	٨٨/٨٧	"	١٠٠
" يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم . . . " الآية	١٠٥	"	١٧٦
" قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم . . . " الآيـــة	١٥١	الأنعـــام	١١٧
" ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن .." الآية	١٥٢	"	١٨٠

الآيـــــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها . . . . " الآية	١٣	الأعراف	٢١٧
" يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجـــد . . . " الآية	٣١	"	١٦٠
" وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر . . . الآيـــات	١٣٨ : ١٤٠	"	٦٨
" سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . . . " الآية	١٤٦	"	٢١٧
" واتخذ قوم موسى من بعده . . . " الآيـــــة	١٤٨	"	٦٨
" واسألهم عن القرية . . . " الآيـــــــة	١٦٣	"	١٦
" فلما نسوا ما ذكّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء . . . . " الآية	١٦٥	"	١٧٥
" وقالت اليهود عزير ابن الله ... الخ	٣٠	التوبة	٢٦٠
" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا . . . " الآية	٣١	التوبــــــة	٩٩
" يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من . . . " الآيـــة	٣٤	"	٩٩
" لمسجد أسّس على التقوى من أول يوم . . " الآية	١٠٨	"	١٦٠
" ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم . . . " الآيـــة	٤٧	يونس	٩٤
" ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك" . . الآية	١٠٦	"	١٧٩

الآيـــــــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
" قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك . . "الآية	٨٧	هـــود	١٣٦
" وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل . . "الآية	١١٤	"	١٣٨
" انّ الحسنات يذهبن السيئات . . . . " الآيـات	١١٤/ ١١٥	"	١٨٩
" وما أبرّىء نفسى انّ النفس لأمّارة بالســـــوء الاّ ما رحم ربى " الآية	٥٣	يوسف	١٠٢
" وفوق كل ذى علم عليم " .	٧٩	"	١٠٣
" وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ".الآية	٣٤	ابراهيم	٥٧
" انّ الانسان لظلوم كفار " .	٣٤	"	٩٦
" ربنا انى أسكنت من ذريّتى بواد غير ذى زرع . . . . " الآية	٣٧	"	١٣٦
" ربّ اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريّتـــــى . . . . ." الآية	٤٠	"	١٣٦
" انّـه لا يحبّ المستكبريـــــن "	٢٣	النحل	٢١٧
" الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهـــــم . . . ." الآيات	٢٨/٢٩	"	٢١٧

الآيــــــــــــــة	رقمها	السورة	الصفحـــة
" وما أرسلنا من قبلك الاّ رجالا نوحى اليهم . الآية	٤٣	النحل	١٠٠
" وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا "	١٥	الاسراء	٩٤
" لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا "	٢٢	"	١٨٠
" وقضى ربّك ألاّ تعبدوا الاّ ايّاه وبالوالديــــن احسانا . . . " الآية	٢٣	"	١٨٠
" وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . . . . " الآيات	٢٤/٢٣	"	١١٧
" ولا تمش فى الأرض مرحا . . . . " الآية	٣٧	"	٢٠٦
" ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحـــر . . . . . " الآية	٧٠	"	٩٦
" وما أوتيتم من العلم الاّ قليلا "	٨٥	"	١٠٣
" كبرت كلمة تخرج من أفواههم . . . " الآية	٥	الكهف	١٢٧
" واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغـــــداة والعشىّ . . . " الآية	٢٨	"	١٨٥
" وأوصانى بالصلاة والزكاة . . . . " الآية	٣١	مريم	١٣٧

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
" واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد .... " الآيات	٥٥/٥٤	مريم	١٣٦
" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا .... " الآيات	٥٩ : ٦١	"	١٤١
" وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها .. " الآية	١٣٢	طــه	١٣٨
" ونضع الموازين القسط ... " الآيـــــة	٤٧	الأنبياء	١٠٢
" لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكـــن ..... " الآية	٣٧	الحج	٧١
" قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون .... " الآيات	١ : ١١	المؤمنون	١٥٥/١٤٠
" ولقد خلقنا الانسان من سلالة ... " الآيات	١٢ : ١٤	"	٩٧
" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ... " الآية	٥٢	"	٩٥
" أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة .. الآية	٤٥	العنكبوت	١٣٨
" وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشـــاء والمنكر .... " الآية	٤٥	"	١٥٠
" آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ... " الآية	٤٦	"	١٠٩/١٦

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
" أولم يتفكروا فى أنفسهم . . . " الآية	٨	الروم	٩٨
" ومن آياته أن خلقكم من تراب. . . " الآية	٢٠	"	٩٧
" واذ قال لقمان لابنه " . . . الآية	١٣	لقمان	١٦
" وان جاهداك على أن تشرك بى . . . " الآية	١٥	"	١١٨
" يا بنى انها ان تك مثقال حبة . . . " الآية	١٦	"	١٢٦
" يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف . . " الآية	١٧	"	١٢٧
" واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور"	١٧	"	١٨٤
" سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض. "الآية	٢٠	"	٩٦
" انّ فى ذلك لآيات لكل صبّار شكور"	٣١	"	١٩٣
" ذلك عالم الغيب والشهادة . . . " الآيات	٦ : ٩	السجدة	٩٧
" ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور"	١٩	سبأ	١٩٤
" قال الذين استكبروا للذين استضعفوا . "الآية	٣٢	"	٩٩
" وان من أمة الاّ خلا فيها نذير"	٢٤	فاطر	٩٤
" سبحان الذى خلق الازواج كلها . . " الآية	٣٦	يس	٩٧

الآيـــــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
" أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما .." الآية	٩	الزمر	١٢١
" والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوهـــا .... " الآيات	١٨/١٧	"	١٢٢
" وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . . " الآية	٦٠	غافر	٢١٨/١٥٧
" وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكـــم ولا .... " الآيات	٢٥:٢٢	فصلت	١٢٨
" ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم" . الآية	٢١	الشورى	٨٠
" الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"	٦٧	الزخرف	١٢١
" ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك . . " الآية	١٥	الأحقاف	٥٧
" ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين . . " الآية	٣١	محمد	١٢٨
" يا أيها الناس انّا خلقناكم من ذكر وأنثـــى وجعلناكم . . . " الآية	١٤	الحجرات	٢٢٥
" ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما . . " الآية	٣٨	ق	٧٠
" كل امرئ بما كسب رهين"	٢١	الطور	٩٤
" وأن ليس للانسان الاّ ما سعى"	٣٩	النجم	٩٥

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
" يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها .. "الآية	١٤	الحديد	١٢٧
" هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيـــب والشهادة ...." الآيات	٢٢ : ٢٤	الحشر	٨٠
" واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ..." الآيـــة	٤	المنافقون	٢٣
" ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"	١٤	الملك	١٢٧/١٨٢
" وانك لعلى خلق عظيم"	٤	القلم	٢٠٦
" كل نفس بما كسبت رهينه "	٣٨	المدّثّر	١٠٢/٩٤
" لا أقسم بيوم القيامة ،ولا ..." الآية	٢/١	القيامة	١٠٢
" يوم يفرّالمرء من أخيه . وأمّه ..."الآيات	٣٤ : ٣٧	عبس	١٢٠
" يا أيها الانسان ما غرّك بربّك الكريم . الذى خلقك ..." الآيات	٦ : ٨	الانفطار	١٠٣
" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربـــك ...." الآيات	٢٧ / ٢٨	الفجر	١٠٢
" ونفس وما سوّاها . فألهمها فجورهـــــا و...." الآيات	٧ : ١٠	الشمس	١٠٢
" لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم"	٤	التين	٩٦

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
" اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان ... " الآيات	١ : ٥	العلق	٩٥
" كلاّ انّ الانسان ليطغى . أن رآه استغنى "	٥ / ٦	"	٩٦
" وما أمروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين . . " الآية	٥	البيّنة	١٤٧
" فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره . ومــــن يعمل . . . . " الآية	٧ / ٨	الزلزلة	٩٥
" انّالانسان لربّه لكنود "	٦	العاديات	٩٦
" انّ الانسان لفى خسر "	٢	العصر	٩٦
" فويل للمصلّين . الذين هم . . " الآيات	٤ : ٦	الماعون	١٤١
" قل هو الله أحد . الله الصمد . . "الخ السورة		الاخلاص	٧٩

فهـــــرس الأحاديـــــث

قمت بترتيب الأحاديث فى هذا الفهرس على النحو الآتى :

١ - ترتيب الاحاديث على المسانيد .

٢ - ترتيب أسماء أصحاب المسانيد على أحرف الهجاء .

---

١ - أنـــس بـــن مالــــك

رقم الصفحـــة

١) " سووا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة" . ١٥٩

٢) " سووا صفوفكم فان تسوية الصف من تمام الصلاة" . ١٥٩

٣) ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم ؟ .
فاشتد قوله فى ذلك حتى قال " لينتهن عن ذلـــك أو
لتخطفن أبصارهم" . ١٥٢

٤) وفيه : " وجعل قرة عينى فى الصلاة" . ١٥٦

٥) " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع". ٥٢

٢ - جابـــر بـن عبدالله

١) " بين الكفر والايمان ترك الصلاة" . ١٤٢

٢) " كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يعلمنا الاستخارة فى الأمور
كلها ، كالسورة من القرآن ، اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من
غير الفريضة ثم يقول : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك
بقدرتك . . . . " الحديث . ١١٨

رقم الصفحة

٣ - جابر بن عتيك

١)	" وان من الخيلاء ما يبغض الله ، ومنها ما يحب الله ، فأما الخيلاء التى يحب الله ، فاختيال الرجل نفسه عند القتال ، واختياله عند الصدقة ، وأما التى يبغض الله عز وجل ، فاختياله فى البغى " .	٢٠٩

٤ - حارثة بن وهب الخزاعى

١)	" ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ . كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبرّه . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر " .	١١٨

٥ - حذيفة بن اليمان

١)	" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر ، صلى " .	١٥٧
٢)	" والذى نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، فتدعونه فلا يستجيب لكم " .	١٧٧

٦ - سلمة بن الأكوع

١)	" لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم " .	٢٢٠

٧ - صخر الغامدى

رقم الصفحة

١) " اللهم بارك لأمتى فى بكورها " . ١٦٢

٨ - عبدالله بن بريدة

١) " العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر". ١٤٢

٩ - عبدالله بن عمر

١) " من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه " . ٤٤

٢) " ان أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه" . ١١٩

٣) " بنى الاسلام على خمس: شهادة ألا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، ورمضان" .

١٠- عبدالله بن عمرو بن العاص

١) " ان من الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ . قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب امه " . ١١٨

١١- عبدالله بن مالك بن بحينه

١) " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه" . ١٦٣

١٢ - عبد اللـه بن مسعـــود

رقم الصفحـــة

(١)	" لا حسد الا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة - وفي بعض روايات الصحيح " الحكمة " بالتعريف - فهو يقضي بها ويعلّمهـــا " .	٤٤

١٣ - عطية السعـــدى

(١)	" لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع مالا بأس به ، حذرا لما به بأس " .	١٨٩/١٦٧

١٤ - على بن أبى طالـــب

(١)	" مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلهـــا التسليـــم " .	١٥٩

١٥ - عيـاض بن حمـــار

(١)	" ان الله عز وجل أوحى الىّ ، أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد " .	٢٢٠

١٦ - كعب بن مالـــك

(١)	" قال كعب : " فقل رجل يريد أن يتغيب ، يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل . . الحديث .	٢٠٥

---

١٧ - النعمان بن بشير

		رقم الصفحة
١)	" لتسوّن صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم" .	١٤٢

١٨ - أبوأسيد مالك بن ربيعة

١)	" بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال يا رسول الله : أبقي من بر أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟ . قال : نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، . . " الخ الحديث .	١٢٠

١٩ - أبوبكر الصديق

١)	" ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" .	١٧٦

٢٠ - أبو ذر

١)	عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : " يا عبادى : انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال الا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى . . . " الحديث .	٥٦
٢)	" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ، ممتلىء حكمة وايمانا ، فأفرغه في صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى . . . " الخ الحديث .	١٤٥

---

٣)	" أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء ، والورق يتهافت ، فأخذ بغصنين من شجرة ، قال : فجعل ذلك الورق يتهافت ، قال : فقال يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ان ... " الخ الحديث .	١٥٦

٢١ - أبوسعيد الخدرى

١)	" اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد ، فاشهدوا له بالايمان ، فان الله يقول : " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة " الآية .	١٤١
٢)	" غسل الجمعة واجب على كل محتلم " .	١٦١
٣)	" الغسل يوم الجمعه واجب على كل محتلم وأن يستن وان يمس طيبا ان وجد " .	١٦١
٤)	" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ... " الحديث .	١٦٨
٥)	" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، و ... " الخ الحديث	٢١٠

٢٢ - أبوكبشه الانمارى

١)	فى الحديث : " ورجل آتاه الله مالا ، ولم يوءته علما فهو يخبط فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يوءته مالا ولا علما .... الخ الحديث .	٢١٢

٢٣ - أبو هريـــــــرة

رقم الصفحة

١) " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله يوم القيامة : " انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم ، فأبيتم الا أن تقولوا فلان أكرم من فـلان و . . . . الخ الحديث" . ٢٢

٢) " قال : " جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ ، قال امك . قال : ثم من ؟ قال . . . . . " الخ الحديث . ١٠٥

٣) قال : " كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل اليكم " الآية . ١٠٩

٤) " ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان قبلت . . . " الخ الحديث . ١٤٠

٥) " اذا دعى أحدكم فليجب ، فان كان . . ". الخ الحديث . ١٤٥

٦) " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهى . . الخ الحديث ١٤٦

٧) أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فـرد النبى صلى الله عليه وسلم ، عليه السلام فقال : ارجـــع فصل فانك لم تصل ، فصلى ، ثم . . . ." الحديث ١٤٦

رقم الصفحة

٨) " انما جعل الامام ليوءتم به" . ١٥١

٩) أما يخشى أحدكم ـ أو : لا يخشى أحدكم ـ اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار" . ١٥٢

١٠ ـ " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقى من درنه شيء ؟ . . الخ الحديث . ١٥٥

١١) " الصلوات الخمس، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات لما بينهن ، ما اجتنبت الكبائر" . ١٥٥

١٢) " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" . ١٦٠

١٣) " لا يزني الزاني حين يزني وهو موءمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو موءمن و . . ." الخ الحديث . ١٨٩

١٤) " تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم . قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي . . . . " الخ الحديث . ٢١٩

١٥) " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله سبحانه : " الكبرياء ردائي ، والعظمة ازاري . . . . " الخ الحديث . ٢١٩

٢٤ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق

١) عن أسماء قالت : " قدمت أمي وهي مشركة ـ في عهد قريش ومدتهم ، اذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ـ مع أبيها ،

رقم الصفحـــة

فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ان أمـى
قد مت وهى راغبة ، أفاصلها ؟ . قال : نعم ، صلى أمك" . ١١٨

٢٥ - عائشة بنت أبى بكر الصديق

١) " السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب " . ١٥٧
٢) قالت : " دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فعرفت فى وجهه ، أن قد حفزه شئ ، فتوضأ ثم خـرج
فلم يكلم أحدا ، فدنوت من الحجرات فسمعته يقول : ياأيها
الناس ان الله عز وجل يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر ، من قبل .... " الخ الحديث . ١٧٧

فهـــــرس المواضيــــــع

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٣
منهجي في البحث	٥
البـــاب الأول	٩
الفصل الاول :	١٠
تحقيق القول في اسم لقمان ونسبه	١٠
" " " العصر الذي عاش فيه لقمان	١٢
" " " اسم ولد لقمان	١٥
الفصل الثاني :	١٧
تحقيق القول : عن صفات لقمان الحكيم الخلقية والخلقية	١٧
الفصل الثالث :	٢٦
تحقيق القول في نبوة لقمان أو ولايته	٢٦
الترجيح	٣٠
البـــاب الثانـــي	٣٢
الفصل الاول :	٣٩
تفسير قوله تعالى " ولقد آتينا لقمان الحكمة"	٤٠
تعريف الحكمة واستقراؤها في الكتاب والسنة	٤٠
تفسير قوله تعالى : "أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر . ." الآية	٥٣
بيان معنى الشكر	٥٩
بيان الحكمة عند من أطلقوا على أنفسهم الحكماء	٦٤

الموضـــــــوع	الصفحة

بيان الحكمة عند اليهود	٦٧
" " " النصارى	٧٤
" " في الاسلام	٧٩
الفصل الثاني :	٨١
تفسير قوله تعالى : " واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . . " الآية	٨٢
بيان معنى الوعظ	٨٢
" سبب نزول قوله سبحانه " ان الشرك لظلم عظيم "	٨٤
" قوله سبحانه " ان الشرك لظلم عظيم " :	٨٤
أهو من كلام لقمان ؟ أم هو خبر من الله منقطع	
بيان معنى الشرك	٨٦
الفصل الثالث :	٨٨
أهم الأقوال في الآيتين الكريمتين	٨٩
بيان معنى الوصية في اللغة	٩١
" " " القرآن	٩٢
الانسان في القرآن الكريم	٩٣
تفسير الآيتين الكريمتين	١٠٣
الفصل الرابع :	١٢٤
بيان ما يتعلق بثبوت علم الله تعالى من حيث :	
أ ـ القدرة	١٢٥
ب ـ العلم	١٢٧
تفسير قوله تعالى : " يا بني انها ان تك مثقال حبة . . " الآية	١٢٩

الموضـــــــــوع	الصفحة

الفصل الخامس :	١٣٥
فيما يتعلق برأس العبادات البدنية	
بيان ان الصلاة مشروعة فى جميع شرائع الله	١٣٦
" منزلة الصلاة فى الاسلام	١٣٨
" كيف فرضت الصلوات الخمس	١٤٣
" معنى الصلاة لغة وشرعا وبيان معنى اقامتها	١٤٥
" أن الصلاة تعود صاحبها الطاعة	١٤٩
" " " طهرة للنفس من الآثام وحافز لصاحبها الى أعلى الدرجات	١٥٣
" " " نظافة وتجمل	١٥٨
" " " رياضة بدنية	١٦٣
الفصل السادس :	١٦٥
بيان مدلول الأمر والنهى	١٦٦
" " المعروف والمنكر	١٦٦
" الحد الفاصل بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	١٦٧
" حكم الأمر بالمعروف والمنكر	١٧٠
" أدلة وجوبهما	١٧٣
هل يعتبر الأمر بالمعروف نهيا عن المنكر؟ أم كل منهما مستقل ؟	١٧٨
أيهما يقدم : الأمر بالمعروف أم النهى عن المنكر؟	١٧٩
بيان مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	١٨٠
أثر القيام بهما	١٨١
تفسير قوله سبحانه : وأمر بالمعروف وانه عن المنكر"	١٨٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الفصل السابع :	١٨٤
بيان معنى الصبر	١٨٥
" أنواع الصبر	١٨٦
" أن الصبر نصف الايمان	١٩٣
" مراتب الصبر	١٩٧
تفسير قوله سبحانه " واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور"	٢٠٠
الفصل الثامن :	٢٠٣
بيان معنى التصعير	٢٠٤
" " الخد	٢٠٥
" " المرح	٢٠٦
ليس المراد حصر الكبر فى المشى ،بل له صور أخرى	٢٠٦
دخول النفى على صيغة العموم	٢٠٨
بيان معنى الاختيال والفخور	٢٠٨
" مقتضى النهى	٢١٠
" مفهوم النهى فى هذا الموضع وهو " التواضع"	٢١٣
" حقيقة الكبر وذمه	٢١٥
" علة ذم الكبر	٢٢٠
تفسير قوله سبحانه : " ولا تصعر خدك للناس و . . . " الآية	٢٢١
الفصل التاسع :	٢٢٧
بيان معنى القصد	٢٢٨
" " الغض	٢٢٩
" الحكمة فى القصد وغض الصوت	٢٣١

الموضـــــــــوع	الصفحة
بيان حكمة التعقيب بقوله سبحانه : ان أنكر الاصوات لصوت الحمير"	٢٢٣
تفسير قوله سبحانه : " واقصد فى مشيك واغضض من صوتك . . " الآية	٢٣٥
البـــابالثالـــث	٢٣٨
ويشتمل على استقراء الأحاديث الوارد فيها ذكر لقمان ، وبيان درجتها من الصحة أوالحسن أو الضعف ، ثم شرح ما يحتاج منها الى شرح ، وبيان ما يستفاد من الحديث المشروح من الأحكام	٢٣٩
الخاتمـــــــة	٢٥٨
فهرس مصادر البحث	٢٦٢
" الآيات القرآنية	٢٨٢
" الأحاديث النبوية الشريفة	٢٩٤
" مواضيع البحث	٢٠٧